
ستظل.. عذراء الأخيرة
+16
ستظل.. عذراء الأخيرة
2017
مروة صلاح
DESIGN BYMARWA SALAH
2017
ياسمين عادل
ياسمين عادل



ستظل .. عذراءِ الأخيرة

ياسمين عادل

حكاوي الكتب للنشر الالكتروني

www.hakawelkotob.com

تدقيق: ياسمين عادل

داخلي: فاطمة الزهراء

-هي.................

هي بداية جملة وآخرها..

هي ذات المصير الذي نُقش على جبينها أن تعايشه

هي ليست ضحية مجتمع ذكوري .. مستذئب

وعقيم فحسب!!

هي ضحية أفكار جاهلة ومعتقدات عمياء ليس

لها بالحقيقة صلة..

هي العذراء التي أستُباحت قدسية عذريتها ..

وأسفل غبار الأرض توارت البراءة التي سكنت

لسنوات ملامحها

^^ستظل .. عذراءِ الأخيرة^^

الفصل الأول

-هي.................

هي بداية جملة وآخرها..

هي ذات المصير الذي نُقش على جبينها أن تعايشه

هي ليست ضحية مجتمع ذكوري .. مستذئب وعقيم فحسب!!

هي ضحية أفكار جاهلة ومعتقدات عمياء ليس لها بالحقيقة صلة..

هي العذراء التي أستُباحت قدسية عذريتها ..

وأسفل غبار الأرض توارت البراءة التي سكنت

لسنوات ملامحها

****

_كانت الغرفة حالكة السواد .. مُظلمة ظلاماً

مُخيفاً ،

عندما كانت هذه البائسة تغوص وسط

كوابيسها ومطارداتها..

كانت هذه الجميلة ذات الملامح المُنهكة

الذابلة .. تغوص في المضجع العريض مُدثرة

بالغطاء الوردي الناعم ،

وخُصيلات شعرها الفوضوية تنفرد على الوسادة..

والبعض منها قد ألتصق بجبينها وسط حبات من العرق الذي راح ينتشر على جبهتها وصدغيها..

-لم تهنأ بنوم مُريح منذ هذه الليلة المشؤمة ..

وغلبت الكوابيس على أغلب حياتها ، في النوم والصحو .. في الليل والنهار .. أصبحت كل أوقاتها لاذعة المذاق كريهة الرائحة..

أخذت تتحرك في الفراش بتشنج وقد تقلصت تعابير وجهها وتحولت للذعر وكأنها رأت شبحاً أو ما شابه ذلك ، تلوت وهي تلهث بأنفاسها ويعلو صدرها ويهبط في حركات صاعدة وهابطة ..

وكأنها قطعت أشواطاً وأميالاً وهي تركض للفرار من هذا الكابوس ،

وعلى حين غرة..

دوى صوت صراخها في زوايا الحجرة والمنزل كله ، ولم تتوقف عن الصراخ والأستغاثات وهي تقبض براحتيها على رأسها لتُسكت أصوات هؤلاء الناس الكُثر التي تتردد في أذانها .. أصوات لحيوانات وأصوات لبشر يتهامسون بالقرب من أُذنيها وصوت المذياع وكأنه ينفتح وينغلق مرة أخرى لتتكرر الكّرة..

_حتى أنفتح الباب على مصرعيه ليظهر ظله في هذا الظلام .. مما جعلها ترتجف أكثر وتُزيد من حدة صوتها..

حتى قام هو بالضغط على زر الإنارة لتظهر الأضواء ،

وركض نحوها بذعر وهو يُطالع حالها المُثير للخوف..

الهالات السوداء من أسفل العينين ، والصُفرة القاتمة التي كست بشرتها .. وشعرها المُشعث وخصلاتها العالقة بجبهتها.. حقاً آلمه قلبه بقوة على حالها وهو يدنو منها ليجوارها في الفراش .. ثم أحتضن رأسها وهو يقول بنبرة مُطمئنة

يوسف : أهدي ياحببتي ، أهدي عشان خاطري ..

انتي معايا

_دفعت ذراعيه عنها بعنف وأبتعدت عنه وهي تتراجع للوراء حتى ألتصق ظهرها بظهر الفراش..

نظرت له نظرات مذعورة وقد أُصيبت أطرافها بإرتجافة قوية جعلته يخشى عليها كثيراً ..

فحاول أن يمسك بزمام الأمور قبل أن تنفلت منه أكثر من ذلك،

فرفع كفيه في الهواء مُعلناً عده مساسه لها ، ثم نطق بلهجة مُتحسرة

يوسف : خلاص انا بعيد أهو ، ممكن تهدي!

رزان وهي تضم ساقيها لصدرها بقوة ، وقد أصبحت كلماتها متقطعة غير مستوية : سيبني ، ل...

لوحدي

أطلع ، بره

_نهض يوسف عن الفراش وداخله يتمزق على حالها الذي وصلت إليه .. ثم أشاح بصره عنها وهو يقول راغباً

طمئنتها

يوسف : طب أستريحي ، وانا هكون بره لو أحتجتيني

_يعلم إنها لن تستجيب معه بعد هذه التجربة المؤلمة التي سقطت هي فريستها .. ولن يكون الأمر سهلاً عقب ما عايشته من ذكرى لن تفارقها مدى الدهر..

لذلك ، وبدون أن ينبس بكلمة واحدة .. خرج عن الحجرة وترك بابها موارباً حتى يطمئن على حالها من الحين والأخر..

ولكنها خالفت توقعاته ونهضت عن فراشها بساقين مُرتخيتين وصفقت الباب بقوة..

أسندت جبهتها على الباب لتترك عبراتها المُتألمة تنسال بغزارة .. فقد طُعنت طعنة غائرة فيما تملكه ،

<عُذريتها>

سُلب منها حقها في الحياة الكريمة .. وأنتُهكت كرامتها كَأنثى وسط مُجتمع أقل ما يُقال في حقه بأنه مُجتمع عقيم الأفكار .. جاهل برحمة الأديان.

تحركت مرة أُخرى نحو الفراش وجثت أمامه لتستند برأسها أعلاه وتترك جسدها الهالك على الأرضية وقد أرتفعت شهقاتها...

ورغماً عنها ، وخارج عن أرادتها .. ضربت رأسها ذكرى ذلك اليوم الكاحل الذي عايشته

و..............

....

((عودة بالوقت للسابق))

_منذ ستة أيام وسبع ليال.....

كانت رزان تقف أمام المرآة الطويلة ذات العرض الكبير في أحد المراكز الخاصة بإبتياع فساتين الزفاف والسهرة..

تتمعن النظر لنفسها وهي ترتدي فستان الزفاف الذي أنتقته ليكون ثوبها في هذه الليلة التي لطالما حلمت بها..

تمايلت يميناً ويساراً وهي تُحرك الثوب بفرحة غمرت فؤادها ، ثم أمسكت بالطرحة لتضعها أعلى رأسها حتى ترى أكتمال هيئتها في المرآة ..

تنهدت بإرتياح ثم تحركت لتمسك بهاتفها الموضوع على حقيبتها ثم رفعته عقب أن ضغطت على تطبيق " الكاميرا " وأخذت تلتقط عدة صور لها وهي تنظر للمرآة .. ثم عدة صور أخرى عن طريق الكاميرا الأمامية ، حتى أستمعت لصوت المسؤلة عن المركز وهي تقول من الخارج..

-كله تمام ياآنسة رزان ؟ ولا لسه في حاجة عايزة تتظبط؟

رزان وهي تُدقق النظر للثوب حتى تستكشف هل يوجد إي ثغرات تحتاج التعديل في الثوب أم لا :

لا يامدام ريم ، كله تمام

ريم : الف الف مبروك وربنا يتمم بخير

رزان : يارب

((رزان _ فتاة في العقد الثالث من العمر .. حاصلة على درجة البكالوريوس في الهندسة والديكور ، من أسرة متوسطة الحال .. لديها من الأشقاء أثنين يكبرون عنها ، أحدهم حاصل على درجة الليسانس في الحقوق ، والأخرى حاصلة على ليسانس في الأداب..

تمتاز بشرتها بالدرجة شديدة البياض ، بينما عيناها كَالوزتين

إذا تسلطت عليهما الشمس أشاعّتاْ نوراً بُنياً..

جسدها ليس بالنحيف وليس بالممتلئ ، بل

توسطت بينهما لتكون أمرأة ممشوقة القوام..

تمتاز بخصلات شعر قصيرة شقراء .. ذات اللون

البُني الفاتح ، يصل لما قبل كتفيها بقليل ،

ليضفي على هيئتها أُنثى شديدة الأنوثة((

_أصدر هاتفها رنيناً مرتفعاً بنغمته الصاخبة ،

فنظرت إليه لتجد إسم حبيبها الذي عشقته حتى

النُخاع..

فقفز قلبها فرحاً وهي تتلمس هاتفها لتُجيب على

إتصاله و.....

رزان بصوت مُبهج مثير للفرحة : حبيبي

يوسف بصوت عذب : قلب حبيبك ، طمنيني

وصلتي لفين؟

رزان وهي تتأمل إنعكاسها في المرآة : انا خلاص

خلصت البروڤة وشوية وهسيب السنتر

يوسف وقد تقوست شفتيه متهكماً : كل ده لسه

في السنتر ! ده انتي يومك بسنة يارزان

رزان بلهجة مُستنكرة : اللّه بقى! مش بشتري

كل اللي ناقص!

فاضل على الفرح أسبوعين بس ياچو

يوسف وقد أنخفضت نبرته تأثُراً بدلالها عليه :

طب متتكلميش كده ، صوتك بيحلو

رزان بصوت منخفض كاد يصل لدرجة الهمس :

حاضر

يوسف بلهجة آمره : وياريت تخلصي وتروحي على طول عشان بقلق عليكي ياروز

_تحركت رزان من أمام المرآة ثم خطت بثبات وهي تحمل الفستان لتكشف عن الخارج .. ومن ثم أشارت لأحدى العاملات بالمركز لكي تحضر لمساعدتها في نزع الثوب عنها

فحضرت سريعاً لتعاونها ، بينما أنجزت هي في الحوار معه حتى تنتهي مما وراءها من تلال لن تنتهي و....

رزان : ماشي ياحبيبي ، هقفل معاك وأكلمك بعد ما أخلص

_أغلقت هاتفها ثم أستدارت برأسها نصف إستدارة وهي تهتف

رزان : الفستان مظبوط ، ياريت بعد الغسيل والمكوى تبعتوه على العنوان اللي سيبته بره

العاملة وهي تبتسم لها بمجاملة : حاضر يافندم!

))يوسف عدنان السويفي ، سليل عائلة السويفي الشهيرة والتي تمتلك قطاعاً كبيراً للسياحة في مصر..

يبلغ من العمر ستة وعشرون عاماً ، حاصل على دبلومة (ماچيستير) في الهندسة

قرر الإنفصال عن عمل والده في السياحة لفتح شركة صغيرة لأعمال الديكور .. بجانب حصولة على بطولات جمهورية عديدة في المُلاكمة ، مما جعل عرض جسده كبيراً مجسماً .. شعره أسود كاحل ما بين الغزارة والخفة ، وعينان قاتمتان زادت من جاذبية ملامحه الحنطية))

....

_على أحد المقاهي الشعبية بداخل الشوارع الضيقة..

جلس هؤلاء الثلاثة من الرجال على مقاعد خشبية شبه مُتهالكة .. يسحبون أنفاساً ملوثة

من مِبسم النرجيلة (الشيشة) لصدرهم ..
ويطردون الأدخنة بشكل متباطئ.

كان أحدهم يُتابع المارين بالطرقات من النساء..
فيأكل من أجسادهن بنظرات جائعة من عينيه ..
ويسمح بلسانه على شفتيه بصورة مقززة مُثيرة
للإشمئزاز ،

ثم تحرش لفظياً بأحدهن وألقى على مسامعها
مُغازلة صريحة وجريئة بذكر محاسن جسدها
المتواري خلف عباءتها السوداء .. فأسرعت تلك
السيدة بخطوات متعجلة لتبتعد من أمام المقهى
عقب كلماته المتحرشة والتي أصابتها بالرغبة
في التقيؤ..

فقهقه هو بقهقهات مستفزة وهو يلتفت بجسده نحو رفيقيه ويقول بصوت متحشرج

حسان : وبعدين يارجالة ، الحالة شحة على الأخر وانا بكح تراب

رضا وقد فرغ من طرد الدخان العالق بصدره : هنعمل إيه يعني ياحسان ياخويا ، من ساعة الدنيا ما غليت علينا وإحنا شاربين المُر .. حتى الناس بقت تدفع أجرة المكروباص بالضالين (بالعافية)

_ألتفت رضا لينظر حيث ثالثهم (حمودة) وهو يقول عبارة ساخراً أتبعها بقهقهه عالية

رضا : مفيش غير عمنا ده صاحب التاكسي هو اللي مقضيها على الأخر والدنيا سالكة معاه

_سعل حمودة بشدة عقب هذا الحديث ثم بصق جانباً بصورة بشعة وتابع بضجر

حمودة : ياعم ما تبعد عينك عني ، دي الدنيا قافشة معايا على أخرها ، ولولا شغل البت بنتي ومساعدتها في مصاريف البيت كان زماني بشحت في السيدة

حسان وهو يسحب أنفاساً طويلة من مبسم النرجيلة : الظاهر كده الواحد هيسرق عشان

يكفي بيته ، ده حتى الحشيش ياجدعان غلي والواحد مبقاش عارف يتكيف

_ألتقت حمودة هاتفه الصغير والمنعدم الأمكانيات حتى ينظر في ساعته ، ثم تركه ونهض عن مكانه ليخرج بعض الورقات النقدية من جيب بنطاله ثم وضعها أعلى الطاولة وهو يقول

حمودة : الساعة بقت خمسة وانا لازم أشوفلي إي مصلحة قبل ما أروح ، انا كده حاسبت لنفسي يارجالة .. يلا سلامو عليكو

رضا : وعليكو ياأبو أحمد

حسان وهو يطرق على الطاولة بنفاذ صبر :
وبعدين في الملل ده يارضا ، تعالى نلعب عشرة
على المشاريب

رضا وهو يعتدل في جلسته ليواجهه : وماله
حسونة ، يلا

....

_كان يوماً مرهقاً بالنسبة لها ، حيث قضت
مُعظمه في شراء حوائجها والبحث عن النواقص
بالمتاجر..

وعقب أن شعرت بتأخير الوقت.. نظرت لساعة
يدها لتجدها التاسعة والنصف ليلاً ، فحدقت
بعينيها وهو تهمس لحالها

رزان : ياخبر أبيض ؟ ده الوقت سرقني خالص .. ومش هينفع أركب مواصلات وأتبهدل بكل الشنط دي

_كانت تحمل الكثير من الحقائب البلاستيكية والقماشية .. فعجزت عن إستقلال المواصلات العادية لصعوبة الإنتقال خلالها بكل هذا الكم من الحقائب ، لذا وبدون تفكير ، قررت إستقلال سيارة للأجرة..

لحظات وكان " حمودة " يقف أمامها بسيارته الأجرة عقب أن أشارت إليه..

فأنحنت بجسدها لتقول له من خلال النافذة....

رزان : التجمع الخامس لو سمحت

حمودة وهو يتأمل هيئتها التي تنم عن ثرائها :

اتفضلي ياأنسة ، بس هاخد سبعين جنيه المشوار طويل

رزان وهي تهز رأسها بموافقة : ماشي معنديش مشكلة خالص

_أستقلت المقعد الخلفي عقب أن وضعت الحقائب ثم بدأت في إستخدام الأنترنت لمراسلة " يوسف " عن طريق تطبيق (الواتساب) للدردشات الكلامية .. حتى لا تثير حنق السائق ضدها عندما تحدثه أمامه..

فكان يوسف غاضباً منها لعدم وفائها بحديثه وتأخرها عن المنزل كل هذا الوقت .. فبدت محادثتهما حادة بعض الشئ و......

-يعني ينفع كل التأخير ده ياهانم

-حبيبي معلش غصب عني محستش بالوقت

-وبعدين تليفونك مقفول ليه ممكن تقوليلي؟

-الشبكة وحشة واللّه، خلاص بقي يايوسف

-خلاص إيه بس يارزان ، دي الساعة داخلة على 10 وانتي لسه في الشارع لوحدك

_كانت تشعر بالفرحة لخوفه عليها وحرصه على أمانها ، فكانت بين الحين والآخر تبتسم بدون إنتباه منها لمراقبة السائق لها عن طريق المرآة..

فقد كان " حمودة " يتطلع لثيابها المُهندمة وهاتفها الباهظ الثمن كما لاحظ إرتدائها لبعض المصوغات الذهبية..

وأيضاً كل هذه الحقائب التي وضعتها جوارها وكأنها حفل شراء..

كل هذه المقومات جعلت منه حانقاً على حياته كارهاً لها ، فقال بين خلجات نفسه

-كان المفروض أطلب أكتر من سبعين جنيه ، شكلها بنت بهوات ! مش عارف أمتى الحظ هيلعب معانا بقى بدل العيشة المُرة دي ! الواحد كره نفسه من الأشكال اللي بيشوفها ! تلاقي الفلوس في شنطتها ملهاش حساب!

_أراد أختبار ما بحوزتها حتى يُتمم تنفيذ مُخططه ، فضيق عينيه بخُبث داهي ثم نطق بصوت أجش

حمودة : معاكي فكة ياأنسة ؟

رزان وهي ترفع رأسها عن شاشة الهاتف لتقول : ثواني هشوفلك ياسطى

_قام هو بتدقيق نظره في المرآة ليرى ما بحوزتها

.. ورغم إنها لم تُخرج إية نقود خارج الحقيبة إلا

إنه لمح ورقات نقدية فئة المئتان جنيه..

فأنفرج فمه وسال لُعابه .. ثم تأكد بإنه قد

أصاب الهدف في إختيار فريسته ،

أنتظر حتى أجابته و.......

رزان : لأ للأسف مش معايا ياسطى!

حمودة وهو يتأمل الطرقات من حوله : خلاص

يا أنسة هقف أنا عند إي كُشك (محل صغير)

أشتري سجاير وأفك .. ماشي؟

رزان بصفو نية : اه أتفضل

_وقف حمودة بسيارته لدى أقرب محِل صغير لبيع السجائر والمشروبات الباردة ، ثم أبتاع عُلبة من السجائر الركيكة وأخرج هاتفه وهو يبتعد عن المحِل وبدأ في مهاتفة أقرانه و........

رضا وقد أتسعت حدقتيه بعدم تصديق : بتكلم جد ياحمودة؟

حمودة وهو يطالع فريسته بزاوية عينيه : بقولك البت معاها قد كده غير الدهب ، تعالو نقلب المصلحة كده ونطلع بقرشين حلوين .. والبت شكلها هبلة وهنقدر عليها

رضا وهو ينهض عن الطاولة وقد تعبأ داخله بالحماسة : طب بص ، انت تاخدها على طريق (

....) وانا هجيب حسان بالمكروباص ونطلع على هناك دلوقتي ، نثبتها ونقلبها وبعدين نخلع

حمودة وقد شعر بالإنتشاء : طب يلا بسرعة بقى

_أغلق حمودة هاتفه ثم توجه نحو سيارته سريعاً ليقودها مرة أخرى..

بينما سرد رضا تفاصيل المكالمة التليفونية على ثالثهم حسان .. ليشعر بتلهف غير عادي وهو يقول

حسان : ماهو حمودة طلع بيفهم أهو ! طب يلا بينا بسرعة مستني إيه ؟ دي الحالة ضنك

رضا : يلا

_أنطلق رضا ، حسان .. عن طريق عربة النقل (الميكروباص) الخاص بهم .. حيث توجهوا لهذا الطريق الخاوي من الناس والمارّة لكي يُسهل عليهم الإنفراد بتلك المسكينة وسرقة نقودها وممتلكاتها من النقود والذهب..

_في هذا الحين..

كانت " رزان " قد أنتهت من محادثة يوسف ، والذي أصر على وجوده معها حتى وإن كان عن طريق المحادثات .. حتى يطمئن أكثر على

سلامتها ، ولكن فرغ شحن الهاتف الخاص به فأضطر آسفاً أن يستعد لتوصيله بالكهرباء..

-أنتبهت رزان لهذه الطرقات التي لا تعرف ماهيتها .. والظُلمة الكاحلة التي تعُم الأجواء من حولها ..

فأستشعرت بالخوف يتسرب بداخلها وهي تقول بحدة

رزان : انت رايح فين ياسطى ! مش ده الطريق؟

حمودة وهو يكافح من أجل ألا تستشعر الخطر : الطريق واقف ياآنسه والساعة بقت 11 وانتي

ولامؤاخذة مش مركزة معايا عشان تعرفي إننا واقفين في الإشارة لينا نص ساعة!

_قرر أن يستخدم أسلوباً يشعرها بعدم إنتباهها لما يحدث حتى يبث في نفسها عدم الخوف .. ولكن حاستها كانت أقوى من حديثه ، فقالت بنبرة غير مصدقة...

رزان : طب... إحنا فين دلوقتي ؟

حمودة وقد أصابه الإرتباك من سؤالها المُباغت : هه ! دلوقتي نخرج للشارع العمومي ونعدي من الزحمة

رزان وقد تأكد شعورها بالخطر وأنتفض قلبها بخوف : طب نزلني هنا وانا هتصرف

_أسرع حمودة من سرعة قيادته ليصل بها حيث المكان المُتفق عليه عقب أن كشفت أمره..

مما جعلها تندفع لفتح باب السيارة لتلقي بنفسها خارجها حتى تنجو من براثنه .. ولكنه كان أسبق منها بإغلاق كافة أبواب السيارة ، فصرخت فيه وأخذت تضرب على ذراعه لئلا يتوقف عن القيادة ولكنه لم يفعل و فظهر الرجاء في نبرتها وهي تُغريه قائلة....

رزان : هديلك الفلوس اللي أنت عايزها ، بس سيبني أنزل ربنا يخليك

_لم تُجدي محاولاتها إية فائدة..

فأمسكت هاتفها بأصابع مرتجفة وأخذت تتجول بين التطبيقات المُحملة عليه حتى وصلت للتطبيق المناسب..

والذي من خلاله قامت بإرسال موقعها ل (يوسف) حتى يقوم بأي فعل لصالحها عقب أن ينفتح جهازه المغلق..

كادت تستكمل رحلة البحث عن نجاتها وتتصل بأحد أفراد عائلتها .. ولكنها تفاجئت بأيديه

الباطشة هوت على ذراعها ورأسها ليسقط هاتفها من يديها..

ثم توقف حمودة بسيارته فجأة .. لتبصر هي برجلين يقفان أمام عربة النقل ، فتوجست خيفة من هيئتهم ونظراتهم الموحية بالشر لها..

تكبدت العناء من أجل أن تستطع فتح أحد أبواب السيارة ولكنها عجزت .. عجزت حتى عن كسر زجاجها ، كانت تصرخ بصوت ممزق خارج من صميم فؤادها المرتجف..

تلاحقت الأفكار في رأسها حول ماسيفعلونه معها ، فكانت كل فكرة أسوأ من ذي قبلها ، بدأت أنفاسها تتلاحق وتلهث وكأنها تركض .. حتى تفاجئت بوقوف أحدهم أمام الزجاج لينظر لها

بتفحص شديد ، ثم أنفرج فمه بإبتسامة مُتسلية

وأشار ل " حمودة " لكي يفتح له باب السيارة

ليستجيب له الأخير..

أبتعدت عن الباب لتستند بظهرها على الباب

المقابل ، ولكنه

أنفتح هو الأخر لتعود بجسدها للخلف بسهو..

كادت تسقط على ظهرها خارج السيارة ولكنها

تماسكت ، فوجدت من يُطبق على ذراعها لكي

تغادر السيارة وهو يقول

حسان : إنزلي ياحلوة بالزوق ، عشان نبقى حلوين

مع بعضينا كده ومنضطرش للعنف

_إنصاعت له وهي تهز رأسها عدة مرات متتالية ،

فقد ظنت إنهم سيسرقون ما تحمله ومن ثم

يذهبون لحال سبيلهم .. فلم يعنيها الأمر شيئاً

والمهم هو حياتها ونجاتها..

وقفت بساقين مهزوزتين ترتجفان من فرط الخوف

..

وحتى وجهها قد أمتلئ بقطرات العرق الباردة التي

تناقضت مع اللهيب الذي نشب بداخلها..

وقف رضا وحمودة قبالتها ، بينما كان حسونة

مُطبقاً على ذراعها بقوة آلمتها ، ولكنها لم تُظهر

ذلك..

فبادر حمودة قائلاً بلهجة غجرية حادة

حمودة : بصي يابنت الناس ، لو عايزة تمشي من هنا على رجليكي يبقى قبي (أدفعي) بالمصلحة

رضا وقد أغراه جمالها : يلا ياحلوة متعطليناش

_أبتلعت رزان ريقها كًالعلقم في حلقها .. ثم أشارت بأصابع مرتعشة نحو السيارة وهي تقول

رزان : كل حاجة ... في الشنطة هناك ، خدوها وسيبوني

_لاحظ " حسان " بريق هذه القلادة الذهبية

اللامعة على صدرها .. فمد يده وهو يتعمد تلامس

جسدها لكي يختطف القلادة ، فدفعت يده

بعيداً عنها بتشنج جلي عقب أن أجتذبها .. فبدون

قصد منها أحيت بداخله غرائزه الحيوانية لينظر

لها بإشتهاء مريض ،

ثم غازلها غزلاً صريحاً أستخدم فيه تشبيهات

وألفاظ

بذيئة للغاية و.....

دايماً تلاقيها

حسان : ما براحة علينا ، ولا حلال لغيرنا وإحنا

..... و....

رضا بلهجة عابثة : أهدى عليها ياحسونة دي ورور

(صغيرة)

_وصل داخلها لدرجة من الغليان جعلتها تصفعه بقوة .. لتكون صفعتها بين رقبته وصدغه ، لم يتوقف حينذاك ، ولكنه أنقض عليها بثقله لتسقط أرضاً..

وقام بإعتداء جنسي متوحش عليها..

كان يختطف القُبلات من كل زاوية يصل إليها عقب أن أنتزع حجاب رأسها بهمجية ، بينما كانت تدفعه بأقصى ما أُتيت من قوة.. ولكن رغبته في إلتهامها فاقت قواها ،

هذا المشهد المُثير للغرائز جعل " رضا " ينضم إليه ليعاونه في إعتدائه وإغتصاب حق هذه البائسة في الحياة..

في حين كان " حمودة " في مأزق من أمره ، ولكنه أقترب منهما ليهتف بلهجة خافتة

حمودة : يخرب بيتكوا .. انا قولت نقلبها مش نغتصبها ، احنا عندنا ولايا (ستات)

_لاحياة لمن تنادي! ، لقد أنغمسا في مُحرماتهم ولم يستمعوا إليه .. بل إنهم تمادوا في أفعالهم الوحشية..

أنتزعا ملابسها.. جردوها من ساترها ، ولم يكن لعويلها وصراخها إية ثمن .. ولم تكفي كمية الأدرنالين لديها لتصد عن حالها أذاهم ، يفضحون جسدها ويكشفون عورته .. فتجاهد لتوريته بذراعيها ولكنهما لم يكونا كافيين لستر كل ما ظهر لهم..

أقتحموا حدودها ، وأخترقوا قدسية عذريتها ليسلبونها إياها بلا رحمة .. بلا شفقة .. بلا إعتبار لهذا العلي الجبار الذي ينظر إلى فعلتهم الشنيعة في حق الإنسانية..

-ودت لو أنها تفقد حياتها الآن ، حتى تستريح من هذا العار الذي لحق بها .. سالت للدموع كَفيض



النهر من عيناها وهي تتوسلهم بصوت مُنتحب متقطع لتركها ، ولكن....................

....

الفصل الثاني

_قام يوسف بتشغيل هاتفه فور وضعه على وضع الشحن الكهربي .. وسرعان ما قام بالإتصال بها وهو ينظر لساعة يده بقلق بيّن ، فتلك هي المرة الأولى التي تتأخر بها خارج المنزل..

وما زاد من الأمر سوءاً هو إنغلاق هاتفها وعدم قدرته على الوصول إليها.. فأشتعلت رأسه بالتفكير وقد خطر على ذهنه كل أشكال الأذى التي من الممكن أن تكون قد تعرضت لها ..

حاول مرة تليها الأخرى بالأتصال بها..

وفي إحدى المرات ، أنقطع أتصاله نتيجة

مُكالمة تليفونية واردة له .. جعلت أنفاسه

تتوقف لوهلة ، حيث كان والد " رزان " هو

المتصل..

لم يستطع أن يفكر في ما عليه قوله أو فعله ،

فقد تأكدت ظنونه بإنها لم تصل لبيتها حتى

الأن..

ضغط على هاتفه للرد وقد أصابه الحرج الشديد

و....

يوسف بصوت يشوبه رعشة مُتخفية : مساء الخير

ياعم مصطفى

مصطفى بصوت مرتفع قليلاً على أثر غضبه الشديد : مساء إي بس يابني ، قصدك تقول صباح .. وهييجي منين الخير!

يوسف وهو يحك عنقه بتشنج عقب أن شعر بإختناقة تخالجه : ليه بس ياعمي؟ آ......

مصطفى : رزان مجتش لحد دلوقتي يايوسف ومش عارفين نوصلها .. انت كلمتها يابني ولا تعرف عنها حاجة ؟

يوسف وهو يضغط بأصابعه على جبهته ليُسكت هذه

الأصوات التي تطارده : اه ، هي بس مكانتش لاقيه مواصلات ياعمي ، زمانها في السكة .. وانا هقفل وأحاول أكلمها تاني

مصطفي بقلق شديد : طمني يابني أول ما تعرف حاجة

_ولجت السيدة " دولت " لحجرة ولدها الأكبر يوسف ، لكي تجده على هذه الحالة الغير طبيعية..

فأنعقد ما بين حاجبيها بذهول وهي تتسائل

دولت : مالك ياچو ؟

يوسف : مفيش

_قالها بعجالة من أمره وهو يتوجه نحو ضلفة خزانته .. حيث ألتقط (تيشيرت) قطني أسود اللون .. وبدأ في إرتدائه سريعاً ، بينما لم يسلم هو من إلحاحات والدته المستمرة لمعرفة ما يحدث

و....

دولت : لأ أنا لازم أعرف في إيه؟ وانت بتلبس ورايح فين؟

يوسف بلهجة منفعلة : بصي ياأمي سيبيني في حالي دلوقتي اللّه يخليكي

_تركها لينصرف ولكنها وقفت أمامه حائلاً مانعاً من خروجه ، وبضجر قالت....

دولت : رد عليا يايوسف وفهمني رايح فين الساعة واحدة بعد نص الليل

يوسف وقد نفذ صبره فأضطر لإرضاء شغفها : رايح أدور على مراتي ، لسه مرجعتش بيتها وتليفونها مقفول

دولت وقد أرتفع حاجبيها بذهول : معقولة ! طب وانت هتدور عليها في الشوارع ولا إيه؟ كلم حد من معارفك في الداخلية وهما يتصرفوا

يوسف : هيقولولي بعد ٢٤ ساعة ، وأنا مش مش هستنى حد

_تجاوزها بخطى متعجلة ، لتلحق به وهي تقول

دولت : طب أستنى هاجي معاك

يوسف وهو يركض على الدرج متعجلاً : مش هينفع أستناكي ياماما ، هابقي أطمنك

_فتح يوسف باب منزلهم الكبير .. ليجد أخيه الأكبر والذي كاد أن يفتح هو الباب ليمرق خلاله ، ولكنه تفاجأ بهيئة أخيه وأُصيب بالفضول وهو يتسائل..

غيد : رايح فين الساعة دي يايوسف؟

يوسف : مش وقته ياغيد ، سيبني دلوقتي

_عبر بوابة المنزل ليتوجه منها نحو سيارته ، وبسرعة البرق كان ينطلق بها وقد أحدث خلفه هالات من الغبار .. بينما ولج غيد للمنزل ليجد والدته تنظر له من الأعلى وتقول بلهجة متوترة

دولت : تعالى ياغيد ، تعالى وصلني لبيت مرات أخوك

غيد وقد أتسعت حدقتيه بعدم إدراك لما يحدث حوله : في إيه ياماما؟

دولت : رزان مش لاقينها ، وأخوك خرج يدور عليها

غيد وهو يحبس أنفاسه بصدره : لا حول ولا قوة الا باللّه ، ربنا يستر .. طب ألبسي وانا هوصلك

))غيد .. الأبن الأول والأكبر لعدنان السويفي ،

يبلغ من العمر تسعة وعشرون عاماً ، قام بإدراة مجموعة من شركات السياحة التابعة لوالده .. عقب أن أولاه إياها ليكون المُدير التنفيذي لها..

يختلف في طباعهُ عن أخيه " يوسف " كثيراً .. فهو حاد الطباع غير مُحب للمرح والفكاهة ، حياته مُكونه من عمله وأهل بيته فقط..

أما عن تفاصيل وجهه ، فقد ورث ملامح والده وليس والدته.. حاجبين متساويين أعلى عيون بُنية غامقة ، وبشرة خمرية صافية .. بجانب أنف

معقوف وشفتين مكتنزتين ، شعرهُ خفيف ذي لون أسود كَوالدته)

((دولت _ أم لثلاثة من الأبناء وزوجة لعدنان السويفي ، كانت من أسرة أرستقراطية .. وتنحدر سلالتها للأسرة الملكية التي كانت تحكم مصر في أحد العصور .. ولذلك أكتسبت سماتهم وخصائصهم ، ذات خصلات شعر ناعمة و سوداء .. ملامحها تخلط بين الشرق والغرب ، عينان بلون الرماد أضافتا عليها نكهة غربية جميلة))

_كان يسير في الشوارع كَالمجنون أو التائه الذي ضلّ طريقه..

ولكن هداه تفكيره لمهاتفة أحد أصدقائه من ضباط الشرطة ، عسى أن يستطيع مساعدته في شئ..

وسرعان ما جاءه الرد و....

علاء : اهلا ياچو ، كنت غايب فين ياأخي!

يوسف وهو ينظر للطريق أمامه بنظرات زائعة : معلش مش وقته الكلام ده ياعلاء ، انا محتاجك في خدمة ضروري

علاء وقد شعر بالريبة من هذه النبرة التي ظهرت في صوت صديقه ، فأسرع قائلاً : في إيه يايوسف ! خير

يوسف وهو يضرب على مقود سيارته بغيظ جلي :

مراتي ، مش لاقيها وغايبة عن البيت لحد دلوقتي

علاء وهو ينظر لساعة الحائط ثم تابع مستنكراً

: لحد دلوقتي !! دي الساعة إتنين بعد نص الليل

؟

يوسف متنهداً بحنق : هو بكلمك عشان أسأل

عن الساعة ياعلاء!

علاء متنحنحاً بحرج ، ثم ضبط لهجته لتكون

أكثر جدية : طيب يايوسف ، انا هشوف الموضوع

ده من ناحيتي .. وهشوفلك كمان المستشفيات

يوسف : ياريت يا علاء ، حاول تعمل حاجة

علاء : حاضر حاضر، متقلقش انت

_أغلق هاتفه ثم توقف بسيارته أمام العقار الذي تقطن به " رزان .. نظر بوحشة للعقار وقد أنقبض داخله بشده ، ثم ترجل عن سيارته وقام بإغلاقها إلكترونياً ، ثم توجه لداخل العقار لكي يصعد أعلاه..

كانت أسرة " رزان " في حالة قلق وتوتر شديدين .. والأجواء مُلغمة من حولهم ، حتى أستمعوا لصوت قرعات على الباب .. ليركض مصطفى وزوجته وإبنه إيضاً في آنٍ واحد ظناً منهم بإنها قد حضرت..

ولكن خاب ظنهم عندما وجدوا " يوسف " هو الطارق!

زادت قلقهم وأصابهم الذعر خوفاً من أن يكون " يوسف " قد علم بشئ ويخفيه عنهما .. فقال مصطفى بصوت هادر

مصطفى : بنتي جرالها إيه يايوسف ! فين بنتي!

إلهام وهي تضرب على صدرها وقد على صوت نواحها : يالهوي ، بنتي أكيد جرالها حاجة .. ده مش تأخير مواصلات أبداً يارب أستر يارب

مصطفى وهو ينظر لساعة الحائط : انا هنزل اعمل بلاغ، مش هقف متكتف هنا

_كان يوسف عاجزا حتى على مواساتهم ..

وكيف يواسيهم وقد فشل في إقناع حاله بإنها بخير.. !!

بينما كان والدها قد تأهب منذ وقت لكي يذهب للمخفر ، عسى أن يستطيعون إيجادها ..

ولكن أوقفه يوسف وهو يقول بلهجة متقطعة

يوسف : ياعمي ... انا .. كلمت ناس في الداخلية ، وزمانهم بيتصرفوا

أحمد بصوت متوتر للغاية : طب كلمهم يمكن يكونوا وصلوا لحاجة!

_أستمع يوسف لصوت أقدام تقع على الدرج ،
فخفق قلبه بشدة وتحرك سريعاً لينظر عسى أن
تكون هي ، لتطفئ نيران قلبه المشتعلة ..
ولكنه تفاجأ بإنها والدته وأخيه الأكبر ..
فضرب الأرض بقدمه بعد أن خاب ظنه مرة أخرى ،
حتى وجدهم أمامه و.......

غيد : عرفتوا حاجة ولا لسه!

يوسف وهو مُنكس رأسه بخيبة : لأ

دولت وهي تنظر لساعة يدها بتوتر : مش معقول
كده ! إحنا خلاص داخلين على الفجر!

مصطفى وقد شعر بإهتزاز الأرضية من أسفله : آآآه

_أمسك به يوسف قبيل أن يسقط وسانده " أحمد " إيضاً .. حتى وصلا به لأقرب أريكة ، بينما ولجت أسرة يوسف للداخل وأغلق " غيد " الباب وهو يقول

غيد : تحبوا أطلب دكتور ؟

إلهام وهي تتحرك سريعاً نحو المطبخ لإسعاف زوجها : انا هجيب شوية كركدية عشان يظبط الضغط

أحمد وهو يفرك كفيه بتوتر : طب وبعدين ، مفيش إي حاجة نعملها!

يوسف وهو يُلامس هاتفه : انا هكلم علاء أشوف وصل لحد فين !؟

_وبعد لحظات معدودة ، كان علاء يجيب على هاتفه بصوت متفائل و.....

علاء : هي ملهاش أثر في المستشفيات ، ودي حاجة كويسة

يوسف وهو يضرب على غُرة رأسه بقوة : أمال هتكون فين بس .. فين!

_كان إمام المسجد المجاور يستعد لإقامة صلاة الفجر .. عندما توقفت هذه السيارة الأجرة أمام مدخل العقار القاطنة هي به..

نظرت " رزان " للعقار من خلال النافذة الخلفية نظرات خاوية من الحياة .. هي ليست سوى عظاماً يكسوها اللحم والجلد فقط ، لا حياة ولا نبض ولا شعور..

ترجل السائق عن مقعدة الأمامي وأستدار لكي يفتح لها الباب لكي تترجل هي الأخرى .. بدت نظراتها نحوه مذعورة خائفة ، ولكنه أبتعد عن باب السيارة وهو يرمقها بنظرات مُشققة على حالها .. حتى كادت عينيه تُدمع من فرط الألم ،

فقال وهو يُشيح ببصره عنها

السائق : أنزلي يابنتي ، منهم للّه ولاد الحرام اللي عملوا فيكي كده

_أبتلعت مرارة كلماته وهي تقبض على جفنيها بقوة لتسيل منها الدموع .. كانت دموعها سوداء ملوثة بأدوات التجميل التي بهتت من ملامحها..

وبإقدام مرتعشة حاولت أن تترجل عن السيارة وهي تشد على هذه القطعة من القُماش البالي الذي سترت به عورتها ووارت بها جسدها العاري..

جاهدت لتستر حالها ظناً منها بإنها عارية وقد ظهر جسدها للجميع .. ثم ضغطت على الأرضية بقدميها وهي تسير نحو العقار ، وقد تعقبها

السائق عقب أن أغلق سيارته ليطمئن على صعودها للمكان المنشود..

كانت تصعد الدرج وهي تنظر حولها بتوجس .. تعتقد أن كل العيون مترصدة لها.. وكلهن ينظرن عليها ، وكأنها أرتدت ثوب العار والفضيحة..

أخذت تُلملم هذا الغطاء الذي يواريها حتى لا ينفلت منها وهي تبكي صامتة بغزارة شديدة..

أستندت على جدران العقار وهي تصعد ، وكأنها تتمسك به لئلا تسقط فاقدة وعيها .. حتى تفاجئت بصوته من خلفها لتنفض فزعاً و....

السائق : تحبي أنادي على حد من أهلك يابنتي ينزل ياخدك!

رزان بفزع : ها!!!؟

السائق وهو يعود بجسده للوراء : متخافيش يابنتي ، انا غرضي أساعد بس!

_تركته وركضت .. دُفعة واحدة من الأدرينالين تدفقت بجسدها جعلتها تركض إعتقاداً إنهم خلفها . يتعقبونها ولن يتركونها حتى الخلاص .. تأكل الدرج لتبتعد عنهم ، ولكنها كانت تتوهم .. حتى وقفت على أعتاب شُقتها وضربت عليها بأقصى قوة..

_في هذه اللحظة ، أنتفض يوسف وتحرك ليفتح الباب..

فإذا بالكارثة تضرب كُل حواسه .. وتصيبه في مقتل..

يوسف : آ ..... ر رزان!!

جابت عينيه كل ذرة فيها ، شعرها الفوضوي الغير مُغطى بالحجاب .. وهذه القطعة القديمة الملفوف بها جسدها ، ووجها المُحمر بشدة وعيناها المنفوختين والملوثتين بآثار مستحضرات التجميل..

أرتعشت بشدة وهي تقف أمامه ، ولكنها لم تكن تراه .. كانت ترى أمامها ظلالاً كثيرة لأناس لا تعرفهم..

بينما كانت والدتها تقف كَالصماء .. حتى صراخها لم يصدر عنها ، ولم يختلف الحال عند والدها الذي أستند على الحائط حتى لا يسقط عقب أن أنحنى ظهره..

_وفجأة .. تركت جسدها أخيراً ليسقط مُرتخياً على ذراعيه اللاتي ألحقن بها قبل أن تلمس الأرضية و........

....

_لا تعي كم من الوقت مر عليها وهي فاقدة للإدراك..

فقط أفيقت للنظر إلى أعلى ، فإذا بالسقف يجري والأضواء تركض أمام عينيها..

أستغرقت دقائق معدودة لتعي إنها أعلى فراش نقال بالمشفى ويتم نقلها لقسم الطوارئ .. أستمعت لهذا الصوت المألوف بالنسبة لها ، فأخترق سمعها و.....

يوسف : براحة عليها لو سمحتي

الممرضة وهي تُحرك الفراش مُندفعة للأمام بتهور : متقلقش ياأستاذ

_تحرك الفراش المعدني الصغير لداخل القسم ، بينما أغلقت الممرضة الباب وهي تقول

الممرضة وهي ترفع كفها أمامهم : ممنوع الدخول لحين إنتهاء الكشف.. عن أذنكوا

_تحرك يوسف بتوتر شديد وهو يفرك كفيه سوياً.. بينما بكت السيدة " إلهام " بُكاءاً حاراً وهي تقول

إلهام : معقولة يكون طلعوا عليها حرامية؟

أحمد وهو يضرب بقبضته عرض الحائط :

شكلهم سرقوا منها كل حاجة ولاد ال****

دولت وهي تهز رأسها آسفة لما حدث : ربنا يقومها بالسلامة وكل حاجة تتعوض

_لحق بهم " غيد " عقب أن أستفسر عن مكانهم .. فأنضم لهم وهو يقول

غيد : انا أتكلمت مع السواق ، قالي إنه كان سايق نص الليل ومروح بيته .. وفجأة لقى رزان ظهرت قدامه وشاورتله عشان يقف ، ولما وقفلها لقاها على الحالة دي

إلهام وهي تبحث عن إية ثغرات بالموضوع : مش يمكن هو اللي سرقها وبهدلها و....

دولت بلهجة مستنكرة : هو إيه بس ياإلهام! يعني ده جزاء الراجل لإنه وصلها وكمان مفكرش يهرب ولا يقول ماليش دعوة

إلهام وهي تضغط على رأسها بقوة : انا هتجنن ، يكون إيه اللي حصل يعني!

يوسف وقد نفذت طاقته فصرخ بهم جمعياً بصوت أهتزت له أنحاء المشفى : أرحموني ياناس ، كفاية كلام وترجيحات انا فيا اللي مكفيني

_كان " مصطفى " كَمن لا وجود له .. منذ أن وقعت عينيه على هذه الحالة التي عليها أبنته وهو مُلتزم الصمت على غير عادته..

يشعر بالخزي لرؤية السيدة دولت لها " رزان " على هذه الحالة .. فمهما كانت الظروف هي حماة لها ولا يجب أن تراها هكذا يوماً .. هكذا كان يُفكر ، وقعت التساؤلات على رأسه وقعاً مؤلماً ، فقد كان فضوله لمعرفة ما حدث يتعدى الحدود ويفوقها..

بينما كان يوسف على النقيض تماماً .. وكأنه يودّ أن لا يعرف ما حدث ، يريد سلامتها .. أن

يلمس كفها من جديد ويشعر بأنفاسها تُحاوطه ..

مهما كانت الظروف المُحيطة ،

وإياً كان ما وقع لها ، لا يريد معرفته..

_بداخل قسم الطوارئ .. أستشعر الطبيب مجرد رؤيتها " رزان " ما قد يكون وقع لها..

فقام بفحصها فحصاً دقيقاً ، لم تشعر هي به عقب أن غابت في غيبوبتها مرة أخرى..

فوجد الطبيب كدمات أصبعية وسحجات ظفرية (خدوش بالأظافر).. كما وجد التجمعات الدموية والتي أدت لظهور بعض الأورام على فخذيها نتيجة مقاومتها لهؤلاء الذين أغتصبوا حقها في الحياة..

كما وجد أثار لضربة مُدمية على الفم قد أورتها الأتربة..

شعر الطبيب بغصة مُرّة في حلقه وهو يرفع رأسه ليرمقها ، أشفق على حالها وود لو أستطاع مساعدتها..

لذلك وبدون أدنى تردد هتف محدثاً مُساعدته ب....

الطبيب : عايزك تبلغي الأدارة فوراً عشان يعملوا محضر بواقعة إغتصاب شديدة القسوة، أدت لإفتضاض عذاري وكدمات بإماكن مُتفرقة من الجسم وخربشات بالضوافر ، بجانب الورم

المتكون على الفخدين .. وانا هجهز التقرير اللي هيتم إرفاقه للمحضر

الممرضة وهي تزم على شفتيها بضيق : طب .. أهلها بره يادكتور

_تنهد بحنق ، غير قادراً على مواجهة هذه الأسرة التي تنتظر خبر سلامة إبنتهم ليصيبهم هو بالخيبة.. ولكنه تحرك لمغادرة الغرفة عقب أن أعطى أوامره بنقلها لحجرة خاصة لتكون تحت الرعاية المُشددة و.....

يوسف بصوت متلهف : طمني هي عاملة اي؟

الطبيب وهو يشيح ببصره عنه : كويسة ،

هننقلها أوضة دلوقتي

دولت بلهجة فضولية : طب هي حصلها إيه؟

إلهام بصوت متحشرج خرج من فمها بصعوبة :

طمني يابني ، هي جرالها حاجة ؟

_تابعهم الطبيب بنظرات خاطفة ، ثم تسائل

الطبيب : فين أبو الحالة؟

غيد وقد نفذ صبره من مماطلة الطبيب لهم ،

فأشار له حيث والدها وهو يقول : ده والدها ، وده

جوزها ، وإحنا كُلنا أسرتها وأهلها ممكن تكلم بقى!

الطبيب وقد أصابته الدهشة : حضرتك جوزها ؟

يوسف قد أرتفعت نبرته بنفاذ صبر : ياعم كاتبين الكتاب ، ما تقول في إيه يادكتور؟

الطبيب منكساً رأسه للأسفل : للأسف الحالة حصلها إفتضاض عذاري و......

إلهام بعدم فهم لقوله : إيه ؟! يعني إيه

الطبيب محاولاً تفسير ما حدث : آآ ... الحالة تم أغتصابها ، وأعتقد إنه مكانش واحد ، وده أدى ل.... فقدانها عُذريتها

يوسف................................ !!!!!!!!! :

الفصل الثالث

_صاروخاً مزدوج القوة أخترق سمعه..

حتى إنه ظن أذنيه كاذبة ولا تعي ما تستمع إليه

،

نظر للطبيب بنظرات بلا معنى ، في حين سقطت والدتها لتجثو بجسدها على الأرضية..

وأصدرت عويلاً كأن الميتم قد أُقيم ورُفعت حالة الحداد .. على الجانب الأخر ، ترك مصطفى هذا الجمع وتوجه خارج المشفى منتوياً الرحيل دون حتى معرفة ما حدث .. حاول ولده الأصغر " أحمد " أن يلحق به ، ولكنه وجد من الحكمة تواجده هنا بجانب والدته وشقيقته التي ستحتاج لعونه..

مالت دولت بجسدها على ولدها الأكبر " غيد "
وتمتمت بخفوت وبإزدراء

دولت : سمعت اللي سمعته!

غيد وقد أطرق رأسه بحزن شديد : سمعت يأمي ،
ربنا يصبر أسرتها ويصبر يوسف يارب

دولت بلهجة مستنكرة وهي تحدج أبنها بتذمر :
يوسف إيه ! وأخوك يشيل بلوتها ليه ؟ خلاص
مينفعش يكملوا سوا

غيد وقد حملقت عينيه بذهول مما سمعه من
حديث والدته : نعم !! انتي بتقولي إيه ياماما ! ده
جوزها .. لو مش هيقف جمبها يقف جمب مين!

دولت وقد أطلقت شرراً متطايرة من عينيها وهي تهتف : يقف جمبها !! ليه إن شاء اللّه مفيش بنات غيرها في البلد.. خلاص دي بقت معيوبة ومتنفعش أخوك ولا تليق بيه

غيد وهو ينظر بإتجاه أسرتها التي أنقسم ظهرها : تعالي معايا

_أصطحبها " غيد " بعيداً عنهم حتى لا يستمعوا لحديثها المُزعج .. وحينما وجد الفرصة ملائمة والمكان فارغ..

توقف بأحد الأروقة وقابلها في وقفته وهو يقول مستنكراً عليها حديثها

غيد : بقولك إيه ياماما ، متقوليش الكلام ده ليوسف ولا تشجعيه يعمل حاجة غلط!

انا كنت فاكر إنك هتقوليله يتمسك بيها و.....

دولت وقد أرتفع صوتها وتشنجت تقاسيم وجهها : يتمسك بمين ! مسمعتش كلام الدكتور ، بيقولك اغتصبوها ومكنش واحد .. يرضيك أخوك يتجوز واحدة زي دي!

غيد وقد أرتفع حاجبيه بعدم تصديق : انا مش مصدق اللي بسمعه منك!

انا مش شايف إي حاجة تعيبها ، ولا جايبنها من شقة دعارة ولا هي زانية !! ليه تحكمي عليها بكدة ؟

دولت وقد رفعت رأسها بشموخ وإعتزاز : انا بختار لأبني الزوجة اللي هتعيش معاه بقية حياته .. من حقي أخاف على مستقبله ، ولا عايزني أقف أتفرج عليه وهو تعيس زيك

_صعقته كلمتها عندما نعتته بال (تعيس)

فتوقف لحظات عن الحديث ورمقها بنظرات مُعاتبة قبل أن ينطق بصوت خفيض

غيد : انتي شايفاني تعيس ؟

دولت وقد أدركت خطأ لسانها الذي وقعت فيه : آآ .. ياحبيبي انا مقصدش.. بس آ....

غيد وهو يشير بكفه لكي تتوقف عن المتابعة

: بس خلاص .. مش لازم تكملي ، انا هفضل واقف جمب يوسف وهساعده يعدي بمراته الأزمة دي ، اللّه أعلم هيكون حالها إيه

_صمت لحظات ثم تابع متهكماً

غيد : مهما كان برضو تبقى مراته ، و فرحهم كمان أسبوعين .. عن أذنك

دولت وهي تحاول أن تلحق به : أستنى ياغيد ، أستنى بقولك..

_تركها وأنصرف ليعود حيث أخيه..

فوجد الفراش المتنقل يغادر قسم الطوارئ ليصعد بها حيث أعلى..

بينما كان يوسف ثابتاً في مكانه لم يتحرك ولم يلحق بها .. فقط تابعها بنظراته وهو يرمقها بعدم تصديق لما آلت إليه الأمور..

تحركت والدتها بعد أن أسندها أبنها لتتعقب أبنتها وهي تنوح وتندب حال أبنتها وحظها السئ الذي ألقى بها في براثن هؤلاء الذئاب المعدومين الرحمة ..بل أن الذئاب أكثر منهم رحمة وشعور ..

فهؤلاء الحيوانات خلقهم الله بطبيعة شرسة عدائية تكافح من أجل أن تعيش وتستمر ..

ولكن البشر أمثال هؤلاء!!

ما هو دافعهم وغايتهم ؟

بل هي الدنائة بعينها مهما كانت مبرراتهم وأسبابهم.

_وقف غيد بخلف أخيه وهو يقول

غيد : مش هتروح ورا مراتك يايوسف!

يوسف.......:

غيد وهو يطلق تنهيدة ساخنة : يوسف ، اللي حصل هي ملهاش ذنب فيه ! أوعى .. أوعى تتخلى عنها في عز أزمتها

_أستدار يوسف برأسه نصف أستدارة .. لينظر إليه من زاوية عينيه .. ثم أنطلق سيراً بخطوات بطيئة للغاية ، لو كان كهلاً كبير السن لسار بسرعة أسرع من تلك..

تابعه أخيه دون حِراك ، فليتركه فيما هو فيه الآن..

هكذا هداه تفكيره ،

وفي هذه اللحظة .. أهتز هاتفه بداخل جيب بنطاله فأخرجه ليجد أسم والده ينير الشاشة ، فقام بالرد عليه سريعاً و...

غيد : أيوة يابابا

عدنان بصوت يختلجه القلق : انتوا فين يابني ! كلكوا أختفيتوا من البيت مرة واحدة والبواب بيقول أنكوا خرجتوا نص الليل ؟

غيد وقد أصابه الإرتباك ، وفشل في إيجاد كذبة مُقنعة : آ ... مفيش يابابا ، إحنا في المستشفى عشان رزان تعبانة شوية

عدنان وهو يتحرك من مكانه : طب انتوا في اي مستشفى عشان أجيلكوا ؟

غيد بلهجة متعجلة حتى لا يفتضح أمره لوالده :

لالا متقلقش إحنا كلنا معاها .. انا هقفل بس عشان أروح اطمن عليهم

عدنان بدون ذرة شك واحدة ، وبصوت مطمئن :

طيب ياغيد ، ترجعوا بالسلامة

غيد : اللّه يسلمك

_أغلق هاتفه سريعاً ثم تنهد بإرتياح ، وألتفت ليتوجه إلى حيث الحجرة التي نُقلت فيها زوجة أخيه..

....

_وقف " يوسف " على باب الحجرة ، لم يقوَ على عبور أعتابها .. بينما كانت والدتها تجلس على المقعد المعدني المجاور للفراش ، وعلى وجهها علامات القهر والحسرة..

ترقرقت العبرات من عينيها كَسيل لا يتوقف ، بينما كان أحمد كَالذي لم يُدرك الأمر بعد .. ربما تكون الصدمة التي تلقاها هي الأقوى بحياته ،

غطى يوسف وجهه بيُمناه .. ثم أطلق زفيراً مُلتهباً ،

ليته ما علم بما حدث ! وليته لم يتسائل حتى عنه..

ربما كان آلمه خف عن ذلك ،

كان الشيطان مُتمكناً من عقله مُسيطراً عليه ، ويوهمه إن زوجته التي عُقد قرانه عليها منذ أيام لم تعد هي!

والآن عليه مواجهة جحيم أفكاره التي تترنح بعقله .. بل وإنها تنهش فيه كـحيوان مفترس..

_ألتفتت إلهام ببصرها نحو يوسف الذي لم ينتبه لها ، لتنظر إليه نظرات ذات مغزى .. تُريد أن تعبر أغوار عقله لتستكشف ما به وعلى ماذا ينوي حيال أبنتها!

فستكون المُصيبة أثنتين إذا قرر الأفتراق عنها لجُرم لم تكن هي المُذنبة فيه..

أثارت رزان في هذه اللحظة حركة مباغتة بساعدها وهي تضمه لصدرها بصورة لا إرادية .. فأنتبه أخيها لها ودنا منها ليُحدثها بصوت خفيض

أحمد : رزان ، انتي سمعاني.. ردي عليا ياحببتي!

_أنتبه يوسف لما يحدث فأقترب مُتلهفاً ليراها.. فإذا بالتشنجات تغزو وجهها وجسدها ينتفض بقوة ، فأنحنى يوسف ليُكبل حركتها الإنفعالية ولكنها تزايدت..

حتى صاحبها هيستريا من البُكاء والصراخ الشديد ، عجز هو للتصرف .. فهتف بضجر

يوسف : شوف الدكتور بسرعة يأحمد

إلهام بصوت مُنتحب : بنتي ! يارب أسترها من عندك يارب .. انت العالم يارب

_كانت تدفع ذراعيه القابضتان على ساعديها ليتركها ولكنه أشد عليهما حتى لا يتركها لهذه الحالة التي أصابتها فتتمكن منها..

وخلال لحظات كان الطبيب والممرضة المُساعدة له قد حضرا مستعدين لمواجهة الموقف..

حيث قامت الممرضة بتعبئة الحُقنة بمادة مُخدرة لتساعد على الإرتخاء .. فقام الطبيب بنغز وريدها حتى تهدأ هذه العاصفة التي أقامتها..

بينما كان يوسف يراقب ما يحدث عن كثب ..
وبرأسه ألاف من الأسئلة ، حتى أنتهى الطبيب من
مُهمته فهمس بصوت منخفض

الطبيب : ممكن تتفضل معايا ؟

_تحرك الطبيب ليتعقبه " يوسف " حتى
أصبحها في رواق المشفى الواسع .. وحدثه بهدوء
عن بعض الإجراءات القانونية التي أتخذتها
المشفى و.....

الطبيب : انا عارف إن الموضوع حساس وفي ناس
كتير جدآ وحالات كتير قابلتها على نفس

النمط .. ورفضوا اللجوء للقضايا والمحاكم منعاً للشوشرة والحفاظ على سُمعة البنت، عشان كده حبيت أقولك إن المستشفى عملت البلاغ وحضرتك تقدر تتنازل أو.......

يوسف وقد تحولت عينيه لجمرتي من النار :

أتنازل!!

مين قالك إني هتنازل؟

الطبيب وقد شعر ببعض الحرج : آ .. الموضوع يخصك في كل الأحوال

يوسف : القضية هتمشي والقانون هيتنفذ

_أقترب غيد منهما ليشاركهما الحديث ، فأعجبه إصرار أخيه على إستكمال القضية وعدم التنازل عنها..

وعندما أنصرف الطبيب عنهما ، قال غيد وهو يُآزره

غيد : كنت متأكد إنك مش هتتخلى عنها

يوسف... :

غيد وهو يقبض على شفتيه بضيق : ناوي على إيه يايوسف ، هدوءك مش مطمني!

يوسف بلهجة حادة : أتفرج ياغيد ، الفُرجة حلوة أحياناً

_أستدار يوسف ليلحق بغرفتها ، بينما وقف غيد يُفكر في سبيل لمساعدة أخيه..

ولكنه أنصرف عن ذلك فجأة ليتذكر شيئاً غاية في الأهمية..

كان من المُفترض أن اليوم هو الأهم بالنسبة له .. فقد حكمت المحكمة لصالحه ليتمكن من رؤية إبنه الوحيد أسبوعياً ، عقب أن أنفصل عن زوجته وقام بتطليقها..

واليوم سيراه ، أختلجته السعادة لأنه سيقوم بضمّهُ بين أحضانه .. فألتقط هاتفه من جيبه لتختفي البسمة عن محياه وهو يُحادث السكرتيرة الخاصة به و.....

غيد : أيوة ياشذى .. عايزك تتواصلي مع مدام ريهام عشان تبلغيها إن السواق هيروح ياخد نجم الدين عشان يقضي معايا اليوم النهاردة

شذى : حاضر يامستر غيد ، بالنسبة لإجتماع ال....

غيد وهو يذم شفتيه بإختناق : أجلي إي حاجة النهاردة ، عشان مش فاضي.. يلا سلام

شذى : سلام يافندم

))شذى _ أهم شخصية في حياة غيد عقب أسرته وإبنه الوحيد ، فقد أسند إليها إدارة مكتبه لتفانيها في العمل ، كما كانت صديقة جيدة

ووفية له دائماً .. يُشكل رأيها فارقاً في قرارته ، حتى إنها الوحيدة التي تستطيع تعديل قرارته..

قد أهداه إياها والده عقب أن توفى والدها والذي كان أحد أعمدة الشركة السياحية .. فظلت تحت رعاية عائلة السويفي وبالأخص ، غيد ......

((

_حل المساء .. وكسى الظلام المكان ، فجلس يوسف بالقرب من فراشها .. وأستند برأسه على مرفقيه ، فطالت أنظاره عليها .. ما بين الشفقة والحزن والحسرة وخيبة الأمل ، حتى أثارته قطرة صغيرة تسربت من عينيها المُغلقتين .. فشعر بألم في صميمه ،

نهض عن مقعده ليُجاورها وأمسك كف يدها البارد وهمس لها قائلاً

يوسف : رزان!

_أقشعر بدنها وأطبقت أصابعها على كفه .. فخفق لها بشدة ، فتحت عينيها ببطء شديد لتصطدم عينيها بالأضاءة المُشعة في الغرفة فضيقت عينيها لتبتعد عن هذا الضوء..

كان أحمد يُراقب الأمر عن بُعد ، ولكنه وجد من الحكمة أن يتركهم سوياً لبعض الوقت..

فأشار لوالدته إشارات صامته أستفهمتها بسهولة لتنهض ، ثم أصطحبها للخارج وهي تستند على ساعده..

مد يوسف أصابعه لتتخلل خصلات شعرها ، ثم أقترب من أذنيها ليقول

يوسف : حببتي ! سمعاني ؟

_أستدارت برأسها لتبتعد عن مواجهته .. شعرت بالخجل من حالها ومن الموقف الذي أُجبرت على مُعايشته ،

وأصدرت أنيناً مكتوماً وهي تسحب كفها من بين يديه.. مما أصابه بالآلم أكثر .. ولكنه أستشف سبب إبتعادها عنه ،

وألتمس لها العُذر في ذلك .. تنهد بحزن شديد وقد أنقبض قلبه حتى إنه لم يسع أنفاسه..

فضغط على أعصابه ليتابع قائلاً

يوسف : حصل إزاي يارزان ؟

رزان........:

يوسف وهو يمسح على رأسها برفق : عارف إن الوقت مش مناسب ، وإنك عيشتي أسوأ يوم في حياتك

_صمت قليلاً ثم تابع بإختناق شديد

يوسف : بس غصب عني مش قادر أتغلب على نفسي .. عايز أعيش كل الألم اللي عيشتيه ، أنقليه ليا بالنيابة عنك

_لن يقوَ على كبح موجة الغضب النارية التي كظمها كثيراً..

فنهض من جانبها وألتفت حول الفراش بحركة إنفعالية ليكون في مواجهتها .. ثم جلس على وضع القُرفصاء أمام الفراش ونظر لها مباشرة وهو يقول بنبرة مكتومة

يوسف : شكلهم إيه ؟ كانوا كام واحد ؟

رزان....... :

_كادت تلتفت برأسها لتبتعد من مُحاصرته مرة أخرى ولكنه ثبت رأسها بكفه وهو يهتف

يوسف : متهربيش ، أحكيلي كل اللي حصل..

أرجوكي تتكلمي ، حصل إزاي وفين ؟

_أجهشت بالبُكاء المسموع والذي أختلجه أنيناً مُتألماً .. وكأن عضلات لسانها توقفت عن العمل..

فضغط على أسنانه بقوة وهو يتابع

يوسف : أتكلمي معايا يارزان ، انا جوايا نار بتغلي ، نار ممكن تاكل الأخضر واليابس

رزان وهى تدفع كفه عن رأسها : سيبني...........

يوسف بلهجة مُصرة : مينفعش

_وقف بإستقامة ليتحرك في الغرفة بحركات غير مُرتبة ، وضرب ظهر كفه بالحائط بشكل قوى للغاية .. حتى تركت عظام يده أثراً فيه..

ثم عاد يقف أمامها مرة أخرى وأنحنى عليها..

ليردف بلهجة خشنة متوعدة عقب أن تبدلت ملامحه للصرامة

يوسف : واللّه العظيم ما هسيبهم ، هقلب عليهم الأرض ولما يقعوا تحت رحمتي مش هطولهم الرحمة دي..

هخليهم يشوفوا العذاب بعنيهم على اللي عملوه فيكي ، وطاري .... مش بسيبه.

....

_أختلى " مصطفى " بنفسه في حجرته .. منذ أن ترك المشفى في الأمس وهو يجلس وحيداً على مقعده في حجرة النوم..

تُطارده الوساوس ويتملك الشيطان من أذنيه..

فقد أثرت عليه نزعته الصعيدية التي ينتمي إليها كثيراً ،

شعر بمرارة الفضيحة ، وكأن العار ألتصق بثوبه عقب ما لاقته إبنته..

فأخذ الأمر يتطور في رأسه ويأخذ مُنحنى عدائي ضد إبنته بدلاً من أن يكون في آزرها..

حدث حاله بلسان شيطاني وهو يهتف

-أزاي هنعيش بعد الفضيحة دي ؟

هنبص في وش الناس إزاي ؟ وجوزها !! جوزها ده هرفع عيني في عينه إزاي بعد النهاردة ؟

دي الناس هتاكل وشنا ومش هتسيبنا في حالنا!!

ليه كده بس يارب ! ليه بنتي ؟

انا مش هقف أتفرج على نفسي لما سيرتي تبقى على كل لسان .. والناس تاكل من وشي وتعاير أخواتها بيها..

انا لازم أخلص من عارها ، أيوة لازم..

مفيش قدامي غير إني ...... إني أقتلها وأتاوي جتتها (جثتها)

....

الفصل الرابع

_يومان متتاليين .. رفض فيهما السيد " مصطفى " القيام بزيارة إبنته في المشفى..

حتى أن زوجته " إلهام " لم تستطيع إقناعه بذلك من أجل تحسين حال إبنته المتدهور ، في حين كان يوسف مُلازماً لها طيلة اليومين وحتى المبيت..

لم تتحسن حالتها وإنما تدهورت أكثر ، كانت رافضة للحديث مع إيهم .. فقط تظل سابحة في السُقف البيضاء وعيناها مُسلطة على الإضاءة ، حتى حضر الشرطي للحصول على أقوالها ، كانت لحظات عسيرة وهو يُلقي التساؤلات على مسامعها

فيدب المشهد من جديد أمام عينيها كَفيلم سينمائي بشع الإنتاج والإخراج وحتى التمثيل..

في حين كان يوسف متلهفاً لمعرفة إية معلومات عما حدث..

وداخله من البراكين ما يكفي لإشعال بلدة بكاملها..

ولكن........

الشرطي : انا عارف إن الموقف صعب ، بس انا هنا عشان أساعدك

رزان وهي ترمش بعينيها عدة مرات :.... مش عايزة

يوسف وهو يضغط على أسنانه كاظماً غضبه :

رزان ، اللي

بتعمليه ده مينفعش ، إحنا عايزين نوصل للي

عملوا فيكي كده عشان ياخدو جزائهم

الشرطي وهي يتأمل حالة وجهها الشاحب : طب إيه

رأيك تشوفي صور المُسجلين في النوع ده من

القضايا يمكن تتعرفي على حد فيهم

_نكست رأسها بخزي وهي لا تقوَ على النظر في

عينيهم ، ولم تجبه .. فنهض عن مكانه وهو

يزفر بسئم ونطق ب...

الشرطي : هعتبر دي موافقة منك ، والمرة الجاية هعرض عليكي صور المُسجلين

يوسف وهو يشير له نحو الخارج ليتعقب أثره : اتفضل

_أقترب أحمد من فراشها ثم وضع كفه على كتفها ليضغط عليه بخفة وهو يهتف بلهجة مُعاتبة

أحمد : إنتي كده هتضيعي حقك يارزان ! واللي أعرفه إن عمرك ما ضيعتي حقك

رزان وهي تُكفكف عبراتها ، وأستجمعت رباطة جأشها لتقول : حقي هبقى أسعى ليه لوحدي ..

مش هستنى شفقة من حد على حالي

أحمد وقد تقلصت تعابير وجهه وهو يتابع مستنكراً : شفقة!! إنتي تقصدي مين ؟ يوسف!

رزان وهي تُشيح ببصرها عنه : إيوة

_تفهم أحمد شعورها فجاورها في جلستها ، ثم ضغط على راحة يدها وهو يقول...

أحمد : يوسف أخر واحد تقولي عليه كده ! ده بيدور على حقك يارزان .. وهو أحق واحد بكده لإنه جوزك

رزان وقد أدمعت عينيها وأستصعبت الكلمات التي تخرج

من فوهتها : عشان كده مش عايزة أحس إني صعبانة عليه ، ومش هستنى يوم يعايرني فيه ويقول إنه أتجوزني وانا.....

_توقفت عن الحديث لتبكي بمرارة شديدة ، فشعرت بالسكاكين وكأنها تُقطع داخلها بلا رحمة.. ثم تابعت بصوت مقهور

رزان : مش هستنى اليوم ده ! وقبل ما يسيبني لازم أسيبه

أحمد وقد حملقت عينيه بعدم تصديق : إيه !!

ليه كده يارزان .. ده جوزك مبيحبش غيرك ، تيجي إنتي تعملي كده

رزان وقد علت شهقاتها : قبل ما يسيبني هو ياأحمد والوجع يبقى أضعاف

_إحتضن رأسها بشئ من الدفء ، وقرر عدم مُراجعة قراراتها في هذا الوقت العصيب الذي تمر به ، ولكل أمرِ حينه ، فقد أصبح مستوى حساسيتها ضد الأمور مضاعفاً عقب ما مرت به .. تشعر وإنها ستكون شخص مفروض عليه بُحكم عقد القران .. ولذلك أضحى شعورها بتركه شعوراً تجذر بداخله وتنويه بشدة.

)أنا بعد ما شوفتها بتشاور من بعيد والدنيا كُحل ، صراحة صعبت عليا ووقفتلها ، وساعتها أتفاجئت بشكلها ده .. حاولت أعرف منها اللي حصل لكن هي منطقتش يابيه ، هو العنوان بس اللي قالت عليه وفضلت ساكتة وبتعيط طول الطريق(

_كانت هذه شهادة الرجل الذي قام بتوصيل " رزان " لمنزلها ، عندما سأله الشرطي عن تفاصيل ما حدث معه..

وما أن أنتهى السائق من روايته حتى أردف الشرطي...

الشرطي : هنحتاج شهادتك قدام النيابة ياعم سيد

سيد : احنا في الخدمة يابيه .. وربنا يستر على الولايا كلهم

يوسف وهو يصافح السائق بإمتنان شديد : انا بشكرك

على رجولتك وأمانتك ياعم سيد

سيد وقد بدأ في الثرثرة والإطالة : على إيه يابيه ! الواحد مننا عنده بنات وستات في بيته ، ولازم يعمل حساب إن النهاردة ليك وبكرة عليك و.....

يوسف وهو يقاطعه بنفاذ صبر : ايوة فاهم ، وإن شاءالله ليك مكافئتك

_لمح الشرطي " علاء " وهو قادم نحوهم .. فأشار برأسه ليلتفت يوسف فينظر إلى حيث يشير و....

الشرطي : المقدم علاء وصل

يوسف وهو يستدير برأسه ثم تابع بخفوت : ياريت تسيبنا لوحدنا شوية

السائق وهو يتنحنح بحرج : طب أستأذن أنا

يوسف بصوت جاد : هكلمك تاني ياعم سيد

السائق وهو يُربت على صدره : تحت الأمر يابيه

_أقترب علاء منهما وقد ظهر عليه الحزم وهو يقول متسائلاً..

علاء : وصلت لحاجة؟

الشرطي وهو يهز رأسه نافياً : للأسف لأ ، الحالة اللي فيها المجني عليها مسمحتش لإستجوابها ..

انا هستأذن انا

علاء وهو يتنحى جانباً : اتفضل

_أنصرف الشرطي ليتفحص علاء ملامح صديقه الذي يعرفها جيداً .. فقد بدا وكأنه صاعداً على حلبة المُلاكمة ليفتك بأحدهم ويُهلكه ضرباً مُبرحاً ، فقوس فمه بإستهجان وهو يقول

علاء : يوسف ، انا مقدر اللي انت فيه ، بس عايزك تهدا و......

يوسف مقاطعاً له بصوت منفعل متشنج كمن خرج عن صبره : حاضر حاضر ، انا ها أهدى وأشرب عصير فريش عشان الجو حر ، والدنيا جميلة وعادي جداً

_حدجه يوسف مستنكراً ثم تابع بلهجة أكثر حدة

يوسف : محدش فيكوا حاسس بالنار اللي أيده جوايا .. مراتي اللي المفروض فرحنا بعد عشر أيام أ......

_أبتلع الكلمة المؤلمة تلك ليضعها في خباياه .. فيزداد آلمه ويلتهب جرحه الذي مازال ينزف حد الموت ،

أطبق جفنيه بقوة وهو ينطق بصوت ظهر فيه الوهن

يوسف : سيبني لوحدي ياعلاء ، ولو فيه جديد بلغني وخلاص

_تركه وسار بخطوات هزيلة .. متجهاً نحو غرفتها من جديد ، بينما ظل علاء متابعاً له حتى أختفى من أمامه وهو يشفق على الحال الذي هو فيه..

ومن ثم أستدار لينصرف

....

_وقف غيد بمنتصف حجرة مكتبة في قطاع الشركة العريضة ، وظل يصيح بلهجة منفعلة للغاية متمسكاً بهاتفه وهو يعاود الأتصال بطليقته التي أغلقت هاتفها وفصلت عنه الطاقة منذ ثلاثة أيام لتفوت موعد مقابلة إبنها معه..

زادت رأسه إشتعالاً وأحمرت السحابة البيضاء التي تُزين عينيه وهو يقول بصوت هادر

غيد : دي أكيد قاصدة تبوظلي أعصابي ، إزاي تعمل معايا انا حركة زى دي ؟

بقى تمنعني أشوف إبني في المعاد اللي حددته المحكمة!

ده انا هخلي ليلتها سودا

شذى وهي تجتهد لإمتصاص نوبة الغضب التي أعترته : مستر غيد ، أهدا من فضلك وأكيد هنوصل لحل

غيد وهو يلقي بهاتفه على سطح المكتب بعدم إهتمام : حل إيه ! انا خلصت معاها كل الحلول .. ده إبني ومن حقي أشوفه ، مش كفاية الكلام الزفت اللي بتسمم بيه ودان ابني عني ، كمان عايزة تحرم عليا أشوفه..

_نزع عنه معطفهُ الشتوي وقد شعر بالحرارة تسربت لداخل جسده عقب حالة الإهتياج التي أصابته .. ثم ألقاه وهو يتابع بنبرة متوعدة

غيد : بس ده بُعدها ! إن ما خليتها تلف حوالين نفسها بنت الرفضي مبقاش انا ابن السويفي

شذى بصوت حكيم : انا عندي فكرة

غيد وقد أنتبه لها وهو يقول : فكرة إي؟

شذى وقد تحمست تعابير وجهها وهي تقول : إحنا نبعتلها إنذار عن طريق المحكمة ، لإنها كده بتقف قدام قرار قضائي و.....

_قاطعها غيد وهو يلتفت حول مكتبه عقب أن تبدلت ملامحه للحماسة ، ثم تابع قائلاً

غيد : أتصليلي بالمحامي حالاً وخليه يتخذ الإجراءات المناسبة ، إن شاللّه يوديها في ستين داهية .. اللي يهمنـي أشوف إبني

شذى وهي تتحرك تاركة الحجرة : حالاً يامستر غيد

_كادت تنصرف إلا إنها ألتقت بهذه المدعوة (نيڤين)

والتي كادت تدخل الحجرة على فجأة ولكنها ألتقت بسكرتيرة مكتبه التي تبغضها فأبتسمت لها بسمة باهتة و......

نيڤين : هاي

شذى وهي تنصرف ببصرها عنها : أهلا وسهلاً يامدام نيڤين

_تجاوزتها نيڤين وهي تدفعها بخفة من طريقها ثم قالت بصوت أنثوي مُغري

نيڤين : وحشتني ياغيد

غيد وقد أنتبه لوجودها الذي أثار إزعاجه : اهلا يانيڤين ، اتفضلي

_أنصرفت شذى لتترك لهم المجال ، بينما تحركت نيڤين بخطوات مُتمايلة نحو المقاعد المقابلة للمكتب .. وأستقلت أحدهم وهي تهتف

نيڤين : امال لو مكناش جيران واهلنا صحاب من زمان كنت عملت معايا إيه ياغيد!

غيد وقد تقلصت تعابير وجهه بتهكم واضح : انا !! وانا عملت إيه يانيڤين!؟

نيڤين وهي تضع ساقاً فوق الأخرى ليظهر ساقيها : مبتسألش عني ولا بتفكر تزورنا حتى.. ينفع كده!

غيد وقد تصنع الإهتمام بأخد الملفات الموضوعة أمامه لينصرف عنها : كفاية أمي وزيارتها ليكو

_تمددت بجسدها للأمام لتستند بذراعيها على سطح المكتب، ثم أستندت برأسها على مرفقها وهي تقول

نيڤين : طيب سيب اللي في ايدك ده! عايزاك تنزل معايا

غيد وهو يرفع بصره إليها متعجباً : أنزل فين !

انتي مش شايفة إن معايا شغل؟

نيڤين وقد تبدلت ملامحها للضجر : أصل عربيتي عطلت تحت ، عايزاك توصلني بس لحد البيت

غيد وهو يعود بجسده للوراء حتى يستقر بظهره على المقعد : أوصلك ! وليه متاخديش تاكسي ان شاء اللّه؟

نيڤين وقد تغيرت تقاسيم وجهها وهي تقول : إيه ! تاكسي إيه .. انت عايز يحصلي زي ما حصل لمرات أخوك؟

_ضغط على أسنانه بحنق ليهتز صدغه بإرتعاشه خفيفة ، وتحولت عينيه لتظهر الشدة في ملامحه و.....

غيد :وانتي عرفتي موضوع زي ده إزاي؟

نيڤين وهي تتابع تبدل حاله متوجسة : طنط دودي حكت لماما لما كانت عندنا إمبارح ؟

_تحرك غيد عن مقعده متشنجاً .. ثم سحب معطفه بإنفعال وهو يقول

غيد : قومي أوصلك

نيڤين وقد تهللت أساريرها : اوه ، ميرسي لذوقك

غيد بلهجة مُحذرة : متجيبيش سيرة مرات أخويا تاني يانيڤين ، هي كويسة الحمد للّه مجرد

حادثة صغيرة .. ولو كنت هوصلك فده عشان

انا مش فاضي لشغل الستات والهري ده!

نيڤين وقد أنفرج ثغرها بعدم تصديق : هري!

غيد وقد تلوت شفتيه بحنق : ملهاش إسم تاني

غير كده .. اتفضلي قدامي

_تحركت أمامه وهي تتمايل بخطواتها ، فأثار

حفيظته تلك التنورة القصيرة التي ترتديها

لتكشف عن ساقيها..

فكور قبضته بغيظ من هذا الوضع الذي حُشر في

زاويته وزفر مختنقاً..

كما أن جميع موظفي الشركة ممن قابلهم في

طريقه كانوا ينظرون إليها خلسة .. حتى وصل

أمام المصعد ، فأستقلاه سوياً .. كانت تتعمد إلصاق ذراعها به ، فلم يكن هو ساكناً .. بل ألتفت ليواجهها ثم نظر لأسفل حيث ساقيها ثم نطق متبرماً

غيد : انتي مش بردانة ! إيه اللي انتي لبساه ده!

نيڤين وهي تعض على شفتيها السفلى بميوعة : انت بتغير عليا يابيبي ؟

غيد وقد أحتقنت الدماء بداخله : بيبي اي وزفت إيه ؟ انتي مشوفتيش الموظفين بصولك إزاي ؟ منظري انا إيه وانتي خارجة معايا بالمنظر ده!

نيڤين وقد تلوى ثغرها بعدم رضا : موظفين!!

_توقف المصعد لتنفتح أبوابه الألكترونية ،
فأشار لها بالخروج ثم تعقبها وهو يتأمل بهو
الشركة والعاملين فيه..

حتى وصل لخارج البناية ووقف أمام سيارته
الرصاصية اللون .. فألتفت لها وهو يقول بسخط

غيد : بعد كده أكشفي على عربيتك بدل ما
تيجي وسبحان اللّه تتعطل قدام شركتي

نيڤين وقد أشتعلت رأسها غيظاً من معاملته الجافة
: انت ليه بتعاملني كده ياغيد ؟ انت عارف إني
بحب........

غيد وهو يقاطع حديثها بشئ من الصرامة :
متكمليش يامدام ! انا معرفش غير إننا جيران

وعشرة سنين ، جوزك كان صديقي وشريكي

و.....

نيڤين وقد أرتفعت نبرة صوتها بإحتداد : انا مش متجوزة ، انا اطلقت بقالي شهور وانت عارف .. وانت كمان مُطلق ، ليه من.....

غيد بشكل قاطع : في حجات كتير تمنع إرتباطنا ، منها إني مش عايزك يانيڤين .. مش محتاجك ولا محتاج جنس ست في حياتي

_أشار بيده لأحد موظفي الأمن المتربصين أمام بوابة الشركة حتى حضر له مهرولاً وهو يقول

-أيوة يافندم

غيد وهو يشيو صوبها بعدم إكتراث : شوف فين السواق عشان يوصل الهانم مكان ما تحب ، وكمان شوف حد يصلح العربية المتعطلة دي

-حاضر ياغيد باشا

_نظر لها بتحدٍ ثم تابع وهو يحرك كتفيه

غيد : معنديش وقت أوصلك فيه يامدام نيڤين ، سلامي للوالدة والوالد .. عن أذنك

_جعلتها كلماته القاسية تقف محلها دون حِراك .. فقط أتبعته بعينيها حتى أختفى داخل شركته ونظرت حولها بحرج شديد بسبب الموقف التي وُضعت به ، وهمست لنفسها ب.......

نيڤين : ماشي ياغيد .. ماشي

....

_كانت رائحة الأدوية والمُهدئات تحاوطها في كل مكان ، ومشاهد إغتصابها تُنغص عليها ساعات نومها القليلة .. فتستيقظ بحالة هيستيرية من البكاء والرهبة ،

وتظن إنهم يحاوطونها من كل زاوية ليفتكون

بما تبقى منها .. ليالٍ طوال يمرون عليها كالأدهر

وهي بين جدران هذه المشفى..

حتى قررت تركها على نحو عاجل وبدون إبداء

إية أسباب ،

حاصرتها والدتها بتساؤلاتها وشقيقها برفضه

ولكن هيهات لم تستمع إليهم..

حتى حضر يوسف ليتفاجئ برغبتها المفاجئة في

مغادرة المشفى و........

يوسف محاولاً التحكم في الأمر : طيب ممكن

تهدي وتفهميني ، لو في حد هنا أتعرضلك حتى

لو بالكلام قوليلي

رزان وهي تُبعد بوجهها عنه : لأ مفيش ، عايزة أمشي

يوسف وهو يمسك بذراعها هاتفاً بصوت عذب : طيب حاضر همشيكي

_أنتشلت ذراعها من بين يديه ثم ضمت ساعديها سوياً وهي تبتعد عنه .. أثارت حنقه لجفافها في معاملته منذ أيام .. ولكنه أصر الصمت حتى تمر هذه الأيام العصيبة..

وبالفعل قام بتدبير الإجراءات لتغادر المشفى ، وأصطحبها وشقيقها ووالدتها حيث العقار القاطنين به..

وقفت العبرة على أهدابها تأبى السقوط ، ولكنها ضغطت بكفيها على عيناها لكي تواري ضعفها وتحسرها..

حتى بسط أخيها ذراعه لكي تستند عليه ومن ثم صاحبها لداخل العقار..

فأحضر يوسف حقيبتها وأغلق سيارته ثم تعقبهم ..

_كانت الكارثة هي الطريقة التي أستقبلهم بها " مصطفى"

كانت ذقنه قد نبتت على غير عادته ، وملامحه مُكفهرة عابسة .. لم يرهم أو يرونه منذ أيام ، ولكن لم يهتم لأمر إي من زوجته وولده ، بل نظر

لإبنته التي تسببت له في العار كما يقول ويعتقد..

فأستشعرت " إلهام " وجود خطب ما به ، لذلك هتفت بتوجس وهي تحدث ولدها

إلهام : دخل أختك جوه ياأحمد

مصطفى وهو يقف أمامهن حائلاً : يدخلها فين ؟ معندناش مكان ليها بعد اللي حصل

أحمد وقد أنفرج فمه بذهول : إيه ؟ يابابا أ....

مصطفى بصوت مرتفع هز الأرجاء : أسكت انت ياض

_كانت تتمزق بداخلها ، دهستها الدنيا وعاقبها القدر .. لن تسلم من ألسنة العامة والمجتمع بأكمله .. وحتى أبيها لا يتقبلها لديه .. شرعت شهقاتها في الظهور وبدأت الدموع تنسال من عينيها على الحال الذي وصلت إليه ، في حين تابع والدها بصوت خالي من الرحمة

مصطفى : انا لازم أخلص من عارك ، مش هقدر أرفع راسي ولا انا ولا أخوكي تاني غير لو تاويناكي

إلهام وهي تضرب على صدرها بعدم تصديق : يالهوي!

_تهجم عليها كَالثور الذي أنفك لجامه ..

وأمسك بعنقها بين راحتي يده ، أخذ يهز بجسدها الهزيل وهو يشدد على قبضته ليصيبها بالإختناق .. فسعلت وهي تحاول سرقة الأنفاس من الهواء..

بينما كان شقيقها يُعافر من أجل أن يحلها من قبضته وصرخت الأم بأعلى صوتها وهي تطلب النجدة..

حتى خارت قواها وهي.........................

....

الفصل الخامس

_أسرع يوسف بخطواته على الدرج حتى وقعت عينيه على هذه المجزرة التي هي على وشك الحدوث..

فأرتخت أعصابه وسقطت الحقيبة عن يده وهو يركض لداخل الشُقة .. ومن ثم أنتزعها منه بقوة وبدون وعي منه دفعه بقوة ليترنح للوراء ، فتنفست إلهام الصعداء وهي ترى أبنتها تحُك عنقها بإختناق وقد أصابها السُعال..

تحول لون بشرتها للزُرقة وكأن الدماء فرت من شرايينها وعروقها ، فجذبها يوسف لتقف خلفه

وبقبضته أطبق على كفها وضم أصابعها لتُحتضن بداخل كفه..

ثم هدر فيه وهو يصرخ قائلاً

يوسف : انت بتعمل إيه ! !...

مصطفى وهو يتقدم بخطواته مرة أخرى منتوياً الشر لها:

البت دي عار عليا انا وأخواتها ، مينفعش تعيش وسطنا تاني بالفضيحة اللي جابتهلنا

إلهام وهي تدنو من أبنتها لتُهدئ من حالة الهيستريا البُكائية التي أصابتها : لا حول ولا قوة الا بالله ، يارب صبرنا على ما بليتنا

_أقترب أحمد من والده حينما كان يوسف مُصاباً بحالة من الذهول التام .. فشدد على كتفه وهو يقول

أحمد : ملهاش ذنب في اللي حصل يابابا ، المفروض تكون عايز تنتقم من الأنجاس اللي عملوا فيها كده ، مش تقتلها هي!

مصطفى وهو يدفع ذراع ولده بعيداً عنه : اكيد هي السبب ، هما مش هيطلعوا عليها منهم لنفسهم ، عملت إيه عشان تلفت نظرهم ليها بنت ال****

انا عملت اي في دنيتي عشان ربنا يفضح أهل بيتي!

يوسف وقد نفذ صبره ، فضغط على فكه وهو يقول : انا مش مصدق ودني ، انا مش هطمن على مراتي وهي وسطكوا بعد اللي حصل

إلهام وقد حدقت عينيها بتعجب : بتقول إيه يابني ، إحنا أهلها وأدرى الناس بوجعها .. وأبوها اكتر واحد متأذي عشانها

يوسف وهو يلقي بقراره بين أيديهم : انا هاخدها معايا ، ولحد الفرح هتفضل عندي

أحمد وقد أصابه شعور بالعجز عن حمايتها .. فتأججت نيرانه وهو يتابع : انت بتقول إيه يايوسف .. رزان مش هتسيب بيتها وانا جمبها

يوسف وقد أشد على نبرته ليظهر أصراره الشديد وتعنده : لأ ، مراتي هتيجي معايا ودلوقتي..

هوفرلها كل اللي تحتاجه ، دكاتره ممرضات..

حتى لو هجيبلها المستشفى تحت رجليها

إلهام وهي تهز رأسها بعنف : ميصحش يابني ، الناس تقول إيه!

يوسف وقد هدر بصوته فيهم : ماليش دعوة بالناس ، الناس مش هتحس بيا وبمراتي .. الناس على طول بتتكلم مش مستنية الفضايح ، الحلو والوحش مش سايبنه في حاله..

وانا خلاص قررت

مصطفى وهو يبتعد عن مجلسهم : خدها في ستين داهية، انا ماليش بنات تاني بعد النهاردة

_تشنجت رزان وهي تسحب كفها من راحته..

كفكفت عبراتها التي زادت من إنتفاخ عينيها ،
ثم نطقت بصوت ضعيف

رزان : شكرآ على اللي عملته ، بس انا مش هاجي معاك .. انا هروح أقعد عند خالتي او....

يوسف بلهجة مُصرة متعندة : انا مش باخد رأيك يارزان ، اللي قولته هو اللي هيمشي

أحمد وهو يلتفت حوله ليكون قبالته : مش هينفع يايوسف ، قولتلك انا كفيل أ.....

يوسف وهو يشير بكفه ليصمت : انا هاخدها يعني هاخدها

رزان وقد أختلط صوتها بصوت الشهقات التي غزت نبرتها:

قولتلك لأ ! والجواز اللي بتتكلم عنه مش هينفع يكمل .. وبدل ما تيجي منك انا اللي بقولك طلقني

إلهام وهي تضرب على صدرها بقوة من هول الكارثة

التي نوت عليها أبنتها : يامصيبتي ! تطلقي .. عايزة تخربي على نفسك ليه يابنتي؟!

يوسف وقد أرتفع حاجبيه بعدم تصديق : بسهولة كده!

يعني قدرتي بكل سهولة تطلبي مني طلب زي ده!

أحمد محاولاً تلطيف الأجواء بينهم : يوسف ، سيبها اليومين دول وهي أ.....

يوسف وقد تربعت الفكرة في رأسه وعزم على تنفيذها:

مش هيحصل ، مش هتحرك من هنا غير وهي معايا

إلهام وهي تنعي حظ أبنتها العثر : يادي المصايب اللي مش سيبانا!

يوسف وهو يحدجها بإصرار ومثابرة : لو مجيتيش معايا انا هاخدك بالعافية

رزان وهي تبتعد بخطواتها عنه وقد أصابتها رعشة ناتجة

عن إنخفاض نسبة السكر في جسدها : سيبني في حالي ، إحنا مبقيناش ننفع بعض يايوسف

_جذبها بقوة حتى وُضعت رأسها بين راحتيه .. فتمعن النظر لعينيها ولم يهتم لتشنجاتها ومحاولاتها البائسة في التملص منه .. وهو يقول

يوسف : إحنا مصيرنا واحد يارزان ، سمعتيني

رزان : آآ.....

_كانت أصابعه تضغط على مناطق حسية معينة أسفل رأسها وبالقرب من عنقها.. فأصابها بالدوار الذي أرخى قواها وأتبعه فقدان للوعي..

جذبها إليه ليسندها على حافة الأريكة .. ثم نطق

يوسف : ياأما تجيبوا شنطة هدومها ياأما هتصرف انا من مكان تاني

أحمد وقد أحتدت ملامحه وظهر غضبه من أسفل تعابير

وجهه : مش هتاخدها يايوسف

يوسف وقد حزم صوته وهو يتابع : هاخدها حتى لو وصل الأمر إني أجيبلكوا القسم كله هنا ، وبعقد جوازنا حقي قانوناً أخدها زي ماانا عايز

إلهام وهي تضرب على فخذيها بتحسر : يابني عيب اللي بتعمله ده ! ده بيت أهلها و....

يوسف مقاطعاً لها بنبرة جدية : خلاص مش عايز هدومها ، انا هتصرف

_أستقام ليرفعها بين ذراعيه .. ليتدلى ذراعها في الهواء ، بينما وقف أخيها أمامه ليعترض طريقه وهو يهتف بإصرار

أحمد : قولتلك لأ يايوسف!

يوسف بلهجة غليظة : يبقى انتوا عايزين فضايح وكلام ملهوش لزوم

أحمد وهو يكز على أسنانه ليبث الصبر في نفسه : العيب عيب يايوسف ، انت كده كأنك بتقولنا انتوا مش قادرين تحموا بنتكوا!

يوسف بنظرات نارية محتدة : انا قولت إني هاخد مراتي ، يعني هاخدها .. من هنا لحد الفرح

هتكون في إستضافتي ، والأفضل توسع الطريق بدل ما نخليها رسمي

إلهام وهي تطرق رأسها بخزي : سيبه يابني ، طالما صمم مش هيغير رأيه

أحمد وهو يلوح بيده في الهواء : ياأمي مينفعش ياأمي ،...

يوسف متنهداً بصبر فارغ وطاقة مُستهلكة : أسمع كلام الحجة ، عشان الدنيا تمشي

_تجاوزه ليبتعد بزوجته عنهم .. بينما ركضت إلهام لحجرة إبنتها ، وسحبت أحد الحقائب الكبيرة وأخذت تُعبئ كل ثيابها التي في الخزانة..

وعلى عجلة من أمرها ، حتى يستطيع ولدها اللحاق بيوسف قبل أن يغادر بها..

كانت تذرف الكثير من الدموع على ما لاقته هي وأبنتها وأسرتها .. وفرحة أبنتها التي تشتت وتلاشت عقب ما أصابها ، كانت تقرأ آيات من القرأن والذكر الحكيم عسى أن تطيب جروج نفسها..

وتابعت حزم الحقيبة حتى أنتهت في عدة دقائق .. وهتفت تنادي على أبنها والذي كان يقف على عتبة الحجرة يتابع ما تفعله .. أزاحت عبراتها بظهر يدها وهي تقول

إلهام : نزل الشنطة لجوز أختك

أحمد....... :

_ذعن لرغبتها وحمل الحقيبة على مضض وهو يغمغم بكلمات مُبهمة غير مفهومة .. وهبط الدرج مُسرعاً قبل أن ينصرف يوسف .. حتى لاقاه الأخير وحصل على الحقيبة قبل أن يتحرك مُسرعاً من أمام العقار.

....

_عاتب " غيد " والدته عتاباً شديداً على فعلتها الغير لائقة بزوجة إبنها ، حيث تحدثت عما يخص شخصها وقصت ما حدث إليها لجارتها المُقربة والصديقة الوحيدة لها السيدة " سيهام " والتي سرعان ما أبلغت إبنتها " نيڤين"

فقد جعلته والدته من هذه الحادثة الشنيعة رواية تتردد على ألسنة المُقربين إليها .. مما جعل الخبر ينتشر إنتشاراً

سريعاً ، ولكن والدته لم تهتم لهذا العتاب وكانت حُجتها ضعيفة للغاية و......

دولت : انا كنت بدردش بس مع سيهام ، يعني مقصدتش أقول لبنتها

غيد وهو يبتسم بسخرية : على أساس إن مدام سيهام مش هتقول لبنتها!

_حدجها بعدم تصديق ثم تابع مستنكراً فعلتها

غيد : انتي كده هتضيعي سمعة البنت و.....

دولت مقوسة شفتيها بتهكم صريح : بنت !!

أسكت ياغيد..

سيبني أفكر إزاي متممش الجوازة السودا دي!

غيد وهو يصفع كفاً بكف وقد أعتراه الغضب :

لا إله إلا اللّه، هو مين اللي هيتجوز مش أبنك!

خلاص هو حر في حياته.. وبعدين انتي كانت

علاقتك برزان كويسة إيه اللي حصلك!

دولت وقد توهجت عينيها بحُمرة مغتاظة :

الكلام ده كان

قبل اللي حصل ما يحصل .. دلوقتي أخوك لو

أتجوزها الناس هياكلوا وشه وسيرتهم هتبقى

حدوته في لسانهم

غيد وقد طفح به الكيل ، فصاح متبرماً : يعني لما يسيبها الناس هترتاح!

_ولج " عدنان " لحجرة نومه على أثر صوتهم المرتفع .. ليجد هذه المُشاّدة الكلامية بينهم.. فتسائل بحنق بالغ وهو يهتف....

عدنان : في إيه ياغيد ! بتزعق ليه ؟

غيد وقد أخفض رأسه إحتراماً لهيِّب والده : ولا حاجة يابابا ، مجرد مناقشة

عدنان وهو يبدل نظراته بينهم بعدم تصديق : برضو موضوع الجواز يادولت!

غيد محاولاً إخفاء الحقيقة حتى لا تتشوه صورة زوجة أخيه في عيني أبيه أيضاً : آه يابابا آ.....

دولت وقد أحتدت نظراتها : لأ ، انا هحكيلك بقى ياعدنان اللي حصل وانا كنت مخبية عليك

غيد وقد أرتفع حاجبيه بإنزعاج : ماما!

عدنان وهو يشير لأبنه لكي يصمت : أسكت ياغيد ، أتكلمي يادولت انا سامعك.

....

_بداخل أحد الأحياء الشعبية الضيقة ..

وبداخل أحد البنايات القديمة المُتهالكة والتي أصابتها العديد من الفتوء والشروخ وقد أعلنت

رئاسة الحي رغبتها في هدم هذه البناية حتى لا تُثير الخراب على البنايات المُحيطة بها..

وقفت " فجر " أسفل البناية تتأملها بنظرات حانقة ساخطة .. وأخذت تعد كم الفتوء التي أنتشرت فيها ، ثم تمتمت لحالها بإنزعاج

فجر : انا مش عارفة ربنا هيرحمنا أمتى من الهم ده!

ولو البيت وقع على دماغنا هنروح فين ! ده احنا ملناش أهل يسألو فينا حتى

_تأففت بضجر وهي تخطو داخل البناية وتصعد الدرج المُنكسر بحذر لئلا تسقط عنه..

وعندما وصلت للطابق الثاني ، قامت بدفع المفتاح في الباب الخشبي لكي تمرق داخل شُقتها .. فوجدت أبيها وهو يخرج عن حجرته الصغيرة ممُسكاً بسيجارة ركيكة يُنفث بها حتى أخر أنفاسها..

أوصدت الباب لتستمع لصوت والدها وهو يقول

حمودة : بت يافجر ! جيبتي الفطار ؟

فجر وقد تلوى ثغرها بسخط : اه جيبت

_رمقت والدها بنظرات حانقة ثم تابعت متسائلة بأسلوب فج....

فجر : إلا قولي يابابا ! انت قاعد بقالك مُدة في البيت وشغال مصاريف اللّه ينور ، خير ان شاء اللّه انت ورثت وإحنا منعرفش ؟

حمودة وقد أصابه الإرتباك على أثر سؤالها

المباغت : هه ! لأ أصل .... لقيت واحد يشتغل على التاكس بالنهار وانا بالليل

فجر وقد تقوست شفتيها بعدم تصديق : بجد!

طب كويس ، على الأقل أترحم من المصاريف اللي بتسحبها مني أول بأول ومش عارفة أشيل قرش ولا ننكس البيت قبل ما يقع على دماغنا

حمودة وقد أرتفع صوته الخشن وهو يقول : لمي لسانك يابت! ما كله رايح عليكوا

فجر وهي تقهقه ساخرة من عبارته : علينا ! ده انا مبشوفش أبيض ولا أسود ، قصدك كله رايح على مزاجك اللي مودينا في داهية

_تركته وهو يصيح فيها موبخاً إياها كالعادة ثم أنطلقت لهذا المطبخ الصغير لتجد والدتها تقف أمام الموقد لتطهو وجبة من (الفول) حتى تُطعم أسرتها .. فلمحت قناع السخط على وجه أبنتها ومن قبل أستمعت لبعض من الحوار الذي دار بينهم و.....

أمينة : في إيه على الصبح يافجر؟

فجر وهي تغمغم بصوت مسموع لها : جوزك قرب يخلص القرشين اللي معاه وهيرجع يسند عليا تاني

، وانا مش هديله جنيه واحد .. مش كفاية مصاريف المدارس ومصاريف المعهد بتاع بنتك اللي شيلاهم لوحدي! كمان هصرف عليه!

أمينة وهي تتنهد بضيق : ربنا يفرجها عليكي يابنتي ويجازيكي خير يارب

فجر بنبرة سخرية واضحة : ماهو أكيد هيجازيني ، مش معقول تبقى دنيا وأخرة كمان

_تركت فجر أكياس الخضروات ثم غادرت المطبخ لتجد أخيها الذي يسبقها في ترتيب أخوتها يلج خارج حجرته وهو يغلق أزرار قميصة الأزرق..

فأقتربت منه وهي تنظر حولها لتتأكد من خلو المكان..

ثم بدأ التهامس بينهم و....

فجر : محمود ، أنا هجيبلك البضاعة النهاردة ، عايزاك تستناني في الحتة إياها عشان تاخدهم مني

محمود وهو يرمش بعينيه عدة مرات : متأكدة صاحب المحل مش هياخد باله

فجر : يابني الراجل لسه جايب بضاعة بالهبل ومعملش جرد ، ده غير إنه مش دافع ضرايب ولا جمارك وهيبيع بضعفين التمن .. يبقى حلال فيه السرقة ولا لأ؟

محمود وقد أنفرج ثغره بحماسة شديدة : حلال طبعآ، إذا كان هو نفسه حرامي

فجر : يبقى تكون جاهز الساعة ١١ تكون مستني الأشارة

_سار حمودة بخطوات بطيئة للغاية حتى لا يستكشف أبنائه إنه تلصص عليهم ليعلم بسرهم ..

وعندما ولج لحجرته نطق بخفوت وهو يُحدث حاله

حمودة : ياولاد الأبلسة ! بقى هتقلبي بضاعة المحل اللي بتشتغلي فيه يافجر وأخوكي يتصرف في بيعها!

ده انتوا طلعتوا **** وانا معرفش!

لا ياحمودة ده انت فيها ياأما اخفيها.

....

_كان " يوسف " يتحدث للطبيبة النفسية التي أحضرها خصيصاً لكي تتابع حالة زوجته .. فأخبرته الطبيبة عن مدى صعوبة الموقف وإنه يحتاج للصبر حتى يأتي العلاج النفسي بثماره..

كانت مُعدل مزاجه منخفضاً لدرجة إنه نسى أمر البطولة التي كان عليه التجهيز إليها .. فقد وصل بعد مُعافرة ومثابرة للتصفيات النهائية لبطولة الجمهورية في الملاكمة ،

ولكنه نسى الأمر ، حتى إنه قرر التنازل عنه لعدم توافقه نفسياً الأمر..

وأثناء حواره مع هذه الطبيبة في منزله .. وجد صديقه " علاء " وقد حضر ليبلغه بأخر ما توصلت إليه رحلة البحث والتحقيقات و.................

يوسف مُحدثاً الطبيبة : شكرآ يادكتور .. وإن شاء اللّه تنجحي في علاجها ، انا واثق في خبراتك

بتول وهي تومئ رأسها إيجاباً : متقلقش ياأستاذ يوسف ، العلاج هيتحقق حتى لو على المدى البعيد

_مد يده لمصافحتها ، ثم قادها لباب شُقته ..ومن ثم عاد مرة أخرى لصديقه ، فجلسا على الأريكة

الكلاسيكية الأرجوانية وبدأ علاء في الحديث مسترسلاً و.....

علاء : انا لما روحت الچيم سمعت من المُدرب بتاعك إنك منزلتش ولا مرة من ساعة اللي حصل! انت ناسي البطولة اللي عندك أخر الشهر؟

يوسف وهو يدفن وجهه بين راحتيه ليفركه بقوة : لا مش ناسي ، بس معتقدش هقدر أدخل البطولة

علاء وقد أنفرج ثغره بإزدراء : انت أتجننت! بعد كل ده تقولي مش هدخل البطولة؟ ده حلمك ، وحلم رزان!

يوسف وهو يطبق على جفنيه بقوة : مش عايزه ، رزان تخرج من اللي هي فيه بس ، ده اللي يهمني دلوقتي

علاء وهو يلكزه مُعنفاً إياه : بلاش نبرة اليأس دي !

رزان هترجع أحسن من الأول لكن لازم تديها الفرصة إنها ترجع تاني ، مش هيكون بين يوم وليلة

_تأمل علاء المكان من حوله ، فأبهره ذلك التنسيق المتداخل في الألوان والأثاث ، وأثار إعجابه هذه القطع الديكورية التي وضعت في الزوايا والجوانب..

فتقوس فمه بإعجاب وهو يقول

علاء : ده انت مهندس ديكور ممتاز ياچو

_نظر يوسف حوله بتحسر ، ثم أجفل بصره بخيبة وهو

يوسف : مش انا ، رزان اللي عاملة كل حاجة في البيت على مزاجها هي

علاء : وإيه الفرق! أنتوا الأتنين مهندسين ديكور

_فرك علاء مؤخرة رأسه بحيرة ، وأخذ يفكر ملياً في كيفية إخباره بما حدث..

فألتفت يوسف برأسه وقد شعر إنه يريد إبلاغه شيئاً وربما تردد.

فأعتدل في جلسته وضيق عينيه بفضول وهو يهتف

يوسف : قول اللي عندك ياعلاء

علاء وقد أستجمع شجاعته وهو يقول : لقينا أتنين سواقين ميكروباص ، كانوا شاربين ومبهدلين الدنيا ، ومعاهم فلوس زيادة حبتين .. إحنا شكينا إن ممكن يكونوا هما اللي ورا الحادث!

يوسف وقد تحمس بشدة : بجد ! طب هما فين عايز أشوفهم .. قصدي يعني نخليها تتعرف عليهم

_أنعقد حاجبيه عندما تذكر شيئاً هاماً و....

يوسف : بس متهيألي رزان كانت راكبة تاكسي مش ميكروباص

علاء وقد أنفرج فمه كًالأبله : متهيألك ! هو انت لسه معرفتش اللي حصل!

يوسف وهو يتأفف بضجر : معرفتش إي زفت ! مش عارف أخد منها كلمة واحدة

علاء وهو يضغط على شفتيه بحنق : طب حاول معاها تاني ، إحنا عايزين أوصافهم عشان نكمل شغل

_نهض يوسف عن مكانه ثم دس يده في جيب بنطاله وهو يتمتم بصوت خفيض

يوسف : النهاردة هعرف كل حاجة ، ولو طلع الأتنين دول ليهم يد في حاجة!!

_صمت لوهلة ثم تابع بلهجة متوعدة



يوسف : انا هدفنهم بالحيا ، بس قبل ما أعمل كده هعمل فيهم وفي عيلتهم زي ما عملوا في مراتي بالظبط ، والعين بالعين والبادي أظلم

....

الفصل السادس

_تفقدت " فجر " المكان من حولها جيداَ وهي تقوم بفتح الباب الحديدي الخاص بالمحِل الذي تعمل به..

ثم دلفت للمكان بحذر شديد وتحسست الجدار بيديها حتى توصلت لزر الإنارة وضغطت عليه حتى تُضئ المكان..

ومن ثم تحركت لداخل الزاوية التي تم وضع البضائع الجديدة بها..

قامت بفتح أحد الأكياس القماشية الكبيرة (شوال)

ثم أخذت تلتقط قطع الملابس المسروقة وتضعها بداخله..

وتكررت العملية حتى تم ملئ الكيس على فوهته ،

رفعت رأسها لتنظر نحو الخارج حتى تطمئن على سلامة الأوضاع .. وسرعان ما أعادت كل شئ كما كان وأمسكت ب (الشوال) الخاص بها وخرجت عن المحِل..

وبعد أن أغلقته جيدآ وأوصدت الأقفال الكبيرة ، حملت (الشوال) وتحركت سريعاً من أمام المحل حتى وجدت أخيها منتظراً إياها على بداية الطريق ، فحمل عنها (الشوال) وتحركا سوياً و......

فجر : دلوقتي هتعمل إيه؟

محمود وهو يتأمل الطرقات من حوله : هوديها الدكان بتاع واحد صاحبي كده ، وبكرة هنزل أفرش فرشتي وأبيع

فجر وهى تقوس فمها بإزدراء : بقينا حرامية على أخر الزمن ! ربنا يتوب علينا ويفرجها بقى أحسن انا زهقت

محمود وهو يزفر أنفاسه المحتقنة بضيق : مالك يافجر! ؟

_أستكملت صمتها لثوان معدودة ، ثم تنهدت بسخط وهي تقول

فجر : مبقتش طايقة العيشة دي ! في ناس كتير غيرنا مرتاحين ، أشمعنا إحنا!

محمود وكأن الحديث قد أصاب جرحاً فيه : ومن سمعك ! صاحبي فتح بدل المحل أتنين وانا لسه بفرش في الشارع ومش عارف حتى أجيب محل بالإيجار

_هدرت بصوتها المرتفع الذي خرج عن صدرها بنفاذ صبر ، وكأن طاقتها على الصبر قد نفذت و....

فجر : طول ما أبوك ورانا عمرنا ما هنشيل قرش ، ولا هنكس البيت ولا انا هعرف أجهز نفسي ولا أنت هتفكر تتجوز حتى

_أطبق عليها صدرها وضاق عقب أن تحدثت ببعض مما تكنّهُ .. فأستشعر شقيقها ذلك ، ودّ لو يواسيها ولكنه

أيضاً يحتاج من يواسيه ويحمل عنه همومه..

ولكنه ضغط على حاله وهو يقول....

محمود : يابت بكرة تُفرج ويجيلك إبن الحلال اللي يسعدك

فجر وقد تلوى ثغرها بتهكم : وياترى هيجيلي عشان فقري ولا عشان أبويا اللي سمعته سبقاه في المنطقة

_تنهدت وهى تلوح بيدها في الهواء ثم تابعت بسخط

فجر : أسكت يامحمود وسيبني ساكتة وشايلة جوايا ، مش ناقصة

_تابعا سيرهم بصمت في حين كان بداخل كل منهم بركان مشتعل يأبى أن يظهر للآخر..

....

((عودة للوقت الحالي))

_أصر يوسف على عرض بعض الصور الفوتوغرافية على رزان .. حتى تتمكن من

إكتشاف أشباه الرجال الذين فعلوا بها فعلتهم المُشينة..

كان الأمر صعب تقبله بالنسبة إليها ، ولكنها كافحت وواجهت حالها من أجل أن تثأر لنفسها ولفتيات كثيرات فُعل بهن ما فُعل بها..

بدأت فكرة الإنتقام تترسخ في عقلها وباتت مشاعرها العدائية تطفو على السطح .. فأنتوت عدم ترك الأمر إلا بقتلهم ألفاً بدل المرة..

_بداخل الحجرة التي خُصصت من أجل رزان-

راحت تعدو بعينيها بين الصور وهي تبحث عن هؤلاء الذئاب .. ولكن أنقطع أملها مع أخر صورة تفحصتها ، فلم تجد إياً منهم..

أسندت الصور على حافة الأريكة وهى تقول بيأس

رزان : مش فيهم

يوسف وقد عبست ملامحه فجأة : متأكدة ؟ طيب ركزي فيهم تاني

رزان وهي تنهض عن مكانها بتشنج ثم صاحت بصوت مرتفع : قولتلك مش فيهم

_كز على أسنانه وهو يحرك فكيه بغيظ جلي ، ثم أخفض من نبرته وهو يقول بإمتعاض

يوسف : طب أوصفيهم ، قولي شكلهم والمباحث تشوف شغلها

_مرت أمامها لمحات سريعة وكأنه شريط لفيلم سينمائي ، أطبقت جفنيها بقوة وهي تحاول ألا تتذكر، ولكن طاردتها الذكريات مُطاردة مُميتة .. فتلوت بجسدها وهى تضغط علي رأسها بقوة ليتحرك هو نحوها وقد فزع من هيئتها التي بدأت في التحول..

يوسف : رزان ! خلاص أهدي

رزان وقد ظهرت نبرتها الباكية وسط تقطعات شاهقة لصوتها : شكلهم كان وحش ، وحش اوي .. مش هعرف أوصفهم لكن لو شوفتهم هعرفهم

_سرت إرتجافة مُقشعرة في جسدها وسحبت بحالها من جواره وهي تقول بتحسر

رزان : انا عايزة أمشي من هنا!

يوسف وهو يقذف هاتفه ليرتطم بالحائط ، ثم هدر بصوته مُنفعلاً من إلحاحها المُتكرر لتغادر منزله : يوه!!

انا مش قادر أسكت أكتر من كده ؛ بقالي ١٠ أيام ماسك نفسي بالعافية وانتي مش عايزة تتكلمي معايا حتى!

كل اللي جاي في دماغك إنك تمشي من هنا ؛ انا بحميكي..

مش عايز حد حتى لو كان أبوكي يتعرضلك ولو بكلمة .. ليه مش عايزة تساعديني ، ليه!

_تسلطت عيني رزان على هاتفه الذي سقط أرضاً ، فتذكرت عندما لجأت إليه ليحاول إنقاذها ، ولكنه تأخر عن ذلك إياً كان عُذره .. فزاد حنقها عليه وغضبها منه ،

تغلغلت الأفكار العدائية ضده في نفسها ، وأخذت تستمع لحديثه بدون أهتمام .. فقط تُفكر في عدم محاولته للوصول إليها عقب أن أرسلت موقعها له..

وبشكل مُريع ومفاجئ باغتته وهي تصرخ بقوة

رزان : انت كمان شاركت معاهم في اللي عملوه فيا ، أحتجتك ومكنتش جمبي .. بعتلك ومردتش عليا ولا جيتلي ، انا مش عايزة أشوفك ولا عايزة أشوف حد ! انا كرهت نفسي اللي عايشة لحد دلوقتي ورافضة تموت .. سيبني لوحدي ، سيبني

_لم يستطع إستيعاب ما قالته للتو!

لقد ألبسته ثوب الجريمة مع هؤلاء الذئاب ، وأتهمته بتركها في أحلك الظروف والمواقف .. نظر لها مشدوهاً غير مصدقاً ما قالته ، ولكنه لم يطيق الأنتظار .. بل ردد بصوت مذهول

يوسف : انا ! انا مكنتش جمبك ؟

امتي ؟ انا مسبتكيش لحظة من ساعة ما كنتي في المستشفى ولحد ما جيبتك هنا ! أزاي مكنتش جمبك

رزان وهي تلتقط أنفاسها المختنقة بصعوبة أثناء شهقاتها المتتالية : انا بعتلك ومجيتش ، أستنجدت بيك وملحقتنيش..

يوسف وهو يهز رأسه بعدم فهم : اا... انا لحد ما التليفون فصل كنت بكلمك و.......

_دقق تركيزه فيما قالته ، فأدرك أخيراً أن هناك بعض الوقت لم الذي لم يُفكر فيه .. وهو الفترة التي فصل الشحن فيها عن هاتفه .. حيث إنه لم يستخدم بيانات هاتفه أو خدمات الأنترنت منذ أن وقعت الحادثة..

فخطى سريعاً ليلتقط هاتفه عن الأرضية ثم بدأ في تشغيله وتفحص تطبيقات المُراسلة خاصته والتي لم يقم بفحصها منذ ليلة الحادث ..فوجد رسالة من هاتفها لموقع ما ،

تنفس وكأن غريقاً وجد سبيله للنجاة..

فحدجها بنظرات مُعاتبة وهو يقول...

يوسف : يعني هو ده المكان اللي كنتي فيه !؟

هو أ.....

_أحنت رأسها بخزي وأنخفض نهدها وهي تجلس على حافة الفراش.. فأستفهم ردها الصامت، وقبل أن تنفجر أمامها نوبة إشتعاله أنصرف من أمامها عقب أن أمسك بالصور..

وعندما ولج للخارج وجد علاء في إنتظاره لإستلام الصور ومتابعة ما إن تعرفت هي على أحدهم .. ولكن باءت المحاولة بالفشل ، فلمح في وميض عينيه وكأنه توصل لشيئاً.. فتسائل بجدية قائلاً

علاء : موصلتش لحاجة برضو؟

يوسف وقد لمعت عيناه لمعاناً مُغزياً : وصلت لحاجة أكيد هتفرق

_وضع يوسف هاتفه بين يدي علاء .. فتفحص علاء ما هو ظاهر على شاسته بنظرات بوليسية شديدة التركيز ، فأرتفع حاجبيه بإندهاش وهو يهتف

علاء : ده المكان اللي تم فيه الإعتداء!

يوسف وقد ظهرت العدائية في نبرته : أيوة ، انا عايز أروح المكان ده

علاء بملامح متجهمة : تروح ! مينفعش يايوسف ده شغل مباحث وانت آ....

يوسف بنبرة متعندة : لو مروحتش معاك هروح لوحدي

_خشى علاء من ردود الفعل السلبية التي قد تصدر عنه في لحظة تهور منه .. فأضطر إسفاً لإصطحابه في جولة إستكشافية لهذا المكان ، عسى أن يجدن فيه ما ينشدوه.

....

_كان مزاجه سيئاً منذ صبيحة اليوم ، وكان لوالدته نصيباً أكبر في تحميل الضغط عليه من جديد..

حيث ألحت مرة أخرى بشأن تزويجه ورغبتها في إحضار كنة جديدة لولدها ، ولكنه لطالما عارض ذلك ورفض بشكل قاطع .. ولكنها مازالت تتبع نفس الأسلوب و......

دولت وقد نفذ صبرها ، فعقدت ما بين حاجبيها بعبوس

وهي تتابع : ياحبيبي دي نيڤين بنت ناس وهتليق عليك أوي

غيد وقد أتسعت زاوية فمه بسخرية وهو يقول مستهزئاً : آآه ، قولي كده بقى ! انتى لسه حاطة عينيك على نيڤين!

دولت بلهجة حكيمة : ومالها نيڤين ، على الأقل بتحبك وعارفين هي بنت مين!

غيد وهي يشير بيده تعبيراً عن عدم الموافقة : بنت ناس مش بنت ناس دي مشكلتها ، انا مش هتجوز نيڤين دي بالذات! دمها تقيل على قلبي

دولت وهي تتوسط خصرها بذراعيها : عشان مش باصلها أصلاً

_دس غيد يده في جيب بنطاله وهو يهتف مستنكراً

غيد : كفاية هي بصالي ! ده انا طردتها من شركتي بالزوء وهي برضو مفيش عندها دم

دولت بشهقة عالية : أيه! طردتها .. ده انت قليل الزوء ياغيد

غيد : ماشي ياماما ، بدل ما تفكري في جوازي روحي زوري مرات أبنك .. خرجت من المستشفى بقالها ٣ ايام وانتي مسألتيش عنها

دولت وقد عبست ملامحها فجأة : ومش ناوية أسأل

_تركته وأنصرفت وهي تغمغم بخفوت ، حتى إنه أستمع لبعض كلماتها الخافتة .. ولكنه أصر الصمت ،

توجه نحو النافذة التي تطل على حديقة الشارع الرئيسي ، ثم أخذ يتمعن النظر في السيارات المارة حتى وقعت عينيه على سيارته وهي تأتي

نحو المنزل .. فتهللت أساريره ووجف قلبه بشدة

عندما شعر بإقتراب المُقابلة التي ستجمعه بولده

الوحيد الذي لم يراه منذ فترة..

فتحرك سريعاً ليهبط للطابق الأسفل حتى

يستقبله بنفسه..

وعندما وقعت عينيه عليه رقص قلبه بفرحة

وتحرك نحوه بخطوات أشبه للركض ، بينما

كان الصغير يركض صوبه كَفراشة صغيرة عمّت

الجو بهجة .. حتى أصبح محل الصبي حُضن والده

..

ظل محتضناً إياه بشغف حتى رفع الصغير رأسه عن

صدر والده وهتف بشوق

نجم الدين : بابي ، وحشتني أوي

غيد وهو يحتضن رأسه بين راحتيه : انت اللي وحشتني لدرجة متتوصفش يانجم

_تأمل غيد ملابسه وهيئته المُنمقة ، فقال بإطراء مُعجب وهو يبتسم

غيد : إيه ياعم الشياكة دي

نجم الدين بلهجة واثقة وهو يتأمل حاله : انا اللي أخترت اللبس ده ، مامي قالتلي أغيره بس انا صممت ألبسه

_أستقام غيد في وقفته عندما لمح السائق يتقدم منه والسكرتيرة الخاصة به إيضاً .. فوقف ليكون في مواجهتهما وهو يقول

غيد : كل حاجة تمام؟

شذى بصوت محتقن ولهجة ساخطة : مدام ريهام سابت نيم معانا بالعافية ، بعد ما جالها تليفون من المحامي بتاعها ووضحلها خطورة موقفها لأنها بتعارض حكم المحكمة

السائق : الست هانم بتقول لسعادتك إنها عايزة الولد بعد المغرب عشان بينام بدري

_تبدلت ملامح غيد وحل العبوس محل الفرحة، فسمح للسائق بالأنصراف حتى يتمكن من التُحدث المنفرد مع " شذى " بشأن تلك الرعناء التي تحول بينه وبين إبنه ..فقد سئم تصرفاتها المثيرة للأستفزاز حياله ولم يجد سوى القانون ليجعلها ترضخ لرغبته في رؤية " نجم الدين"

غيد : أعمل معاها إيه دي!

حتى حكم المحكمة بتقف قدامه !.. وانا مش عايز الولد يكبر وسط الصراعات دي

شذى بنبرة خافتة :الحل هو المعاملة بالمثل يامستر غيد

_صمت غيد قليلاً وهو يُدقق نظراته لعينيها اللاتي كانتا تنطقان عما يجول في خاطرها .. فأستفهم مقصدها وأبتسم عقب أن راودته فكرة جديدة ستقوم بإجبارها على إحترام الموعد الذي حددته المحكمة ، فبات مُرتاحاً أكثر وهو يتركها ليصطحب الصبي للداخل حتى يقضي معه أطول وقت ممكن قبيل أن ينصرف مرة أخرى ..

قضيا وقتهما يستمتعان بلعب كرة القدم في حديقة المنزل ومنها إلى لعب (البلايستيشن) ثم تناول وجبة الغداء الشهية التي أُعدت خصيصاً لتناسب شهيته .. كما شاركتهم دولت هذه الأوقات الممتعة وترك عدنان كل شاغل له حتى يفرغ لمجالسة الصغير ، فهو الحفيد الأول

ياسمين ع عادل

لعائلة آل سويفي والذي حظى بمكانة خاصة لديهم..

كما تعمد غيد عدم ذكر ما يخص والدته " ريهام " حتى لا يفسد صفو جلستهم..

ولكن دائماً ما تأتي الرياح بما تشتهيه السفن ، فقد ألحت ريهام بإتصالاتها المُتكررة لكي تطالبه بإستعادة الصبي..

تجاهل هو أتصالاتها ولكنها لم تيأس حتى شعر هو بالضجر فأضطر آسفاً للرد العنيف عليها و......

غيد : لما أشبع من أبني هابقى أرجعولك بنفسي

ريهام بلهجة فظة أثارت بغضه لها :يبقى مش هترجعولي يابشمهندس

غيد بنبرة متهكمة ، يشوبها بعض من الإستهزاء

: كويس إنك عارفة إن عمري ما هشبع منه

_بادر بأغلاق هاتفه كَأهانة منه إليها.. ثم عاد إليهم بوجه عبوس متجهم ، جاهد بقوة لكي لا يُظهر كمّ الهموم التي أثقلت كتفيه.. ثم رسم إبتسامة مزيفة على ثغره وهو يدنو منهم و.....

غيد : يلا يانچم عشان أوصلك لماما

دولت وهي تحتضن الصبي برغبة شديدة في بقاؤه

: لسه بدري ياغيد ، ده انا ملحقتش أشبع منه

_أطرق غيد رأسه بضيق لم يستطع موارته ثم هتف مستنكراً

غيد : لو عليا مخرجهوش من حضنك يأمي ، بس صدقيني أكيد هنلاقي حل على الأقل يقعد يومين ويمشي

_تبدلت قسمات الصبي وهو يطالع والده ثم نطق بتذمر طفولي حاد

نجم الدين : انا عايز أقعد معاك يابابي ، مش عايز أروح لمامي دلوقتي

_أقترب منه غيد ثم أنحنى ليوازيه وبحركة دافئة منه مسد فوق رأس الصبي ثم مسح بها على وجهه وهو يقول

غيد : كلها سنتين يابطل وحضانتك هتكون ليا ، هنقعد مع بعض طول الوقت لحد ما تزهق

_كتف الصبي ذراعيه سوياً ثم عقد ما بين حاجبيه بضيق وهو يتابع ببراءة طفولية شديدة

نجم الدين : بس ماما عايزة تجيب بابي جديد وقالتلي.....

غيد : إيه!! بتقول إيه ؟!

_قال عبارته وهو يعتدل في وقفته ، بينما أنقلبت عينيه لجمرتين مشتعلتين من هول الصدمة التي تلقاها للتو .. فيبدو أن طليقته تعد حالها لزواج جديد دون الأهتمام بالصغير ، مما جعل النيران تتأجج بصدره وهو يقول مغتاظاً

غيد : أسمع يانچم ، مفيش بابا غيري ، متقولش لأي حد الكلمة دي .. انا أبوك الوحيد يابني

دولت بلهجة محتقرة : دي أمك دي أ.....

غيد وهو يحدق في والدته حتى لا تتحدث هكذا أمامه : ماما ، مينفعش كده

_أنحنى غيد بجسده مرة أخرى ليحتضن كفي الصبي حتى يبث فيه الثقة.. ثم هتف بصوت تسلل لصميم الصبي وهو يقول

غيد : أوعدك ده لو حصل مش هسيبك ليها يوم واحد ، انت مش هتعيش غير في حضني يانجم

_أعتدل لينظر أمامه نظرات متوعدة ثم حدث نفسه وهو يقسم على عدم تركه لها إذا ما أنتوت الزواج برجل آخر ،

ولن يجعل وحيده ُ يعايش مثل تلك المواقف حتى لا ينمو مُعقداً مُذبذب الشخصية.

....

_وقبل زيارة يوسف لهذا الموقع الذي بات بين يديه ،

أضطر لمُرافقتها لحضور العرض الذي سيتم أمام هيئة النيابة للتعرف على الجُناة .. لم يكُن الأمر هيناً ، بل إنه أستغرق يومان حتى يستطيع إقناعها بحضور هذا العرض ، كما أستعان بقوى الطبيبة النفسية وخبراتها الطويلة في إقناعها بالتغلب على مخاوفها حتى تثأر لحالها..

دست في أذنيها حديثاً ساماً وحثتها على ضرورة المُطالبة بحقها وعدم الإستسلام أمام ثرثرات

الناس ونظراتهم المريضة إليها .. فتحمست رزان للنيل منهم بأبشع الصور ،

وتلقينهم درساً لن ينسونه إلا بالموت..

-صف يوسف سيارته ثم رمق هذه البناية بتوجس شديد .. حول نظراته إليها يترقب ردود أفعالها ثم خرج عن صمته قائلاً

يوسف : مش يلا ننزل!

رزان وهي تهز رأسها عدة مرات مُتتالية........:

_ترجل يوسف عن مقعده الأمامي ثم أستدار حول السيارة ليفتح الباب إليها .. ترجلت هي بخطوات مُترددة ، تُفكر في العدول عن الأمر .. ولكن داخلها يرفض هذا التردد ويدفعها للمُضيّ ،

أغلق يوسف سيارته ثم جعلها تسبق خطواته وهو يسير في أعقابها ، موجهاً وجهتها .. حتى وقفا أمام " وكيل النيابة"

وقد سمح لهم بالجلوس لحين حضور المُشتبه فيهم للعرض عليها..

زاد مُعدل نبضات قلبها ، فتصارعت وتسارعت .. بدت أنفاسها غير مُنتظمة وهي تتأمل عقارب الساعة وهم يتحركون ببطء شديد .. تحاول

توقع ما الذي ستفعله إذا تواجد من دنسوها

ودهسوا برائتها بنعلهم القذر..

حتماً ستنقض عليهم لتفتك بهم وتغرز أنيابها

في نحورهم حتى تنقطع أنفاسهم..

فشعرت وكأن شيئاً أطبق على عنقها ليُشعرها

بإختناق شديد .. فتنهدت وهي تحاول ضبط

إنفعالاتها حتى أستمعت لصوت المقبض ، لتنتفض

من مكانها وهبّت واقفة وهي تتأهب لرؤيتهم ..

بينما كافح يوسف بشراسة ليبدو هادئاً على

عكس ما يحمله من براكين..

وعندما بدأ المُشتبه فيهم بالدخول واحداً تلو

الآخر ، تأملتهم وهي تضع نصب عينيها ما حدث

لها بهذه الليلة المشؤمة ، حتى تستطيع المُضاهاه



بينهم .. فعلقت ببصرها على أحدهم وهي تضع يدها موضع قلبها و..................................

....

الفصل السابع

_ضغطت على موضع قلبها وهي تتمعن النظر فيه

، وعن طريق المقارنة أخذت تتفرس في ملامحه

عسى أن تكتشف إن كان هو أم لا ؟

سرت رجفة بداخلها وهى تستذكر ملامحهم ،

ولكنها سرعان ما تذكرت هذا الشعر الأكرد

والخشن الذي كان يُغطي رأس هذا الشبيه..

وأخيراً سحبت شهيقاً عميقاً لصدرها عقب أن

تأكدت بإنه ليس المطلوب .. في حين لم يستطع

يوسف الإنتظار أكثر من ذلك ، فسألها مُتلهفاً

يوسف : مين فيهم!؟

رزان وهي تهز رأسها بإنفعال : ولا واحد ، مش فيهم

_أقترب يوسف منها وأشار إليها إلى حيث يقف المُشتبه فيهم ودفعها للنظر إليهم من جديد وهو يقول بلهجة مُختنقة

يوسف : أرجوكي تركزي ، وبصي عليهم مرة تانية

رزان بلهجة يائسة : مش هما يايوسف ، انا عايزة أمشي من هنا

وكيل النيابة : رجعهم التخشيبة ياعسكري

_أعطى وكيل النيابة أمره لهم بالإنصراف فأدى المُجند التحية العسكرية ثم أصطحبهم للخارج ، بينما جذب يوسف ساعدها ليُجلسها مرة أخرى عقب أن أرتخت ساقيها..

فبادر وكيل النيابة وهو يقول

وكيل النيابة : دلوقتي إحنا عايزين نتكلم شوية يامدام رزان ، وكمان عايزينك تساعدينا وتعرفينا مواصفاتهم ، عشان نبدأ التحريات ونتفادى العدالة البطيئة

_أومأت رزان رأسها ببطء وقد علق بصرها للأسفل بخزي، بينما بدأ وكيل النيابة في فتح المحضر

من جديد للتحقيق معها و بدأ الرسام في تنفيذ الشكل التي تقوم هي بوصفه و.........

....

_جلست " فجر " على المقعد الخشبي الصغير بداخل المحِل الخاص ببيع الملابس الحريمي الجاهزة ، والذي تعمل لدى صاحبه .. ظلت تنظر للمارين يميناً ويساراً ، تتوقع أن تحضر إحداهن لإبتياع الملابس ، ولكن لم يحدث..

تأففت بسخط وهي تُكتف كفيها سوياً ثم نطقت ب...

فجر : وبعدين في الأيام السودا دي! المحلات كلها بتهوي (فارغة) ومحدش بيشتري حاجة، مش عارفة لازمتها إيه القاعدة السودة دي!

_لمحت ظل أحدهم يقترب من المحِل فأعتدلت في جلستها متأهبة لإستقباله ولكنها وجدت صاحب المحِل .. فعبست مرة أخرى ، بينما طالعها هو بوجه مكفهر وهو يقول

فاروق : شكلك ما بعتيش حاجة النهاردة؟

فجر وقد تلوت شفتيها بضيق : اه مبيعتش ، السوق نايم ياحج و....

فاروق وهو يلوح بيده في الهواء : سوق إيه! ده انتي دخلتك على المحل دخلة شؤم

فجر : نعم نعم!

_قالتها وهي تنهض عن المقعد وقد توسطت خصرها بساعديها وتمايلت بجسدها وهي تقول بلهجة مرتفعة

فجر : انا وشي شؤم ! ولا انت اللي حاطط سعر الحاجة الطاق طاقين ، كل اللي تيجي تسأل على حاجة تخرج زي ما دخلت .. ولو مش عجباك دخلتي على المحل أديني حسابي وانا أمشي

_رمش فاروق عدة مرات وهو يرمقها بتفكير ، حيث إنه لن يجد البديل الذي يعمل لديه بهذا الراتب الزهيد الذي يدفعه نظير عمله .. وسرعان ما أبتسم بإبتسامه مزيفة وهو ينطق ب

فاروق : انتي على طول واخدة الحكاية جد كده يافجر يابنتي !؟ ده بهزر معاكي وانتي زي بنتي برضو

_نظرت فجر في شاشة هاتفها الصغير لتجد الساعة قد دقت التاسعة مساءً.. فألتقطت حقيبتها ودست بها هاتفها وسلسلة المفاتيح خاصتها ثم حدجته بإحتقار وهي تقول

فجر : انا خلصت شغل ، سلامات ياحج

_تركته وأنصرفت ، وهي تلعن ذلك الحظ العثر الذي جعلها تتنقل بين المحال التُجارية لكسب بعض النقود التي تنفقها على أشقائها الصغار..

سارت والهمّ خليلها ، تُفكر بشأن البيت الذي تود ترميمه قبل أن ينهدم فوق رؤوسهم ، وإحتياجات منزلها من بقول وخضراوات .. كما أشتهت تناول الفاكهة.. فوقفت بأحد الزوايا وأخذت تتطلع لما معها من نقود ، لتجد بعض العملات المعدنية وبضع ورقات بفئة العشر والعشرون جنيهات .. تنهدت بضيق ثم سارت مُتجهة نحو أحد البائعين لشراء الفاكهة.

_كان " حمودة " يجلس على الأرضية ، يسحب أنفاساً من النرجيلة ويزفر بدخانها في الهواء .. لم يهتم لأطفاله الذين أصابهم السعال فتركوا المكان ليتواجدو بغرفتهم الصغيرة..

بينما حضرت فجر وهي تحمل بعض أكياس الفاكهة والخضراوات التي يحتاجها المنزل ، وولجت لتجد هذه السُحب الضبابية تعُم المكان .. فأطبقت جفنيها بحنق وهي تقول

فجر : حرام عليك العيال مش ناقصين دخان ، مش كفاية الواد اللي جاله حساسية على صدره بسببك!

حمودة وهو مسلط النظر على هذه الأكياس : انتي جايبة إيه معاكي؟

_وارت الأكياس خلف ظهرها وهي تبتعد عنه ثم نطقت بسخرية

فجر : ده للعيال مش ليك

_تركت مُحيط الصالة وهي تدلف لحجرة أشقائها .. ولكنها أستمعت لصوت الباب يُغلق..

رجحت إنه شقيقها الأكبر فتركت الأكياس جانباً وراحت تنتظر مروره من هذا الرواق الضيق ، وعندما رأته أشارت له بهمسات خافتة ثم أتجها سوياً لحجرتهما.. أوصدت فجر الباب جيداً ثم جلسا يتهامسون بخفوت

فجر بلهجة متشوقة : ها؟ عملت إيه يامحمود

-أتسع ثغره بإبتسامه متحمسة ثم فرك كفيه وهو يقول

محمود : مش هتصدقي ، بعت كل البضاعة النهاردة

فجر وقد تهللت أساريرها وعرفت البسمة الطريق لمحياها أخيراً : بجد!! آ.. طب بعت بكام؟

_وقف محمود ليُخرج المال من جيب بنطاله ثم مد يده به وهو يقول

محمود : خدي ، دول أربع ألاف جنية

فجر وهي تلتقط النقود منه وقد لمعت عيناها فرحاً : الحمد للّه ، كده معانا سبع ألاف جنية ، من بكرة هروح لصاحب البيت وأكلمه عشان ننكس البيت ونخلص قبل ما ننام في الشارع

محمود وهو يجذبها نحوه لكي تتحرك : طب يلا تعالي ننزل نتعشى برة ، انا مكالتش من صباحية ربنا

فجر وقد عبست ملامحها مرة أخرى! نتعشى برة! طب ما أحضرلك أكل هنا ونوفر الفلوس

محمود بلهجة حانقة : ياستي متخافيش أنا اللي هدفع، وبعدين معدتي وجعتني من البطاطس والفول والخضار ، نفسي في زفر يافجر

فجر وقد ضاقت عينيها بخبث : انت طلعت مصلحة من ورايا ولا إي!

محمود وهو يُحيد ببصره عنها : دي سبوبة صغيرة كدة

فجر : طب انا هشيل الفلوس وأجي معاك ، بس هتأكلني إيه؟

محمود بلهجة متحمسة : كباب يابت يافجر ، هأكلك كباب .. يعني أكله مشمتيش ريحتها في حياتك

_أنفتحت شهيتها أكثر للطعام عندما أغراها أخيها بتلك الوجبة الشهية .. فأسرعت لتخبئة هذا المبلغ المالي قبل أن يشعر بهما أبيها العاق..

ولكنها لم تدري أن أبيها قد فضح أمرهما منذ فترة ، وأنتظر حصادهم بفارغ صبر .. كما كان يقف أمام باب حجرتهم مُتلصصاً عليهما ، وعندما علم بقيمة المبلغ الذي أصبح بحوذتهم .. فغر شفتيه وهو يتابع

حمودة : بقى كل ده يطلع منكوا ياولاد الأبلسة

_حك مؤخرة رأسه وهو يبتعد بحرص عن الحجرة وأخذ يتدبر أمر سرقة هذا المبلغ وكيفية الإستحواذ عليه قبيل أن يتم إستهلاكه من قبلهما.

....

_كان يتحرك في مُحيط الغرفة بخطوات منفعلة ، يفرك قبضتيه بغيظ شديد .. بينما جاهد " علاء " لكي ليجعل للصبر مكاناً لديه ، ولكنه كان قد وصل للذروة غضبه..

ومع كل دقيقة تمر عليه وهو لم يثأر بشيئاً من حقها تعدو وكأنها دهراً كاملاً ، مازال جرحه ينزف وبشدة .. وكأنه يضغط عليه لكي لا يلتئم فيتناسى الأمر وكأنه لم يكن..

نهض علاء عن مقعد مكتبه ثم توجه إليه وضرب كتفه بخفة وهو يشدد عليه قائلاً

علاء : لسه التحريات شغالة يايوسف ، وانا مش عايزك تفقد الأمل

يوسف وقد أبتسم بسخرية من زاوية فمه وهو يهز رأسه مستنكراً : أمل!!

_أزاح يوسف يده عنه وهو يتابع

يوسف : علاء ، أقفل القضية دي .. وحولها ضد مجهول

علاء بأعين مُحملقة وفم فاغر : إيه؟! أنت اللي بتقول كده يايوسف ! انا مش مصدقك

يوسف وقد تجمدت ملامح وجهه تحولاً مُخيفاً : لأ صدق ، أقفل القضية دي أنا مش محتاجها في حاجة

علاء وقد أستشف رغبته في الإنتقام بنفسه : يوسف .. اللي في دماغك مينفعش تعمله ، مش هينفع تكسر القانون و....

يوسف مقاطعاً إياه بلهجة حازمة وقد عقد العزم على تنفيذ مُبتغاه : مش هاخد برأي حد ، ولو مقفلتش القضية أنا هتنازل عنها وفي الحالتين هتتقفل

_تحرك يوسف ليُغادر المكان ، ولكن أطبق علاء على ساعده وهو يجذبه مرة أخرى ، ثم نطق مُحتجاً

علاء : واجبي أمنعك من اللي عايز تعمله

يوسف وهو يجذب ساعده ليبتعد عنه : يبقى هنخسر صداقة السنين الطويلة اللي عرفنا فيها بعض ياعلاء .. الأحسن تعمل نفسك مش واخد بالك مني

_تحرك يوسف بخُطى مُتعجلة ليغادر حجرة المكتب ، بينما وقف علاء في حيرة من أمره ..

هل ينصاع لرغبة رفيقه أم يُطبق قواعد القانون ويخسر صداقة دامت لسنوات عديدة.. !

هو يشعر بأحقية يوسف في أن يحصل على حقه وحق زوجته .. ولكنه حبذ أن تكون الطريقة المُتبعة قانونية مُثلى

، ولكن الآن .. ماذا يفعل وقد أنحرف يوسف عن طُرق القانون ، تنهد علاء بحنق وهو يلقي بجسده أعلى المقعد .. ثم راح يُفكر في الأمر بتريُث.

....

_كان مساءً بارداً .. تهاوت فيه الرياح وأصدرت أصواتاً شتائية عاصفة ، عندما كانت " فجر "

تعود للمنزل من جديد .. وقد أستطاعت الحصول على موافقة صاحب البناية لترميم البيت وتصليحه ، بدأت السعادة تتسلل لنفسها وراحت تخطو نحو حجرتها بمرح وهي تتأهب لإحضار المبلغ المالي الذي ستقوم بدفعه نظير إصلاح المنزل..

وإذ بالكارثة تضرب كلَّ حواسها وتسقط على عقلها سقوط دلواً مُثلجاً في أجواء قارسة .. ولكنها سرعان ما أفيقت وأخذت تتحرك في الحجرة وقد أصابها الجنون، راحت تبحث وتبحث هنا وهناك لعلها تكون قد أنتست وبدلت مكان حفظهما .. ولكنها لم تجد جُنيهاً واحداً من الآلاف التي أدخرتها ، فضربت على صدرها وهي تصرخ صراخاً مدوياً ثم هتفت تُنادي على شقيقها

الذي حضر من الخارج راكضاً ليرى ما أصابها

و.......

محمود : في إيه يابت ! ايه اللي حصل أنطقي؟

فجر وقد بدأ صوتها يتحشرج : انت خدت الفلوس اللي كانت هنا!

محمود محدقاً بها بعدم فهم : لأ طبعآ ما جيتش جمبهم ، انتي ضيعتيهم ولا إيه

فجر وهي تتحرك بهيستريا شديدة : انا مجيتش جمبهم ، الفلوس أختفت من مكانها ، لأ أختفت إيه! دي أتسرقت

محمود وقد تجهمت ملامحه وهو يرمقها بإنفعال

بيّن : نعمين ياختي ! قصدك إيه .. كل اللي

جمعناه راح بلاش!

_تبدلت ملامحها لآخرى ، لتتحول للتوعد

والتهديد .. فصمتت ثوانٍ معدودة ثم تابعت وهي

تتحرك نحو الخارج

فجر : مفيش غير أبوك اللي عملها ،

محمود وهو يتعقب أثرها : أستني بس هتفضحينا

يابنت ال***

_كان هجومها على حجرة أبيها غير مُسبق بالأنذار..

حيث فتحت الباب على مصرعيه ووقفت تحدجه بنظرات مُحتقرة وهي تُلقي على عاتقه الإتهام بالسرقة و....

فجر : فين الفلوس اللي خدتها من دولابي

_تجاهل والدها وجودها بحجرته وتابع إستخدام النرجيلة خاصته في التدخين .. ثم زفر الدخان عن صدره دفعة واحدة ، وعاود النظر إليها بجفاف وهو يقول

حمودة : فلوس إيه اللي بتتكلمي عنها! انتي بتدكني (تدخر) من ورانا ولا إيه يابت ؟

_أقتربت فجر منه أكثر ثم هدرت بصوتها وهي تقول بلهجة أشبه للصراخ

فجر : بقولك وديت فلوسي فين!

حمودة وهو يُطلق أنفاسه المُعبئة بالدخان في الهواء : خدها الغراب وطار

_حدقت فيه وقد تأكدت شكوكها ، فقد سرق والدها كل هذا المبلغ المالي الذي أدخرته من

أجل تصليح البناية التي يقطنون بها .. شعرت وكأن صوتها قد أنبح وباتت غير قادرة على الحديث ، وعلى حين غُرة .. أنتبهت لهذه النرجيلة الجديدة التي تختلف عن تلك التي أكلها الصدأ..

فلم تستطع كبح إنفعالاتها وهي تقول

فجر : يعني سرقتني وكمان بتصرف على مزاجك من جيبي

حمودة وهو يغمز لها بنصف عين ، وكأنه يتعمد تذكيرها بمصدر هذه النقود الغير مشروع :

جيبك إيه يابت ! ما كله من جيب صاحب المحل

_رمشت هي بعينيها عدة مرات عقب أن أكتشفت معرفته بالحقيقة، ثم أبتلعت غُصة توقفت بحلقها وهي تتحسر قائلة

فجر : بس دي فلوس البيت اللي عايز يتنكس ، هات اللي أتبقى معاك طيب وحلال عليك اللي خدته

حمودة وقد تقوس فمه بإزدراء وهو يقول : منين ! مش انا صلحت التاكس وعملته عمرة ، ده انا

حتى ملحقتش أجيب صباع حشيش عشان أوزن دماغي بيه

فجر : يالهوي!

_ضربت على صدرها عقب أن علمت المصادر التي أنفقت عليها النقود ، وأصبح أملها في إيجاد حلاً بديلاً غير موجود .. عقب أن أفسد هو كل ما فعلته ،

في هذه الآونة ، كان محمود يتطلع للأمر عن بُعد حتى لا يزداد الوضع سوءاً.. ولكن طفح به الكيل ولم يعُد يُطيق صبراً على أفعال أبيه تلك ، فشق طريقه للداخل وقد لمعت عيناه بقهر وهو يقول

محمود : صرفت الفلوس كلها ! طب والبيت اللي هيقع على دماغنا مين هيصلحه؟

حمودة وقد أفتر ثغره بإبتسامة باردة أثارت حنقهم : اللي جاب الفلوس أول مرة قادر يجيب تاني

فجر وهي تصيح فيه بصوت مُنتحب خالجهُ البكاء : انا مش حرامية ولا وش سرقة ! ولما عملت كدة عملت من زنقتي وقلة حيلتي .. عشان مكانش معانا جنية واحد نصرفه على البيت اللي هيتهد فوقنا ، وانت جاي تقولي تاكس وزفت

_لم يُعيرهم أدنى أهتمام ، بل إنه حاد ببصره عنهما حتى يصيبهم بالسئم فيتركونه وشأنه..

ولكن أنتبهت فجر للمفاتيح الخاصة بوالدها على المنضدة الخشبية الصغيرة ، فأنحنت لجذبها ثم أعتدلت لتنصرف وهي تقول

فجر : انا بقى هبيع التاكس بتاعك ده وأخد فلوسي وأبقى أشبع بالباقي

_نهض حمودة عن جلسته سريعاً ليلحق بها ، فلم يستطع سوى القبض على حجابها وبعض الخصيلات من أسفله حتى توقفت لتصرخ بتألم .. فصاح بها قائلاً

حمودة : هاتي المفاتيح يابنت ال*** ده انا هطلع **** و ***** يا*****

_كماً من السباب اللاذع والمُقطع أطالها وهو يشد على قبضته أكثر ليؤلمها أكثر فأكثر .. بينما وقف شقيقها ينتزعها من بين يديها بإنفعال شديد وهو يصرخ به

محمود : أنت إزاي تمد إيدك عليها ، مش كفاية الهم اللي مشيلهولنا ..أوعى إيدك بقولك

_أستيقظت " أمينة " على أثر صوتهم المرتفع وخرجت عن حجرة صغارها وهي تهرول للخارج ،

لتجد هذا المشهد أمام عينيها فتنتفض فزعاً وهي تتجه نحوهم و....

أمينة : يانصيبتي ، سيب البت ياحمودة عملتلك إيه

حمودة بصوت مرتفع : هاتي المفاتيح يابنت ال *** بدل ما.....

_قذفت فجر بالمفاتيح أرضاً وهي تنتزع نفسها بصعوبة من بين يديه ، ثم صرخت فيه بصوت باكي

فجر : حسبي اللّه ونعم الوكيل فيك ، منك للّه ياشيخ

_قالتها فجر وهي تركض لترك المنزل ، حيث سحبت حجابها عن رأسها وأخذت في إعادة عقده مرة أخرى .. بينما ركض أخيها خلفها للحاق بها قبل أن تبتعد عن البناية ، ولكنها سرعان ما أستقلت وسيلة نقل صغيرة تُسمى ب (توكتوك) لكي ينتقل بها سريعاً عن هذا المكان ولم يبقَ منها سوى ظلاً..

....

_علق يوسف ببصره على أشارة المرور حتى تحولت من اللون الأحمر للأخضر .. ثم شق طريقه مُسرعاً نحو أحد الطرق السريعة وهو يتحدث بهاتفه إلى هذا الشاهد الوحيد (السائق) الذي قام بمساعدة زوجته ليلة الحادث ، حيث عقد معه إتفاقاً ليكون سائقاً لديه براتب مُغرى لفترة محددة من الوقت .. وقد عقد عزمه على تنفيذ بعض المُخططات التي ستمكنه النيل من هؤلاء الذين قاموا بإغتصابها..

فلم يُظهر السائق أدنى إعتراض .. بل إنه حبذ الأمر و....

يوسف : متفقين ياعم سيد ، بس زي ما قولتلك من أولها أنا طريقي صعب وانت عارف أنا ناوي على إيه!

سيد : ياباشا أنا معاك ، وأخدمك بعيني واللّه

يوسف وهو يتنهد بثقل غريب : تمام ياعم سيد ، بكرة هنبدأ وأول حاجة هنروح المكان اللي قولتلك عليه .. وبعدها هتوديني موقف العربيات اللي انت تعرفه

سيد وهو يومئ رأسه بالإيجاب : معاك ياباشا، من ٩ الصبح هكون قدام بيتك

يوسف وهو يذم شفتيه بحرج : بالنسبة للفلوس انا هعملك مرتب زي ما قولتلك و.....

سيد وهو يقاطعه بنبرة راضية : اللي يطلع منك حلو يابيه

_أنتبه يوسف لصوت صافرة يصدر عن هاتفه ، فأبعده عن أذنيه لينظر حيث شاشته .. ليجد والدته على قائمة إنتظار المكالمات ، فتأفف بضجر وهو يستبدل المكالمات و...

يوسف : انا هقفل معاك وأكلمك تاني ياعم سيد ، سلام..

أيوة ياماما

دولت وقد بدت نبرتها مُحتدة بعض الشئ : أخيراً رديت عليا وأفتكرت إن ليك أم

يوسف وهو يمسح وجهه بسخط : معلش ياماما ، انتي عارفة الظروف اللي انا فيها

_كانت فجر قد تركت هذه المواصلة الصغيرة التي أقلتها بعيداً عن الحي الشعبي الذي تقطن به .. وسارت سيراً على الأقدام وهي تبكي بكاءاً حاراً ، أنتبه إليها المارة ولكنهم لم يستطيعوا التدخل بأمرها أو تقديم المساعدة لها..

بينما لم تعيرهم هي إهتماماً ، بل شغل خاطرها هذه الهموم التي تثاقلت عليها وتزداد يوماً بعد يوم..

أزاحت الدموع عن عينيها وهي تنظر للطريق ، فوجدت حالها أمام طريق سريع من السيارات ..

تعبر فيه السيارات بوحشية وسرعة مُريبة ، جال بخاطرها أن تودي بحياتها أسفل عجلات أحد تلك السيارات فترتاح من عبئ هذه الدنيا

..وأخذت الفكرة تتوسع برأسها وتسيطر على عقلها إلى أن قررت تنفيذها ، فنظرت للسيارات بنظرات خاوية من الحياة وأبتلعت ريقها بصعوبة وهي تهبط عن الرصيف الموازي للطريق.. ثم أطبقت على جفنيها وبدأت تخطو وكأنها ستعبر الطريق ،

بينما كان يوسف يجاهد للسيطرة على هذة الحالة العصبية التي إنتابته عقب حديث والدته

المتكرر عن هذه الزيجة وعدم رغبتها في إتمامها .. فبدا صوته مختنقاً وهو يقول

يوسف : أرحميني ياماما ، قولتلك دي مراتي ومستحيل أتخلى عنها .. ليه مصممة تعملي بيني وبينك فجوة

_أنتبه يوسف لتلك المجنونة التي تعبر الطريق بهذا البرود في الخطوات وعدم نظرها نحو السيارات .. فأصدر أبواق سيارته بعنف وقد أرتفعت نسبة الأدرينالين في دمه ، لم يستطع الضغط على مكابح السيارة في هذا الطريق السريع

فصرخ بصوته وهو يقترب منها ليكاد يدهسها أسفل سيارته و.....

يوسف : أنتي يامجنونة ، حاسبي ، حاااسبي بقولك حاااسبي.......................................

الفصل الثامن

_لم يستطع التوقف بسيارته وسط هذا الكمّ المجنون من السرعات العالية للقيادة .. فأخذ ينظر بتوتر ما بين مرآة السيارة وبينها حتى يستطيع تقدير المسافة بينه وبين لاحقهُ ، فوجدها ليست بالبعيدة .. ضرب المقود بيده وهو يصيح فيها لتبتعد ولكنها ظلت واقفة بمحلها ، حتى صدنتها سيارته بالفعل.....

_نزع عنه حزام الأمان ثم هبط عن سيارته سريعاً ليتفحص هذه المُختلة التي ألقت بنفسها أمام

سيارته ، فوجدها ساقطة أرضاً فاقدة للوعي ..
وقد أُصيبت رأسها وظهرت فيها كدمة مُدمية ،

نظر إليها بحالة من الهلع ، ولم يقوَ على الأقتراب
منها حيث إنه لا يعرف ما أصابها بالتحديد..
ضغط على رأسه براحتي يده ثم صرخ قائلاً

يوسف : اللّه يخرب بيتك! انتي طلعتيلي منين
ياشيخة هو انا ناقص بلاوي

_أصطفت سيارتين جانباً بعيداً عن صفوف
السيارات السائرة لتفحص الوضع .. وأرشده بعضهم
لضرورة إصطحابها على المشفى سريعاً، بينما ألقى
عليه البعض الآخر باللوم والتوبيخ و....

-حرام عليكوا ياناس فتحوا وانتوا ماشيين!

يوسف بنبرة متذمرة : ياعم هي اللي رمت نفسها قدام عربيتي

-يأستاذ وديها المستشفى بسرعة عشان تلحقها

_حملها أثنين من هذا الحشد بينما أسرع يوسف نحو المقعد الخلفي ليفتح الباب الخاص به .. فوضعوها بداخل السيارة وأنصرف كل منهم لحاله، بينما أستقل يوسف مقعده خلف المقود وبدأ في القيادة وهو ينظر إليها من الحين والآخر .. لم يستطع كبح إنفعالاته وهو يصيح لنفسه

بضجر ، وقد أطلق سباباً لاذعاً لما آلت إليه الأمور ..

وإذ بهاتفه يصدر أصواتاً مرتفعة ليبحث عنه حوله ، فوجده ملقى بجواره..

ألتقطته ونظر لشاشته قبل أن يضغط عليه للرد و....

يوسف : أيوة ياغيد

غيد وقد ظهر القلق في نبرته : إيه اللي حصل معاك يايوسف! أمك كلمتني وبتقول عملت حادثة

يوسف وهو يتأفف بغيظ : آه ، خبطت واحدة ورايح بيها المستشفى

غيد وهو يتحرك عن مقعد مكتبه بحركة متعجلة : طب قولي رايح فين وأنا أجيلك على هناك

يوسف وهو ينظر للطريق عبر المرآة الجانبية : في مستشفى قريبة أسمها *** هروح بيها على هناك

غيد : خلاص وانا هحصلك ، سلام

_أغلق غيد هاتفه ثم ترك القلم عن يده وبدت حركته متوترة قليلاً وهو يقول

غيد : شذى ، انا لازم أمشي دلوقتي ، شوفي هتعملي إيه في حكاية السفر وبلغيني

شذى وهي تنظر لساعة الحائط : تمام يافندم ، انا هامشي وأدرس الملف في البيت وبعدين هرد عليك

....

_وقف يوسف أمام قسم الأستقبال بالمشفى وأخذ يفرك كفيه بإرتباك .. حتى بصر بغيد وقد حضر إليه مُتعجلاً ،

أقترب غيد منه وهو يتسائل

غيد : عملت إيه؟

يوسف وهو يشير برأسه نحو قسم الأستقبال : لسه جوه ، مش عارف إيه الأشكال دي ياأخي.. رمت

نفسها قصاد العربية وهي مستبيعة عادي جدا ،

وانا أروح في داهية بسببها!

غيد وهو يشد قبضته على كتفه : أهدا ياچو ،

رينا يستر وتطلع كويسة

_خرج الطبيب عن حجرة الكشف ثم أتجه نحوه

وهو يقول بلهجة جدية

الطبيب : الحمد للّه محصلهاش حاجة خطر ، بس

دراعها أتكسر وجبسناه .. الجبس هيتفك بعد

٢١ يوم ، والأشعة وضحت إن دماغها سليمة هي

مجرد كدمة بس

غيد وهو يحك طرف شفتيه بأظافره : طب هي هتطلع النهاردة ولا هتقعد هنا؟

الطبيب وهو يهز رأسه بالسلب : لأ ملهوش لزوم ، تقدرو تاخدوها أول ما تقدر تمشي.. عن أذنكوا

_تحرك الطبيب من أمامهم ، بينما تعقبه يوسف بعينيه قبيل أن يتنهد بسخط .. ثم تابع قائلاً

يوسف : انا هروح أشوف الحسابات عشان نخلص ونمشي من هنا

غيد وقد علق ببصره على باب الغرفة : روح أنت وانا هشوفها

_تحرك يوسف ليبحث عن المكان الذي سيُسدد به قيمة المصروفات الخاصة بالمشفى .. بينما دلف غيد ليتفقد هذه الفتاة التي صدمتها سيارة أخيه ، فوجدها تتلوى فوق الفراش المعدني الصغير وهي تتأوه متألمة .. فذم على شفتيه بضيق وهو يقترب منها ثم هتف

غيد : انتي كويسة؟

فجر وهي ترفع بصرها إليها وقد ظهرت عيناها المنتفختين من أثر البكاء الشديد .. فحدجته بغيظ وكأنها تُنفث عن غضبها فيه وهي تقول :

هو انت بقي الحيوان اللي خبطني؟

_أرتفع حاجبيه بذهول وهو يرمقها بحنق ، ثم نطق مستنكراً و بإنفعال متواري

غيد : حيوان!

فجر وهي تصيح فيه بصوت يختلجه البكاء : أيوة طبعآ، طالما مش بتعرفو تركبوا عربيات بتركبوها ليه!؟

يوسف وقد هدر بصوته ليصل صداه لجميع من في الرواق : إحنا اللي مبنعرفش نسوق ولا أنتي اللي واحدة غبية رمت نفسها قدام عربيتي ، انتي ليكي عين تتكلمي معانا أصلاً

_قال يوسف بعبارته وهو يقترب من فراشها عقب أن أستمع لحديثها ، فشعر بالغيظ منها أكثر وأنفعل بشدة وهو يشن هجوماً حاداً عليها .. وقبل أن يقذفها بالعديد من الكلمات وقف غيد في مقابلته وهو يقول

غيد : أهدا يايوسف مش كدة

فجر وقد أستجمعت رباطة جأشها وهي تعتدل في جلستها لتقول : أنت واحد قليل الذوء

يوسف وهو يرمقها بإحتقار : وانتي إنسانة معندهاش دم

غيد وقد أحتدت نبرته وهو يقول : خلاص ياآنسة ، يلا بينا يايوسف

يوسف وهو يلعن حظه الذي أوقعه معها : أشكال ما يعلم بيها إلا ربنا

فجر وهي تصرخ بصوتها لتجذب أنتباهه : أستنى هنا ، انت هتمشي كده بسهولة

يوسف وهو يلتفت إليها مرة أخرى وعلى وجهه تعابير متجهمة : نعمين ياختي! عايزة إيه مش فاهم؟

فجر وهي تنزح عبراتها بكبرياء : أتصل بأخويا ييجي ياخدني ، ولا هتسيبني مرمية هنا وأنت السبب

_قبض يوسف على جفنيه بحنق ، بينما أخرج غيد هاتفه من جيب سترته وقام بإلغاء خاصية الأمان الخاصة به ثم بسط يده نحوها وهو يقول

غيد : أتفضلي ، ياريت بسرعة عشان عايزين نمشي

_ألتقطت فجر الهاتف منه ثم بدأت بتدوين رقم هاتف أخيها وهي تنطر إليه تارة وتنظر للهاتف تارة أخرى .. فتفهم غيد رغبتها في الخصول على بعض الخصوصية وأبتعد بخطواته وهو يجذب شقيقه الأصغر للخارج .. بينما ظل التوتر هو سيد

الموقف لدى يوسف ، فأراد شقيقه أن يهدئ من روعه قائلاً

غيد : أهدا والدنيا هتعدي

يوسف متأففاً بتذمر : شكلها بت لبط!

غيد وهو يتطلع إليها بعينيه : ملناش فيه ، تخلص تليفونها وهنمشي

_على الجانب الأخر ، فزع محمود عقب أن علم ما أصاب شقيقته .. تحرك بتشنج هو يستمع للتفاصيل منها ،ثم بادر وهو يقول

محمود : انا جايلك على طول

فجر وهي تلتقط أنفاسها الشاهقة : حاول تتصرف في فلوس وانت جاي ، احسن المستشفى شكلها غالي

محمود وقد أصابه الغضب : البهوات اللي خبطوكي راحو فين؟ دول ملزمين بمصاريف المستشفى

فجر وهي تتطلع إليهم عن بعد : مش هقدر أقول حاجة، انا اللي كنت غبية ورميت نفسي في سكتهم .. ومكنش معايا فلوس خالص

محمود : طب انا جاي على طول

_أقترب غيد ليُعجل من طلب هاتفه ، ولكنه وجدها تغلق الهاتف وتنظر إليه بتمعن شديد..

جذب إنتباهها مظهر الهاتف الأنيق والذي أظهر قيمته الباهظة ، فأبتسمت بسخرية من حالهم القاحل ومدت يدها به وهي تقول

فجر : أتفضل

غيد وهو يلتقط بهاتفه : سلامتك ، عن أذنك

_ألتفت لينصرف .. فعلقت فجر عليه وتأملت هيئته الوقورة وحُلته الأنيقة ، ثم ضاهت حالتها بالفقيرة بحالهم المُترف .. أرادت أن تبكي وتجهش ببكاء مرير ، ولكنها تماسكت وهي

تنظر لذراعها الموضوع داخل الجبس .. ومن ثم عادت بظهرها لتستند على الفراش وهي تنتظر حضور شقيقها.

....

_جاهدت السيدة " إلهام " بقوة .. لكي تستطيع إنتشال إبنتها من هذه الحالة المذعورة التي أصابتها عقب أن حضرت من النيابة..

في حين كان أحمد يتحدث إليها بعقلانية شديدة وهو يقنعها بضرورة ترك هذا المنزل والعودة لمنزلها..

ولكن كان حضور يوسف قاطعاً لحديثهم ، حيث حضر وهو بأوج حالات الغضب والإنفعال ، ورغم

محاولاته العديدة في التخلص من غضبه العارم ..

إلا إنه لم يستطع ،

وبعد تفاجئ هو بوجود والدة زوجته وشقيقها ،

رسم بسمة مُجاملة وهو يلقي عليهم التحية و.....

يوسف : منورين البيت ياجماعة

إلهام وهى تصافحه بحرارة : ده نورك يابني

أحمد وهو يقف قبالته ليُحيه : حمدالله على السلامة يايوسف

يوسف وهو يضغط على كفه : الله يسلمك ياأحمد

_نظر نحو " رزان " التي كانت تعتلي المقعد الأسفنجي ، كانت منزوية على نفسها لا تنظر لأي منهم..

ولكن ما جعله يشعر بإرتياح هو تركها لهذه الحجرة التي أعتقلت حالها بداخلها لفترات..

فتنهد وهو يقول

يوسف : كويس أنك سيبتي الأوضة أخيراً

أحمد وهو يوزع أنظاره بينهما : متهيألي كفاية كده يايوسف ، النفوس هديت ورزان المفروض ترجع بيتها

يوسف وقد تنغض جبينه بحنق : هنا بيتها يأحمد ، تأجيل الفرح مش معناه إن رزان لسه

مبقتش مراتي .. إحنا كتبنا الكتاب وكل الناس عارفة ده

إلهام وقد بدا الحزن على ملامحها : يابني انت كده بتعقد الأمور بينها وبين أبوها ، وإحنا عايزينهم يتصافوا

_تزحزح يوسف عن مجلسهُ ليكون على حافة الأريكة، ثم تابع بنبرة مستنكرة

يوسف : إلا قوليلي ياطنط ! هو عمي مصطفى مجاش معاكوا عشان يطمن على بنته ليه؟

_أطرقت إلهام رأسها بخزي منه ، ولم تستطع إيجاد أجابة مناسبة على سؤاله.. بينما أنتقل يوسف ببصره نحو شقيقها وتسائل مرة أخرى قائلاً

يوسف : ما تقول ياأحمد ليه عمي مرفعش سماعة التليفون وسأل على بنته ؟

أحمد وقد أصابه الحرج : بابا معذور برضو يايوسف ، في الأول والأخر هو أب و....

يوسف مقاطعاً له بصوت جاد للغاية : أنا كمان معذور ، مش هكون فرحان ومراتي بتتعذب جوه وبره

_أصدر جرس الباب رنيناً صاخباً فتحرك يوسف عن مجلسه وتوجه لفتحه .. ليجد والدته تقف أمامه وقد بدا عليها الخوف وهي تتسائل

دولت : يوسف ، انت كويس ياحبيبي؟ جرالك حاجة؟

يوسف وهو يمسح بكفه على ظهر يدها لكي يُطمئنها : متقلقيش ياماما انا بخير ، تعالي

_لفت إنتباه رزان ما قالته دولت ، وهذا الخوف الذي ظهر عليها ظهوراً بيّناً .. فأصابها الفضول لمعرفة ما أصاب زوجها ولكنها أصرت الصمت

وهى تستمع لحديث يوسف الذي أستشفت منه بأنه قام بحادث طريق و..

دولت وهي تضرب بخفة على ذراعه : الحمد للّه إنها جت على كده

_أنتبهت دولت لوجود رزان وبعض أفراد أسرتها ، فتلوت بشفتيها وهي تُحيد ببصرها عنهم ، ثم هتفت بمضض

دولت : مساء الخير

إلهام وهي ترفع البسمة على محياها : مساء النور ياست دولت ، ليكي وحشة واللّه

دولت : شكرآ

_شدد يوسف قبضته على كتف والدته وكأنه يبعث إليها برسالة ضمنية .. بينما تفهمت دولت مقصد ولدها وأرادت ألا تُحزنه ، فضغطت على شفتيها وهي تقول بإقتضاب

دولت : وانتي يارزان مش بقيتي أحسن؟

رزان وقد أشتمت رائحة التلثين في حديثها ، ولكنها لم تهتم لذلك وقالت : كويسة ياماما

دولت وهي تتعمد تذكيرها بما حدث : طب الحمد للّه أنك بخير ، اللي حصل مكنش شوية برضو

يوسف وهو يتمتم بخفوت ألتقطته أذن والدته : ماما!

إلهام : فعلاً ياست دولت مكنش شوية ، بس يوسف في ضهرها وإن شاءاللّه هيعدوا الأزمة سوا

_كان هذا الرد من إلهام بمثابة رد أعتبار لأبنتها عقب جملة حماتها الأخيرة .. حيث تعمدت بها أن تذكر مدى تشبث يوسف بها وإصراره على التواجد معها بالرغم من إية عوامل ، وحتى أمام رغبتها في تركه لها .. فأستشاطت الأخيرة من

هذا الرد ولكنها كبحت أنفعالاتها من أجل ولدها فقط..

نهضت إلهام عن جلستها وهي تمسك بطرف حجابها لتضبطه ، ثم أشارت لولدها وهي تقول

إلهام : يلا بينا ياأحمد ، هنبقى نيجي نطمن على رزان تاني

أحمد وقد تفهم رغبة والدته : طيب ياماما

يوسف وقد شعر بالضيق : لسه بدري ياجماعة ، ده أحنا هنتعشا سوا

إلهام وهي تبتسم له بزيف : مرة تانية يابني ، سلامو عليكو

_قام يوسف بإصطحابهم حتى باب المنزل .. وقد ودعهم وداعاً يليق بهم ، في حين نهضت رزان عن جلستها وتحركت ببطء شديد نحو حجرتها .. حتى لا تختلي بها حماتها فتلقي على مسامعها مالا تُحبذه ، ولكن أستوقفتها عبارة يوسف وهو يقول

يوسف : رزان ، إحنا هنتعشا سوا مع ماما ، متناميش

رزان مجاهدة لتواري حالة الحزن المُخيمة عليها : انا آسفة ياجماعة ماليش نفس

يوسف وهو يدنو منها بخطوات ثابتة : مينفعش ياحببتي و...

_قطع حديثه صوت رنين هاتفه ، فتوقف عن سيره وقد تقلصت تعابير وجهه وهو ينظر لشاشة هاتفه .. ليجد إتصالاً من شقيقه ، فضغط عليه وهو يقبض على شفتيه و....

يوسف : أيوة ياغيد ... انت بتقول إيه؟ .. عاملين فيا أنا محضر ؟.. ولاد ال****

_أستمعت رزان لحديثه وقد أنقبض صدرها عليها ، فأنتظرت حتى أنهى مُكالمته ثم تسائلت بتوتر

رزان : في إيه؟

يوسف وهو يصيح بغضب أشعل رأسه : بنت ال ***وأهلها عاملين فيا أنا محضر .. بعد ما وديتها المستشفى وتكفلت بالمصاريف رايحة تعملي محضر عشان تطلع بقرشين

دولت بلهجة مُحتقرة : إيه الناس الجشعة دي!

يوسف وهو يتحرك نحو الطاولة ليلتقط مفاتيحه وقد سيطرت عليه حالة من الهياج : ده انا همسح بيهم الأرض ولاد ال *** دول

_لم يكن ليستطيع ترك والدته بالمنزل وبمفردها مع زوجته ، حتى لا تُثار بينهن المشاحنات وربما تتصيد لها والدته حتى تُصعد فكرة الطلاق لعقلها من جديد .. ولذلك رأى من

الحكمة إصطحاب والدته لتوصيلها بينما يترك رزان بمفردها و.....

يوسف : يلا ياماما هوصلك في سكتي قبل ما أروح على القسم

دولت بنبرة مُتعندة : لأ توصلني ده إية؟ أنت تاخدني معاك

رزان وهي تتقدم بخطواتها نحوه : أبقى قولي عملت إيه يايوسف!

يوسف وهو يهز رأسه بالإيجاب : حاضر ، نامي أنتي ومتستنينيش

رزان : سيبك مني وخلي بالك من نفسك

_تحرك يوسف سريعاً مصطحباً والدته ، ولكنه شدد على رأيه بخصوص عدم تواجد والدته برفقته في هذا المكان..

بينما ذهب هو بكامل عصبيته وأنفعاله إليهم وقد أستبقه أخيه لهناك .. لم يُحبذ يوسف إستخدام علاقاته للتدخل بالموقف ، ولكنه قرر التعامل مع هذه الفئة الجشعة بنفسه..

-على الجانب الآخر-

كانت فجر تجلس بجوار أخيها ومن جوارهم والدهم..

تأففت فجر من هذا الوضع الذي حُشرت فيه ،

وتأوهت بخفوت وهي تحرك ذراعها المصابة ..

فدنت من أخيها وهي تهمس له بخفوت

فجر : كان لزومها إيه البهدلة؟! ما الراجل طلع زوء

ودفع تكاليف المستشفى

محمود وهو يذم على شفتيه بحنق : كله من

أبوكي ، أول ما سمعني بكلمك في التليفون

وعرف إن الحكاية فيها بهوات قال يطلع منهم

بمصلحة

فجر وهي تلقي بثقل صدرها عن طريق زفيراً

مختنقاً : ياترى الراجل هيقول علينا إيه؟ مش

بعيد يكون واصل ويبهدلنا

محمود وهو يبث بداخلها الشجاعة : أجمدي كده ومش عايزك تباني ضعيفة قدامهم ، أحسن ياكلونا

_تدخل حمودة بالأمر وهو يصبح فيهم بلهجة حادة

حمودة : كفاية ودودة ، خلونا نعرف نظبط المصلحة

_أستمعت فجر لهذا الصوت المألوف الذي أستمعت إليه من قبل ، فعلمت بإنه حضر بالخارج وعلى

وشك الدخول إليهم .. فأنقبض قلبها بتخوف وهي تردد بهمس

فجر : ياساتر أستر

_كان غيد يقف بالخارج ليكون أول من أستقبله ، ولكنه واجه بداية العاصفة عندما كان شقيقه يلج للداخل والنية المستبقة بالشر قد ظهرت عليه .. فجاهد ليرد إليه ثباته الأنفعالي ولكنه لم يستطع ، حيث تجاوزه يوسف بأعجوبة ودلف للداخل وهو يبحث عنها بعينيه المُنطلق منها الشرر ، حتى وقعت عينيه عليها و.............................

الفصل التاسع

_لمحته فجر عن بُعد فأرتعدت أوصالها من هيئته المُنمة عن الشر ، كافحت من أجل أظهار شجاعتها المُزيفة..

ولكنها تحطمت مع أول جملة تعجبية منه وهو يدنو منها متسائلاً بغلظة...

يوسف : انتي بتعملي محضر ضدي انا؟ ده انتي سنتك سودة

محمود وهو يقف أمامه حائلاً ليبتعد عنها : في إيه ياأخينا؟ مالك داخل بزعابيبك (غضبك) كدة ليه؟

حمودة وقد أستشف هويته فوقف ليجابهه قائلاً بتبجح : هو انت بقى اللي خبطتها بالعربية؟

يوسف وهو ينظر لثلاثتهم نظرات مُستهزئة : أنتوا عصابة بقى؟!

حمودة وهو يحدجه بنظرات مُحتقرة : أمسك لسانك عشان معملش معاك الصح

غيد وهو يتحرك ليكون جوار أخيه : صح إية وغلط إيه ياراجل أنت؟ انت عارف ممكن نوصلكوا لفين؟

حمودة وهو يُشهّر بصوته عالياً : أكتب في محضرك ياباشا ، إحنا بنتهدد، وجوه القسم ياحكومة

_أنتبه الشرطي الجالس خلف المكتب إليهم ، فنهض عن مكانه ليتمعن النظر في الواقفين جميعاً ، حتى أستنتج وجود وجوه شابة جديدة غير الذين تعامل معهم..

فنطق بلهجة متذمرة

الشرطي : هو انتوا اللي خبطوا الآنسة دي؟

يوسف وهو يتحرك نحو المكتب قائلاً : انا بقى عايز أعمل فيها محضر ، البت دي رمت نفسها قدام عربيتي وشرختلي الأزاز (زجاج) بتاع العربية

_أبتلعت فجر ريقها بصعوبة وهي تغمغم بخفوت لأخيها

فجر : يالهوي يامحمود ، كده روحنا في داهية

محمود وهو يواري قلقه : يابت أجمدي

_جلس الشرطي مرة آخرى على مقعده ، ثم تفحص يوسف فحصاً دقيقاً وهو يقول

الشرطي : يعني هي اللي رمت نفسها قدام العربية؟

غيد وهو يدنو من مكتب الشرطي ليتحدث بعقلانية : هل من العقل حضرتك واحدة تعدي طريق زي ده في ساعة زي دي إلا لو كانت ناوية شر!

يوسف وقد أكفهرت ملامحه بشدة وهو يشير نحوها : دي مش طبيعية ، ده أنا دفعت حساب المخروبة المستشفى من زؤي وكرم أخلاقي، وهي جاية تعمل محضر!

_أقترب حمودة ليقف على الجانب الموازي لهم ثم قال بلهجة مُنكسرة جذبت تعاطف الشرطي

حمودة : يابيه إحنا ناس غلابة وماشيين في حالنا ! وبنتي كانت بتعدي الطريق زي الناس لكن أبن البهوات ده كان بيتكلم في التليفون ومش باصص على الطريق ، راح خبطها يابيه .. إحنا

دلوقتي نجيب تمن العلاج ورقدتها في البيت من غير شغل منين؟

يوسف وقد تفهم نيته الطامعة ، فتلوت شفتيه بإستهزاء وهو يقول : ما تقول من الصبح إنك جاي تشحت! بدل الشويتين اللي ملهمش لازمة دول

غيد وهو يتأمل هيئتهم الفقيرة بأعين دقيقة : أتنازلو عن المحضر الأول وبعدين نشوف حكاية علاجها دي!

يوسف وقد أرتفعت نبرته وهو يرفض قرار أخيه بشدة : مش هدفع جنية واحد لل......

غيد وهو يطبق على ساعده بقوة : أستنى بس يايوسف

حمودة متصنعاً الكبرياء : إحنا منقبلش العوض ، ده يعتبر تصليح لغلطكوا

الشرطي وهو يضرب على سطح المكتب بقوة : خلصونا مش فاضيين للهري ده على المسا ، هتتنازلو ولا نكمل المحضر

حمودة وقد أرتسمت إبتسامة ماكرة على ثغره : أمرنا للّه ، هنتنازل

يوسف بلهجة تهكمية غليظة : ماشاء اللّه عندك أصل

_رمقهم يوسف الواحد منهم تلو الآخر ، وقد باتت نظراته أكثر أشتعالاً .. بينما أصر غيد على أنهاء الموقف من أجل أخيه ، حتى لا يقوده تهوره

نحوهم .. فهو يعلم حالته التي تصل للذروة عند الغضب..

وعندما أنهى حمودة أجراءات التنازل .. مد يده بشكل فظ نحو غيد وهو يقول

حمودة : أتنازلنا

_أخرج غيد عدة ورقات نقدية بفئة المئتي جنية مصري .. ثم تجاهل كف هذا الكائن البشع في نظرهُ ودسهم في جيب قميصه بصورة فجة وهو يحدجه بإزدراء .. ثم نطق بسخرية

غيد : مبروك عليك العوض ، قصدي تمن العلاج والرقدة

حمودة وقد أنفرج فمه بإبتسامة كَالأحمق :

يبارك فيك يابيه

_رمقه يوسف بنظرات محتقرة ، ثم عبر من جوارهم وفي أعقابه غيد وقد أطلق سبة لاذعة لتلتقطها آذانهم..

ومن ثم تحرك حمودة وهو يشير لأبنائه نحو الخارج..

وعندما وقفوا أمام مدخل القسم .. تحركت فجر بصورة مفاجئة ومدت يدها سريعاً لجيب والدها ، حيث ألتقطت المال من جيبه بسرعة وهي تقول

فجر : مش دول فلوس العلاج برضو!؟ يبقى مش هتطول منهم مليم أحمر

حمودة وهو يحدجها بغيظ : هي كدة يابنت أمينة! ده انا اللي عامل المصلحة كلها

محمود وهو يهز رأسه بإستنكار : مش كفاية مصلحة أمبارح عليك ولا إيه !؟

حمودة : ماشي ياولاد ال *** ، انا هعديها بمزاجي

فجر : ولا متعديهاش ، مش فارقة

_تحركت فجر لتتركهم بينما لحق بها أخيها ليكونا سوياً..

ووقف هو بمفرده ،

عانت فجر من آلام جسدية فاقتها آلام نفسية وهي ترى أبيها العاق يوماً بعد يوم تسوء أخلاقه وتنحدر..

ولكنها أسلمت أمرها للّه عقب أن فاض كيلها.

_بينما تابعهم يوسف عن بُعد من داخل سيارته وقد أشتعلت رأسه من فعلتهم .. فرمقهم بنظرات مُشمئزة وهو يسب بهم ، وعلى حين غرة .. أرتفع صوت هاتفه وهو يهتز بداخل جيبهُ فألتقطه لينظر إلى شاشته ومن ثم ضغط عليه و....

يوسف : أيوة ياسيد ، قولي عملت إيه؟

سيد : بص يابيه ، دلوقتي في ٣ موقف مكروباص (عربات نقل للركاب) دول أقرب حاجة للمكان اللي قولتلي عليه ، بالنسبة بقى للمكان اللي هنروح ليه بكرة هو مكان مهجور شوية ومفيش عربيات بتعدي هناك ، عشان في أخره طريق مسدود

يوسف وهو يحك طرف ذقنه بتفكير : طيب كويس أوي ، أنا حضرت الكاميرا وهاجي معاك لأماكن الموقف .. كل اللي عليك إنك هتوصل للناس إني طالب جامعي وبعمل بحث عن حالة الناس في العشوائيات ، وحال الطبقة الفقيرة في المنطقة .. وسيب الباقي عليا

سيد وقد تفهم ما ينوي عليه : متفقين يابيه ، هستناك بكرة إن شاء اللّه

_قاطعه صوت أبواق السيارة الخاصة بغيد وهو يطل برأسه عبر النافذة الزجاجية وهو يقول

غيد : واقف ليه يايوسف! يلا أطلع بعربيتك وأنا وراك

يوسف وهو يلتفت برأسه ليواجهه : حاضر ياغيد ، أطلع وانا وراك

_أغلق يوسف هاتفه ثم أدار مقود سيارته وتتبع أثر غيد الذي أستبقه بسيارته.

....

_جلست " ريهام " أمام شاشة التلفاز ، لمتابعة أحد الأفلام السينمائية الحديثة .. فقطع مشاهدتها صوت هاتفها الذي أعلن عن متصل ما ، فأعتدلت في جلستها وأمتدت بجسدها للأمام لتلتقط هاتفها .. حيث أفتر ثغرها بإبتسامة عريضة قبل أن تضغط عليه للإيجاب و.....

ريهام : أيوة ياحسام ، انا في البيت .. لأ مش تيجي دلوقتي .. نجم الدين هنا وقاعد بيذاكر ، وانت

عارف إن عنده حساسية من وجودك هنا لدرجة إنه على صوته عليا المرة اللي فاتت وأنا عاقبته ..

معلش ياحبيبي

_رقعت بصوتها ضحكة عالية عقب أن غازلها .. مما أثار أنتباه الصغير " نجم الدين " ليتحرك من غرفته بخطوات متعجلة ليرى ما تفعله والدته، أقترب من حجرة المعيشة ثم أخذ يسترق السمع لها .. ليستمع إليها وهي تقول

ريهام : انت عارف إن أهلي من ممانعين جوازنا ، لكن المشكلة إن غيد أكيد هياخد مني الولد .. خصوصاً إن أمي مش عايشة عشان الحضانة

تتنقل ليها ... انا كل اللي عايزاه تخلي الولد يحبك عشان يتقبل فكرة وجودك وميبعدش عني

_في هذه اللحظة ، ثارت ثائرته الطفولية فتحرك بتشنج لداخل الحجرة وهو يصرخ فيها بإنفعال شديد

نجم الدين : لأ ياماما مش موافق ، لو أتجوزتيه أنا هروح عند بابا ومش هاجيلك تاني

_رمشت ريهام عينيها عدة مرات ثم أخفضت صوتها الذي أكتشفت إنه كان عالياً لدرجة جذبت ذهن الصغير إليها .. ثم قالت

ريهام : هقفل دلوقتي ، سلام

نجم الدين وهو يرمقها بنظرات مغتاظة : أنا مش بحب عمو حسام

ريهام وهي تجذبه نحوها بعطف : ياحبيبي ده أونكل حسام بيحبك أوي ، وانت مش هتحس أبداً بفرق عنه وعن بابا

نجم الدين وهو يهز رأسه بعنف رافضاً لقولها : برضو لأ ، أشمعنا ياسين صاحبي في المدرسة باباه مات ومامته مش أتجوزت تاني

ريهام وهي تعض على شفتيها وقد فشلت في أجابته : ياحبيبي انا من حقي أشوف حياتي

نيم وهو يكتف ساعديه أمام صدره : مااانا معاكي ياماما ومش هسيبك أبداً ، حتى لو بابا قالي هقوله لأ سيبني مع ماما .. بس انتي متتجوزيش أونكل حسام وخليكي معايا

ريهام وهي تمسح على وجهه برفق : طيب ماأنا هفضل معاك على طول ومش هسيبك أبداً

نيم الدين وهو يهز رأسه بتعند : برضو لأ ، وبابا قالي هو كمان لو ماما أتجوزت هاخدك تعيش معايا .. وانا وافقت

ريهام وقد أتسعت حدقتيها بذهول : أبوك قال كده؟

طب وانت قولتله ليه يانجم! مش ده سر بيني وبينك؟

نجم الدين وهو يتجاهل عتابها مُحيداً ببصره عنها : انا مش بحب غير بابا ، ولو أتجوزتي همشي وأسيبك

_لم تقوَ على كبح أنفعالاتها أكثر من ذلك ، فلم تكن تريد له " غيد " أن يعلم بما ستفعله قبل أن تعد له ،

نهضت عن مكانها بإندفاع ثم رمقت الصغير بنظرات غاضبة وهي تتابع

ريهام : واضح إني دلعتك زيادة عن اللزوم ياولد ، ومن هنا ورايح مفيش مناقشات في كلام كبير ميخصكش

نجم الدين وهو يضرب الأرض بقدميه معلناً ثورته : لأ يخصني

ريهام وهى تشير إليه بسبابتها مُحذرة : أخرس خالص ، الكلام خلص .. روح على أوضتك

_أشاح نجم الدين ببصره عنها وأنصرف من أمامها وهو يركض إلى غرفته .. وعندما أختلى بنفسه ، جلس على فراشه الصغير لكي يبكي بُكاءً شديداً ، فقد أستشعر حُب والدته لذلك الرجل الغريب أكثر منه.. وجال بمخيلته إنها لربما

تُنجب العديد من الأبناء الآخرين لتُميزهم عنه وتفضلهم عليه .. فأجهش أكثر بالبكاء عندما تخيل كل ذلك ،

ولكنه بالفعل عقد العزم على تركها إذا تزوجت بذلك الرجل .. وبصوت منتحب نطق وهو ينزح الدموع عن عينيه

نچم : واللّه واللّه لأروح لبابا وأقعد معاه هو ونينة وجدو

....

_كابد غيد العناء من أجل أن يُخمد ثورة أخيه وهياجه ، فنجح بذلك إلى حد ما..

فقد أصر على مرافقته حتى شُقته وصعد ليشاركه جلسة أخوية حميمة ، تبادلا فيها الأراء والمناقشات .. حتى أستشعر غيد من لهجة شقيقه ونبرته الغير مريحة إنه قد أنتوى شراً بهؤلاء الذين كانوا سبباً في حرمانه وحرمان زوجته من حياة الأزواج السعيدة والطبيعية..

فحاول أن يسير معه على نفس الوتيرة حتى يكتشف ما برأسه ، ولكن لم يكن من يوسف سوى بعض الكلمات المُبهمة والغير واضح مغزاها

و........

يوسف : سيبك من الموضوع ده أنا هحله بنفسي ، المهم طمني وصلت لفين مع طليقتك

غيد وهو يزفر أختناقه في عدة ذرات من الهواء :

شكلها عايزة تتجوز ، بس ساعتها وربنا ما هخليها تتهنى بأبني ولا هسيبه يتربى في حضن راجل تاني وانا عايش

يوسف : وناوي على إيه معاها؟

غيد بنظرات قاتمة ظهرت بعينيه : هضُم الولد لماما بما أنها جدته وبكده هيكون في حضني ، انت عارف إن والدة ريهام متوفية

يوسف وهو يهز رأسه بأسف شديد : مكنتش أتمنى الموضوع يوصل بينكم للطلاق على الأقل عشان الواد ميتبهدلش في وسطكوا

_أعتدل غيد في جلسته ثم سحب شهيقاً عميقاً وزفره متمهلاً وهو يتابع

غيد : إحنا وصلنا لمرحلة إننا بقينا نهين بعض ، مكنش نستمر وإحنا مش متافهمين .. وخصوصاً إن نچم بدأ يكبر ويفهم الدنيا من حواليه كويس ، ومش هيكون حلو لما يشوفنا أنا وأمه بنتخانق كل يوم ومش عارفين حتى نحترم بعضنا

يوسف وهو يربت على فخذه بمواساة : معلش ياغيد ، المهم إن الولد بيحبك وعلاقتك بيه كويسة

غيد وهو يبتسم بعذوبة عقب أن تذكر ولده :
نجم ده كل حياتي ، ربنا يحفظهولي يارب .. أنا
خليت شذى ترتب أموري في السفرية الجاية عشان
هاخده معايا يومين ، وبالمرة أفسحه شوية

_تلفت غيد حوله وقد تغيرت تعابير وجهه ،
وكأنه يبحث عن شيئاً ما .. ثم عاود النظر إليه
وهو يقول

غيد : هي رزان فين ؟ انا سمعت إنك جيبتها هنا
يوسف وهو يدفن وجهه بين راحتي يده : قافلة
على نفسها ومش بتطلع هنا خالص ، دكتورة بتول
بتقولي إن تولد عندها بعد الحادث فوبيا

الأماكن المزدحمة .. وكمان بقت تخاف من الأصوات العالية ومبتحبهاش

غيد وهو يقبض على شفتيه بضيق : فترة وهتعدي أنا متأكد ، بس خليك جمبها

_أهتز هاتفه على سطح الطاولة لكي يعلن عن أتصال هاتفي من المُدرب الخاص به.. فضرب يوسف على ساقه بضيق عندما تذكر إنه كان ينتظر مُكالمة منه ، فألتقطه ليجيب عليه و.....

يوسف : أيوة ياكابتن ، الحمد للّه بخير .. ان شاء اللّه بكرة بعد المغرب هكون عندك ، انا

بعتذر .. إن شاء اللّه مفيش حاجة هتحصل.. تمام

، شكراً ياكابتن .. مع السلامة

_أغلق هاتفه ليبادر شقيقه هاتفاً

غيد : المفروض تفوق لتدريباتك ، البطولة أول

الأسبوع الجاي

_كور يوسف قبضتيه ثم ضربهما ببعضهما

البعض قد أكله الغيظ ثم هتف من بين أسنانه

وهو يكز عليها

يوسف : كان زماني في شهر العسل وجاي انا وهي عشان نستعد للحلم ده ، كان نفسها أخد البطولة أكتر مني

غيد وهو يشد من آزره قائلاً : ودلوقتي هتاخدها عشانها برضو ، رزان محتاجة كل حاجة ترفع من معنوياتها

يوسف وهو يهز رأسه بموافقة : ماشي ، ماشي ياغيد

....

_كان صباحاً غير عادياً بالنسبة له ، هو يشعر بتخوف من زيارة ذلك المكان الذي أُغتصبت فيه .. ربما يعثر على دليل يدفعه ليجد هؤلاء

الأنجاس ، وحينها لا يدري ما قد يفعله بهم .. فمن الوارد أن يسفك دماء أحدهم أو يُحطم رأسه تحطيماً شنيع المنظر ، في النهاية ستودي به رأسه للمحك لا محالة ، طالما إنه قد نوى بهم شراً..

أرتدى يوسف ملابسه بتمهل وهو يقف أمام المرآة ، ومع أخر زر بقميصه قام بالتحرك للخارج وهو يتعمد الحرص الشديد حتى لا يُفسد نومها ، ثم فتح باب غرفتها بهدوء وتخطى الأعتاب بحذر .. ليُطالعها وهي غافية ،

يشعر وكأن زمناً طويلاً قد مر عليه دون أن يراها ، لقد أشتاق لبسمتها ورنة ضحكتها التي تشع البهجة في المكان.. بل أشتاق لوجودها بالحياة..

تنهد وهو يدنو منها مُنحنياً بحرص ثم طبع قُبلة

صغيرة على مُقدمة رأسها وأستقام مرة أخرى

ليخرج عن الحجرة..

شعرت هي به ، ففتحت عينيها وأخذت تتلمس

موضع قُبلته .. وراحت تتسائل بين جنبات نفسها

إلى متى سيتحمل هو وضعها ؟! ومتى سينفذ صبره

فيتخلى عنها ؟

نزحت عبرة ترقرقت بصمت من عينيها ثم

أنتصبت في جلستها وقد غادر النوم جفنها ، بل

إنها لم تنعم بنومة واحدة هنيئة منذ ذلك اليوم

.

_وضع " يوسف " مُخططاً يستطيع من خلاله

الوصول لأولئك المجرمين ، وقد أطلع " سيد "

عليها ليكون جانبه خطوةً بخطوة .. وكانت أولى خطواتهم هى زيارة المكان وتفحص الطريق المؤدي إليه ، فقد كان طريقاً واحداً..

وعندما وصل لهناك ، ترجل عن السيارة وأخذ يدقق النظر في الزوايا والأركان .. جالت بمُخيلته مشاهد تفصيلية لما حدث ، فأندلعت النيران بداخله وهو يتخيلها بين أيديهم ، كافح من أجل ألا يُظهر تأثره ولكنه فشل.. ذهب يميناً ويساراً ، للأمام وللخلف..

وأخيراً أخرج الكاميرا الحديثة عالية الجودة خاصته وأخذ يلتقط العديد من الصور للمكان من كافة زواياه..

وعلى حين غرة .. تخلل لأنفاسه رائحة كريهة للغاية كاد يتقيأ تأثراً بها ، فلثم أنفه وهو يقول ممتعضاً

يوسف : إيه الريحة دي ! في حاجة ميتة هنا ؟

سيد وقد ظهرت إيماءات الأشمئزاز على وجهه : باين كدة في مقلب زبالة هناك

_تقلصت ملامحه وهو يبتعد بخطوات للوراء ، ولكن جذب أنتباهه شيئاً ما .. وسط هذه الأكياس من القمامة تواجد قطع من القماش المُتقطع ، بدا لونهم ليس بغريب عليه .. فأستثارت حواسه ليتقدم نحو هذا التل الكبير ،

وكلما أقترب زادت حدة الرائحة ، وكأن شيئاً عفناً تواجد بين هذه الأكوام..

أخرج منديلاً ورقياً من جيب بنطاله ثم غطى به على وجهه وهو يتقدم من هذا التل .. وعندما دنى منه تأكدت ظنونه ،

كانت هذه القطع لرزان ، أجل!

كانت ملابسها مُلقاه وسط كومة من القمامة .. أختنق صدره وشعر كأن الجحيم تلاعب برأسه ،

(هل تتخيلون بشاعة المشهد؟)

ملابس زوجته المُغتصبة مُلقاه وسط كومة من القمامة .. دار بمخيلته مشهدها عندما عادت لمنزلها وهي تحاوط جسدها بقطعة من القماش

المُهترئ (غطاء سيارة) ، أي وجدت حالها عارية عندما أفيقت مما حدث!

صرخ يوسف بقوة وهو يلقى بالكاميرا خاصته أرضاً ثم خطى بقدمه ليسحب هذه القطع بإنفعال شديد ، وبصوت صارخ أخذ يلقي بالسباب المُقظع عليهم ويتوعدهم وعيداً ليس منه رجعة

يوسف : ولاد ال***** واللّه العظيم لأكون م **** و *** ، أنا هخليهم عبرة ال**** دول .. و ***** عشان ي*** ويفتكروني زي عزرائيل بعد كدة

_توقف عن السب واللعن ، عندما لمح قدماً بشرية أسفل قطع الملابس وأسفل هذه الكومة ..

فأنفرج ثغره بعدم تصديق وهو ينحنى ببطئ ليتأكد مما وقعت عليه عينيه ، فتأكد حدسهُ ورأها مرة أخرى .. فصاح مُنادياً وهو مازال مُنحنياً

يوسف : سيد ، تعالى بسرعة

_تقدم منه سيد عقب أن عقد العزم بعدم التدخل في الأمر قبل أن تخمد ثورته .. وضع الأخير منديلاً قماشياً يغطي به نصف وجهه ثم دنى منه وهو يقول

سيد : أيوة يابيه

يوسف وهو يشير بيده نحو هذه القدم : بص كده

، أنا صح ولا بيتهيألي وأبتديت أخرف!

سيد وقد حملقت عينيه بصدمة شديدة جعلته

غير قادراً على الحديث : آآ.... دي ... دي!

يوسف وقد أنتابه الهلع : دي رجل بني أدم ؟

سيد وهو يهز رأسه بتشنج : لأ ، دي رجل عيل

صغير مش كبير

_أبتعد يوسف وقد أضطربت نبضات قلبهُ

وأصبحت أقرب لصوت قرعات جامدة على باب

خشبي قوي .. ألتفت حوله بجنون أصاب كيانه

وعصف به ، فوجد بأقصى اليسار كومة من

الأخشاب .. فركض نحوها وأخذ يتفقدهم حتى

وجد عصى غليظة ، فألتقطها وعاد راكضاً مرة أخرى .. وأخذ ينبش بالعصى في هذه الكومة حتى يزج بهذه الأكياس المتراكمة بعيداً ليظهر له ما أسفلها .. وعندما بدأت الرؤية تتضح له وجد إنها ليست قدماً ، بل جسد طفل أندس وسط القمامة..

يوسف : يادي الليلة اللي مش فايتة ! دي جثة عيل

_أقترب سيد ليزيل هذا التوتر وبعجالة قام بسحب هذه الساق للخارج ليجدا جثمان طفلة صغيرة عارية الجسد.. وقد بدا عليها مظاهر

الأعتداء الجسماني ووضحت الكدمات المتورمة بجسدها.. بينما أشاح يوسف ببصره عنها وأبتعد بخطوات للوراء في حين أنحنى سيد ليتفحصها .. كاد يوسف أن يبكي من فرط الألم الذي أصاب داخله عقب هذا المشهد .. ولكنه كبح مشاعره المتألمة وهو يقول مستفهماً

يوسف : دي ماتت من الضرب ؟! دي جسمها كله مزرق كأنها ميتة بقالها كذا يوم ، أنا مش مصدق اللي شايفه بعيني ،

سيد بصوت مختنق : لأ يابيه ، دي حد أغتصبها .. مش ضربها!



يوسف بتعابير فزعة : أيه

....

....

الفصل العاشر

_ورغماً عنه ترقرقت عبرتين من بين أهدابه الكثيفة ، فنزحهم بسرعة وراح ينزع عنه قميصه الأسود ليظل مرتديداً (تيشرت قطني) أبيض اللون..

ثم أنحنى وغطى به جثمان الصغيرة وهو يعاني من آلام معنوية شديدة..

وبصوت خالجهُ الأنين قال مستنكراً هذه الفعلة النكراء

يوسف : هو أحنا عايشين فين؟ معقول يكون للحيوانات رحمة عننا!

_أضطر وهو يضغط على حالهُ أن ينظر لمعالم وجهها الغير واضحة إلى حد ما ، ثم هز رأسه بعدم إستيعاب وهو يتابع

يوسف : دي شكلها صغير أوي ، معدتش العشر سنين

سيد وهو يضرب كفاً بكف : لا حول ولا قوة إلا باللّه!

القيامة قربت خلاص .. ياترى أهلها هيعملو إيه ولا حالهم إزاي؟

_ضغط يوسف على رأسه حتى يُبعد عن ذهنه مشهد خيالي تشكل أمام ناظريه وهو يتخيل حال أسرة هذه الطفلة .. لابد وأنهم منتظرين رجوعها بفارغ صبر ، ولكنهم لا يعلمون ما أصابها ، تسائل سيد قائلاً

سيد : هنعمل إيه دلوقتي يابيه؟ نوديها على المستشفى! ولا ناوي على إيه ؟

_أستقام يوسف في وقفته ثم أخرج هاتفهُ ليجري مكالمة هاتفية سريعة .. حيث أبتعد عن محل الطفلة ومازال عالقاً عليها ببصره ، وأنتظر الرد من الجهة الأخرى و....

علاء : أيوة يايوسف ، أزيك؟

يوسف وقد بدا صوته محتقناً للغاية : علاء ، أنت لازم تجيلي حالاً على العنوان اللي هبعتهولك

علاء وقد أستشف وجوده بهذا الموقع : أنت روحت هناك برضو ونفذت اللي في دماغك؟

يوسف وقد نفذ صبره ، فتحدث بتأفف : يابني بقولك تعالى فوراً، في مُصيبة هنا لازم تشوفها بنفسك

علاء وقد اُستُثيرت حواسه : للدرجة دي! طب أبعتلي ال location (الموقع) بتاعك وأنا جاي على طول

_أغلق يوسف الهاتف سريعاً ثم تحرك بين تطبيقاته العديدة بالهاتف حتى تمكن من أرسال موقعه بالتحديد إليه .. لم يقوَ هو على مجابهة هذا الموقف .. فقد شعر بقمة ضعفهِ وسط هذا الحدث الشنيع ،

فجلس بداخل سيارته وأستند على المقود وقد ترك باله ليُفكر في ذلك الأمر ، لعل هؤلاء المجرمين الذين أفتعلوا ذلك بزوجته هم الذين أرتكبوا تلك الجريمة أيضاً..

ولكنها الآن جريمة مُضاعفة .. إغتصاب طفلة وقتلها أيضاً ، رفع رأسه عن المقود لينظر في ساعته ، وإذ بالوقت يمر بطيئا للغاية .. وفجأة ، لمعت أضواء سيارة أتيه من خلفه ، فأستعد للترجل

عن سيارته ووقف مُنتظراً له حتى وقف قبالته بالسيارة وتحرك منها ليكون أمامه..

وقبل أن يتفوه علاء بكلمة واحدة .. كان يوسف يجذبه متعجلاً نحو هذه الزاوية التي وجد بها الفتاة القتيلة و....

علاء : أستنى يابني فهمني واخدني على فين؟

يوسف وهو يجذبه بقوة : هوريك حاجة

_وقف يوسف بالقرب من كومة القمامة ثم أشار له حيث هي ونطق

يوسف : بص هناك

علاء وهو يغطي نصف وجهه ليمنع تخلل تلك الرائحة الكريهة لأنفه : أعوذ باللّه ياشيخ ، إيه الريحة دي؟

يوسف وهو يصيح فيه بنفاذ صبر ، وكأن الغضب أصرف ذهنه عن هذه الرائحة : ياأخي بص هناك ، في عيلة مرمية وسط الزبالة

_تبدلت ملامح علاء فجأة وهو يخطو نحو هذه الكومة ، ثم دقب النظر كلما أقترب لتضح له الرؤية .. أصابه شلل دماغي أعاقه عن التفكير ، وشعر بضيق أحتل صدره وهو يطالع جثمان تلك

الطفلة .. فأقترب أكثر وأزاح عنها القميص الخاص بيوسف ليتفحص جسدها ،

فقد أمتلئ الجسد بعدة تجمعات دموية أسفرت عن أورام زرقاء اللون في أنحاء متفرقة من الجسد ، كما أنتشرت به السحجات الظفرية العديدة..

أورى جسدها مرة أخرى وأبتعد برأسه .. شعر بالرغبة في الغثيان فتحرك سريعاً نحو أحد الزوايا وتقيأ ما في معدته ،

بينما لم يستطع يوسف النظر إليها أكثر فولاها ظهرهُ وتنهد بأختناق..

فرغ علاء لينتقل إلى جوار يوسف وقد خالجه شعور بالتقزز .. فألتقط أنفاسه التي كادت تتوقف على أثر ذلك المشهد ونطق

: إنتوا لقيتوها فين ، وأزاي؟

يوسف وهو يدفن وجهه ويفركه بعنف : كانت تحت أكياس الزبالة ، وجمبها هدوم ... مراتي

علاء وهو يذم على شفتيه بتشنج : دي مش أول حالة تقابلنا .. لكن دي أصغر طفلة أتعرضت للموقف ده

_لم يتفوه هو " يوسف " بكلمة ، بل ظل مستعيناً بالصمت على أستعادة أتزانهُ الأنفعالي .. في حين تابع علاء بإمتعاض

علاء : أنت لازم تمشي من هنا يايوسف ، فوراً

_ألتفت إليه يوسف وهو يرمقه بعدم تصديق ، ثم قال

يوسف : أنت بتقول إيه ! أنا مش همشي من هنا قبل ماأعرف هتعمل إيه ، و....

علاء وهو يقاطعه بشئ من الأنفعال : أسمع يايوسف ، وجودك هنا هيعرضك للمشاكل ، وهتدخل في دوامة التحقيقات وانت مش ناقص.. أنا هطلب قوة تيجي تمسح المكان فوراً والأسعاف هييجي ياخد البنت عشان المعمل الجنائي يشوف شغله .. وهنشوف بلاغات أختفاء الأطفال ونقارن المواصفات بالمجني عليها ، يعني هعمل شغلي على أكمل وجه .. لكن أنت ، تقدر تفهمني لما

النيابة تسألك كنت في مكان الحادث ليه هتقولهم إيه ؟

_بدأ يقتنع بحديثه ، فهذا ليس بالوقت الملائم للدخول في صراعات جديدة ستقف دون وصوله لمبتغاه ، فقد أدى ما عليه وقام بإبلاغ السلطة التي بيدها التحقيق في الأمر .. ولكن هو .. لن ينول سوى إقحام رأسه في المشاكل وتعطيل مسيرته التي بدأها ، فأطرق رأسه وهو يقول

يوسف : علاء ، أرجوك تشتغل على القضية دي من نار .. انا حاسس إن ليها علاقة بنفس الناس اللي عملو كده في رزان

علاء وهو يضغط على كتفه ويشدد على قوله :

واللّه العظيم هعمل كل جهدي ، عشان الموضوع زاد عن حدهُ .. وفي أرواح بريئة بتروح ومسيرنا هنتسأل كلنا عملنا إيه عشان نرجع للأرواح دي حقها

_بدأ يوسف يستشعر الراحة عقب حديث رفيقه والذي عاهده فيه على عدم ترك الأمر يمر مرور الكرام .. فأنتقل بخطوات بطيئة عائداً لسيارته ثم أشار ل " سيد " لكي يصعد في مقعده..

نظر يوسف حيال هذه الطفلة مرة أخيرة قبل أن يبتلع مرارة ريقه .. ثم أجفل بصره وراح يستقل

سيارته ليغادر هذه البُقعة المشؤمة ، التي شهدت أفجع الحوادث وأكثرها شراسة.

....

_ألقى " حسان " بعُقب سيجارته الركيكة ودعسها بنعل حذائهُ المُهترئ .. ثم عاود النظر بداخل عربة النقل (ميكروباص) خاصته ليرى كم متبقي من الأماكن الشاغرة حتى ينتقل بالعربة..

بينما أقترب منه " رضا " في هذه اللحظة وهو يتثائب ثم وقف قبالته وهو يقول

رضا : بقولك إيه ياحسونة ، كمل أنت شغل النهاردة وانا هستلم منك المكروباص بالليل وأشتغل عليه

حسان وقد أكفهر وجهه وهو يقول : يعني انا يطلع *** أهلي طول النهار وأنت تستلم بالليل والدنيا فاضية ، ولما نرجع نقسم الفلوس تاخد أدي ! ده ميرضيش ربنا ياجدع

رضا وهو يحدجه بتهكم صريح : بقولك إيه ياحسان ، أنا قولتلك قبل كده تاخد أنت بالليل وانا بالنهار وانت مرضيتش ، عشان تعرف تسمسر براحتك .. يبقى متلومنيش

حسان وقد تبدل لون وجهه وهو يحاول ستر سرقته التي يقوم بها : عيب عليك يارضا ! انا عمري

ماأعمل كده ده احنا أخوات .. أنا كل غرضي إننا نشتغل سوا صبح وليل

_أشاح رضا ببصره عنه ثم أخرج عُلبة سجائره وشرع في إشعال إحداهم لينفث فيها وأخذ يتطلع للمارة والسائقين الذين يشغلون (الموقف) بسيارتهم .. فلمح حمودة وهو يقترب منه بسيارتهُ الأجرة ، أشار له ليتوقف .. فأقترب منهم وترجل عن سيارته ليُحييهم و....

حمودة : صباح الفل يارجالة

رضا وهو يرفع كفه في الهواء كتعبير عن رد التحية : صباحك قشطة ياحمودة ، يعني بقالك فترة غايب ؟

حمودة وهو يقترب منهم : كنت مكوع (مريح) في البيت شوية

حسان وهو يمسح على شفته السفلى بلسانه ، فغمز بعينيه وهو يقول : ماهي المصلحة شكلها ريحته على الأخر

حمودة وهو يسترق النظر حوله : بس اللّه يخرب بيتك ، الودان حوالينا في كل حته

_سحب رضا شهيقاً من سيجارته ثم تابع متسائلاً

رضا : إلا قولي ياحمودة ياخويا ، تليفون البت أياها اللي خدته وبعته ، جابلك كام ؟

حمودة وقد أخفض صوته وهو يدنو منه ليقول : هي ٥٠٠ جنية بالعافية

حسان وقد أستشعر كذبهُ ، فقهقه بسخرية وهو يقول : علينا برضو ياحمودة ! التلفون شكله غالي أوي أوي وجابلك سعر عالي

حمودة وقد أحاد ببصره عنه وهو يتابع مستنكراً : مانت خدت السلسلة الدهب ياحسان ، يبقي متتكلمش كتير

رضا وهو ينظر حوله بإرتباك بيّن : هتفضحونا ، قال مشفوهمش وهما بيسرقوا شافوهم وهما بيتحاسبوا

_وفي ذلك الحين .. صدح صوت أحد الركاب من داخل العربة وهو يقول

-يلا ياسطا العربية كملت ، عايزين نشوف أشغالنا

حسان وهو يلتفت ليتفحص العربة من الداخل : طيب ياعمنا

_تحرك حسان ليستدير حول عربتهُ .. وكان أخر ما قاله

حسان : أشوفكم على القهوة بالليل بقى

رضا وهو يومئ رأسه مستجيباً : ماشي

_في هذه اللحظة ، كانت سيارة يوسف تعبر لداخل الموقف .. وكانت عيناه تدوران بكل الأتجاهات ، وكأنه يبحث عن شيئاً يعرفه جيدآ..

وما أن وجد المكان المناسب لكي يصفّ سيارته ، حتى توقف فيه وترجل عنها وهو يحمل الكاميرا خاصته .. بينما لحق به سيد ووقف جواره وهو يرشده على الأماكن التي تذهب إليها هذه العربات..

في حين شرع يوسف بإلتقاط العديد من الصور الفوتوغرافية لهذا المُحيط بأكمله ، السيارات والعربات وخاصة السائقين .. أنتبه إليه البعض

وتسائلو بين أنفسهم عن هوية ذلك الشخص الذي يقوم بتصويرهم ، بينما أتجه أحدهم إليه وهو يسأله

السائق : أنت بتصور إيه ولمؤاخذة ياأخ؟

سيد وهو يشير نحو يوسف : ده أستاذ أحمد ، طالب في الجامعة وجاي يعمل بحث عندنا هنا

السائق وهو يبتسم بسخرية : بحث ! ليه هي الحكومة ناوية تحس بينا ولا إيه؟

يوسف بلهجة جامدة لا تقبل المناقشة : أنا ماليش علاقة بالحكومة ياسطا ، انا بعمل شغل للجامعة بس .. عن أذنك؟

_تحرك يوسف مبتعداً عنه ، بينما علقت عيني السائق عليه وهو يتفحصه من رأسه وحتى أخمص قدميه .. فشعر بالشك وهو يتأمل جسده الرياضي المنحوت .. ثم هتف بين خلجات نفسه

السائق : بقى كل الجسم ده وطالب ! هو انا خواجة ومبهمش ولا إيه ؟ ده مش شكل واحد طالب أبداً .. الحكاية فيها إنّ

_ما أن لمح يوسف هذا البغيض " حمودة " وهو يقف على مقربة منه بجوار سيارة للأجرة ، حتى تجهمت ملامحه وقست وهو يتذكر ما فعله ذلك

الجشع معه بالأمس .. فقام سريعاً بإلتقاط صورتين له قبل أن يلتفت ويغادر المكان.

....

_عقب أن فرغ " غيد " من تناول وجبة الغداء مع ولده " نجم الدين " بأحد المطاعم المُطلة على النيل ، تأمل الصغير وهو يمضغ اللقيمة الأخيرة بين فكيه ثم أبتسم وهو يقول

غيد : شبعت ولا أطلبلك حاجة تاني يانجم؟

نجم وهو يحرك رأسه بالسلب : لأ يابابا شبعت خلاص

غيد وهو يمسح على فمه بقطعة المنديل القماشية : طب قول الحمد للّه وأستعد يابطل

نجم وقد برزت الحماسة في صوته : الحمد للّه ، هو أحنا هنروح نتفرج على عمو وهو بيضرب؟

غيد : آه ، أدعيله ياخد الميدالية عشان عمك يجيبلك هدية بمناسبة الفوز

نجم الدين وهو يتحرك على مقعده بفرحة : بجد!

طب انا عايز أتعلم ألعب بالبوكس زي عمو

غيد وقد أرتفع حاجبيه بإعجاب : عايز تتعلم ملاكمة؟

بس كده ! من بكرة هعملك إشتراك في نادي وأتفقلك مع مُدرب كويس

_وقف نچم الدين عن مقعده ثم هتف

نچم : طب يلا نروح بسرعة قبل ما الماتش يبدأ

_تحرك غيد عن مقعده عقب أن وضع الحساب الخاص به بداخل الدفتر الصغير ثم أصطحب الصغير وتحرك به للخارج..

_عقب هذه الجلسة الإستحمامية الدافئة .. وقف " يوسف " أمام المرآة وقد زينت قطرات المياة جسده ، وراح يرى إنعكاسها (رزان) في المرآة .. تردد في أذنيه سؤالها له وكأنها أمامه...

)لسه بتحبني ! لسه شايفني زي ماأنا؟(

_فراح يُجيبها بصوت مُلتاع وقد شعر بحرارة الشوق

يوسف : واللّه قيمتك عندي عمرها ما قلت ، ولسه محتفظة بحُبك جوايا لحد الموت .. أنتى الأولى في نظري والأخيرة بين بنات الأرض

_ألتفت ليرى هل حقاً تقف خلفهُ أم إنه طيفها ، فوجدها سراباً .. أطبق على جفنيه وهو يتحرك ليلتقط منشفته ثم توجه بها لخارج ،

أنتقل لحجرته حتى يعد حاله من أجل هذه المباراة ، وأسرع في إرتداء ملابسه حتى يتوجه لهناك سريعاً..

وما أن خرج عن حجرته حتى وجدها تجلس على حافة المقعد مُنحنية الجسد وهى تعقد رباط حذائها ، ومرتدية ملابسها وقد حاوطت رأسها بالحجاب الفيروزي الأنيق .. فأنعقد ما بين حاجبيه بإستفهام ثم تسائل

يوسف : انتي بتعملي إيه يارزان ؟ ولابسة كده ورايحة على فين ؟

رزان وهي تعتدل في جلستها لتنظر نحوه : رايحة ماتش مُهم ، بقالي فترة طويلة مستنياه

_وبالرغم من سماعهُ لعبارتها إلا إنه أستغرق وقتاً في إستيعاب ما قالته ، أنفرج ثغرهُ بإبتسامة عريضة عقب أن شعر بفرحة تقتحم نفسه .. ومن ثم هتف

يوسف : أنتي بجد هتيجي معايا ؟

رزان وهي تهز رأسها بخفة : أيوة ، مينفعش مكونش موجودة في يوم زي ده

_تحرك نحوها بخطوات متعجلة بينما تحركت هي لاإرادياً للخلف ثم أشارت له بيدها للتوقف عن الدنو حيالها .. ولكنه لم يتوقف .. حيث أطبق على كفيها وضغط عليهما بدفء وهو يقول

يوسف : خليكي جمبي دايماً ، أنا محتاجلك

_رأت الصدق في عينيه ، فأجفلت بصرها عنه وهي تُحدث حالها..

)خليك أنت جمبي ، تبّت فيا ومتسيبنيش مهما حصل .. انا دلوقتي أضعف من إني أتساب أو أتهجر(

_تفهم هو صمتها العميق ، فلم يرغب بإقتحام خصوصية حالها .. فقط قُبلتين أخذن محلهن على ظهر كفيها ، ثم نطق

يوسف : يلا بينا

_تحرك بها لأسفل البناية ، ثم جعلها تستقل مقعدها الأمامي في السيارة..

وعندما أستدار ليستقل مقعده خلف المقود توقف على أثر صوت هاتفه الذي أصدر رنيناً صاخباً ، فألتقطه من جيب بنطاله ونظر لشاشته قبل أن يجيب و....

يوسف بصوت خفيض : أيوة ياسيد ، بجد ؟ يعني الصور خلاص أتحمضت وطلعت .. طب كويس ، أنا هكلمك لما أخلص وأقولك تجيبهم أمتي على البيت

_صمت لوهلة وهو يحسب حساباً لكل المواقف ، ثم بادر بقوله والتشديد عليه

يوسف : سيد ، لو جرالي حاجة أتصل بغيد ، قابله وأديله الصور وأحكيله على كل حاجة .. وقوله إني بوصيه بحق مراتي ، وهيكون في رقبته ليوم الدين

سيد وقد شعر بالخطر : ليه كده يابيه ؟ ربنا يديك العمر وتجيب حقها على حياة عينك

يوسف وهو يهز رأسه برفض : أسمع مني ياسيد ، وأعمل اللي قولتلك عليه لو جرالي حاجة

_أصر على جعلهُ يعاهده على ذلك ، وسرعان ما أغلق الهاتف وأستقل سيارته ليتحرك بها..

....

_جلست هذه الجموع المحتشدة من أجل متابعة المباراة بين الخصمين .. حيث تواجد جميع أفراد

عائلته وأسرة رزان (إلهام - أحمد) كما تواجد الكثير من المشجعين..

جلس نجم الدين لجوار رزان بناء على أمر والده ، حيث أن العلاقة بينهم منسجمة لحد كبير ، فراح الصغير يتحدث إليها بتودد و

نجم : يعني مش هتعملو فرح دلوقتي ياطنط؟

رزان وهي تبتلع آلمها بضيق : لسه شوية يانجم ، يلا نتفرج على عمو عشان هيبدأ اللعب أهو

_وقف يوسف أمام خصمهُ عاري الجسد ، مرتدياً لقُفازات كبيرة الحجم .. متأهباً لبدء اللعب ، ولكن عقله قد أنصرف لمكان أخر ، سرعان ما

عاد لأرض الواقع ليدقق النظر في ذلك الخصم ذا العضلات المُتكدسة والبشرة السمراء ، شعر بحتمية خسارته أمامه .. ليس لفارق الجسد أو الطول ، وإنما لفارق التركيز والقدرة على إدراك الموقف جيداَ..

وعندما أعلن الحكم عن بداية اللعب ، تحرك الأثنين في حركات دائرية حول بعضهم البعض .. وبدأ الهجوم بينهم و...............................

....

الفصل الحادي عشر

_بدأ الهجوم بين كلاهما ، وتم تسديد العديد من اللكمات الموجعة من كلاهم..

كلما تلقى يوسف ضربة ، كلما زادت نبضات رزان وأزدادت حدة .. ظل الوضع متأزماً لبعض الوقت ، حيث تعمد الخصم أن يُهدر من طاقة يوسف ، وأوهمه بعدم قوته ليطمئن وترخو حركته .. بينما كان يوسف يُلاعبه بأقصى قوة مضاهاةً به ، حتى بدأت حركته تأخذ محلها في الهدوء..

وهنا....

تحرك الخصم بإندفاع ليلكمه العديد من اللكمات المتتالية على صدره ، ثم وجهه .. كابد يوسف العناء ليعود إلى إتزانه وطاقته ، ولكنه كلما حاول ذلك فاجئه خصمهُ بضربة قوية تجعله يرتد بدلاً من أن يتقدم نحوه..

وقفت رزان في محلها وهى تطالع ما يحدث بعيون زائغة ، لا تصدق هذا الأداء الذي هو عليه اليوم ..

وفطنت إنه أنشغل بتفكيره عن اللعب ، مما أدى إلى توريطهُ مع الخصم..

أرادت أن تُعيده لأدائه الطبيعي ، فأخذت تنادي بصوتها الأنثوي عليه وتشجعه .. فوصلت عباراتها

التحفيزية لصيمهُ قبل أذنه ، وكأن دفعة من الأدرينالين تدفقت بجسده..

وهنا فصل بينهم الحكم لعدة دقائق ، حيث جلس على جانب الحلبة يستعيد قوته وهو يحدج الخصم بنظرات قاتلة..

رفع رأسه ناحية اليمين ليرى زوجته .. فبصر بها تهز رأسها له بإيماءة بسيطة .. ثم أشارت له على نفسها وكَأنها تقول له

(عشان خاطري عافر)

_تنهد وهو يرمقها بحنو شديد .. ثم عاد برأسه مرة أخرى ليستمع أصوات الأعلان عن البدء من جديد..

نهض بإندفاع ليواجهه مرة أخرى ، بينما كاد هذا الخصم أن يلكمه لكمة عنيفة منتوياً إصابة أنفه .. ولكن " يوسف " أنحدر بجسده وهو يلتفت حتى يتفتادى ضربته ، ثم سدد له لكمتين متتاليتين على ظهره .. فألتفت إليه وقد أشتعلت عينيه ، وكاد يقوم بالهجوم عليه ولكنه تفاجئ بيوسف لا يُعطيه الفرصة لذلك .. حيث توالت الضربات واللكمات له ،

رأى يوسف أمامه أشباحاً تحاوطه ، أستنبط إنهم المعتدون على زوجته.. وتشكلت هيئتهم في هذا

الضخم الذي يلاعبهُ ، حيث أشتدت قبضة يوسف لتكون أقوى وأعنف ، وكأنه يسدد هذه الضربات لهؤلاء الأنجاس..

وكلما زاد غضبهُ كلما زادت قوة قبضته..

حتى فصل بينهما الحكم مرة أخرى للأستراحة ، وهنا راح يفكر الخصم في طريقة لكسب هذه المباراة ، وبداخل عقله تفحص نقاط الضعف في جسد يوسف .. فأكتشف أن جانبه الأيسر أضعف من الأيمن، وبذلك أعد خُطته على التركيز في هذا الجانب الضعيف حتى يُفقدهُ قوته..

بدأت المباراة مرة أخرى ، ولكن بشكل مختلف..

حيث ظهرت نية هذا الخصم في القضاء عليه عن طريق نقطة ضعفهُ .. تحامل يوسف على حاله

ولكنه لم يستطع حمايةَ جانبه الأيسر الذي

أصبح مكشوفاً لحدٍ كبير ،

فتلقى العديد من الضربات فيه بدون إكتراث من

خصمهُ..

بينما لم يجد يوسف سوى تسديد اللكمات على

أنفه ومقدمة رأسه عسى أن يتركُه..

وبالفعل أبتعد الخصم وهو يترنح للخلف ، ولكنه

أقترب مرة أخرى ليدفعهُ بلكمة شديدة العنف

في صدره .. سقط فيها جسد يوسف على الأرضية

..

ولكنه أجتهد لينهض ، فوجد ضربات أخرى في

إنتظارهُ..

كاد يستسلم ليسقط مُعلناً خسارته ، ولكن قوة مكمونة في صوت الصغير " نجم الدين " وهو يُحييه ويشجعه حتى يُنهي المباراة منتصراً..

صوت هذا الصغير بث فيه الحماسة مرة أخرى ، لينهال على هذا الخصم بقبضتيه .. حتى خارت قوى هذا الخصم أخيراً ، وسقط عقب أن أصابه دوار شديد على أثر ضربات يوسف ، فلم يقوَ على النهوض مرة أخرى..

أنهى الحكم العد حتى الرقم (١٠) ثم رفع ذراع يوسف في الهواء ليعلن إنه الفائز..

ولكن!!

سقط يوسف مستسلماً لآلام صدره المُبرحة التي كبحها طويلاً.. ولكنه ، فشل في المقاومة

أكثر من ذلك وترك حالهُ لينبسط أعلى أرضية الحلبة.

....

_وقف جميعهم أمام حجرة الكشف الموجودة بالمشفى الخاص ، ينتظرون خروج الطبيب على أحر من الجمر لينقل لهم أخبار " يوسف " الذي سقط مستسلماً لحالة إغماء طويلة عجز فيها المُسعفون عن إفاقته..

بينما رفضت رزان التواجد وسطهم وأختلت بحالها في آخر الرواق ، وكأنها لا تريد سماع ما سيرويه الطبيب عليهم .. وربما رفضت التواجد وسط

أسرته وقد شعرت بالخزي منهم ، وأحتلها شعور بعدم القيمة بدونه..

فقد أصبح ملجأها وسكنها ، ماذا تفعل إن أصابهُ مكروه ؟

ستكون الدنيا قد دعستها وقضت على بقاياها..

أُفيقت من شرودها على صوت أخيها وهو يقترب منها قائلاً

أحمد : رزان ، واقفة ليه لوحدك ؟ والد يوسف سأل عنك

رزان وهي تنصرف ببصرها عنه : معلش ياأحمد أنا عايزة اكون لوحدي

_تنهد أحمد وهو يفكر هل يفتح معها هذا الموضوع مُجدداً أم يتجاهله في ظل هذه الظروف التي تحاوطهم! ، ولكنها أستشعرت رغبته في التحدث إليها .. لذلك بادرت وهي تتسائل

رزان : عايز تقول إيه ياأحمد؟

أحمد وهو يمسح بكفهُ على طرف ذقنهُ : مش هترجعي بقى يارزان!

رزان وهي تنظر إليه بنظرات ثاقبة : هو بابا مش هييجي بعد ما قولتله إن يوسف في المستشفى!

أحمد وقد ظهر الإرتباك على ملامحهُ وهو يفكر في الكذب : آ... لأ هو...

رزان وهي تبتسم إبتسامة ساخرة : متحاولش تبرر أو تداري .. أنا مش هينفع أرجع بعد الموقف اللي أخده مني

_تذكرت رزان اللحظة التي رفع فيها والدها السكين حتى يقتلها أو " ينتهي من العار " الذي جلبته إليهم كما قال .. فأستصعبت الأمر أكثر وهي تتابع بصوت مقهور

رزان : بابا كان عايز يقتلني ! أنا مش قادرة أتخيل إنه قدر يفكر بالطريقة دي ! صعبان عليا منه أوي يأحمد ، أوي

_بدأت الدموع تعرف طريقها لعينيها ، وتسربت من وجنتيها كَقطرات ماء من صنبور آكله الصدأ..

فطأطأت رأسها وهى تتابع بنبرة متحشرجة

رزان : سيبني أفكر في جوزي ، اللي شافني ولسه شايفني زي ماانا

_في هذه اللحظة ، تم فتح باب حجرة الكشف ليلج خارجها الطبيب وهو ينزع القفاز الأبيض المطاطي عن كفيه .. بينما ركض جميعهم بهلع نحوه وهم يتسابقون لمعرفة ما حدث ، بينما تحركت رزان بسرعة البرق لتتجاوزهم جميعاً

و....

دولت بصوت أختلجهُ البكاء : طمني على أبني أرجوك يادكتور

عدنان وقد ذهبت عنه أعصابه : إيه اللي جراله يابني ؟

الطبيب وهو يوزع نظراته بين جميعهم : خير إن شاء اللّه ، المريض أتصاب بشروخ في عظام القفص الصدري أدت لكسر في الضلع الأيسر ، بجانب بعض الكدمات والألتواءات

_شهقت دولت وهي تلثم فمها بينما توتر غيد أكثر من ذلك ليتسائل بلهجة مُحتدة

غيد : طب وبعدين ، إيه العمل دلوقتي ؟

الطبيب وهو يشبك أصابعه سوياً : النوع ده من الكسور بيلتئم لوحده ، على مدار من ٤ أسابيع ل ٦ أسابيع .. المريض خلال الفترة دي بيستخدم الرباط الضاغط عشان يساعد على إلتئام الكسر ، مع المسكنات اللي هتساعده على الحركة والتنفس .. ولازم ياخد أنفاسه بعُمق حتى لو هيتألم ، عشان ميحصلش ألتهاب رئوي..

وضروري جداً الأهتمام بعناصر الكالسيوم والحديد في الأكل

عدنان وهو يذم على شفتيه بضيق : طيب هو هيحتاج يقعد هنا يادكتور ولا يروح بيته ؟

_توجهت دولت بناظريها إلى رزان ، حيث رمقتها بإزدراء وهي تقول بنبرة مُلمحة

دولت : بيت! ومين هياخد باله منه إن شاء اللّه؟ أنا اللي هخليه يرجع تاني يقعد وسطنا عشان أخلي بالي منه

الطبيب : مفيهاش مشكلة أبداً، بس ياريت يخلي بالهُ من حركته كويس الفترة الجاية .. وممنوع منعاً باتاً لعب إي نوع من أنواع الرياضة فى الفترة دي وأنا هسمحله ياخد إيبوبروفين كمسكن .. عن أذنكوا

_أخترق الطبيب هذا الجمع المُحاط به ، بينما أنتقلت رزان سريعاً للداخل دون إنتظار أحدهم..

وجدته مُنبسطاً على ظهرهُ وقد ألتف صدرهُ برباط أبيض ضاغط ، كما وجدت أثار لبعض الكدمات على وجهه..

فأقتربت لمسافة تعدت المسموح .. ثم أنحنت تُقبل رأسه قُبلة عميقة أثارت حواسه النائمة ، أبتعدت وراحت تمسح بظهر كفها على وجههُ وكأنها تُطيب جراحهُ..

لم تترك لها دولت الفرصة حتى أقتحمت المسافة الموجودة بينهم وراحت تطمئن على ولدها بشغف أومي حاد..

ثم هتفت بأسمه وهي تقول

دولت : ألف سلامة عليك ياحبيبي

عدنان وهو يهمس بخفوت حتى لا يُزعجه : دولت ، سيبيه يرتاح الماتش كان صعب

دولت وهي تتأمل الكدمات بنظرات مُتحسرة : الواد أتبهدل خالص ياعدنان ، ملعون الملاكمة اللي تعمل كده في أبني

_ألتفتت دولت لتنظر بزاوية عينيها نحو رزان التي أبتعدت لتفسح المجال لها ، ثم تلوت بشفتيها قبل أن تقول

دولت : بعد ما يفوق هناخده البيت ياعدنان عشان أعرف أخد بالي منه ، عشان محدش فاضيله ..
وكل واحد ليه همومه

رزان وقد تفهمت ما ترمي إليه ، فنطقت مستنكرة : وانا روحت فين ياماما ؟ انا هخلي بالي منه كويس

دولت وهي تهز رأسها بعدم أقتناع : خلي بالك من نفسك الأول

_رمقتها دولت بنظرات محتقرة ثم تابعت

دولت : إنتي مش شايفة شكلك ! خسيتي النص

_شهر عدنان بتأزم الموقف ، خاصة عقب تبدل ملامح رزان والتي أستشعر فيها الحسرة .. فجذبها نحوه وهو يربت كتفها بعاطفة أبوية ثم تابع

عدنان : رزان بنتي وانا عارفها كويس ، طالما قالت إنها هتاخد بالها منه يبقى خلاص

_تنهدت وزان وهي تُجامله بإبتسامة صغيرة بينما نظر هو حوله ليكتشف غياب ولده الأكبر " غيد " وأسرة رزان أيضاً .. فتسائل قائلاً

عدنان : فين غيد ومدام إلهام وأحمد

رزان وقد أنتبهت للتو لعدم وجودهم : هروح أشوفهم

)مقدرش أتلكم مع يوسف في موضوع زي ده يأحمد ، رزان محتاجة يوسف .. ويوسف كمان محتاج لوجودها أكتر من إي وقت(

_كانت هذه هي العبارة التي نطق بها غيد عقب أن علم برغبة " أحمد " المُلحة في عودة شقيقته للمنزل ، حتى تتسنى لها الفرصة لكي تتصالح مع والدها .. ولكنه الآخر عارض هذه الفكرة وبشدة خاصة في هذه الظروف التي يمر بها إثنتاهم .. وعندما لمح غيد زوجة أخيه وهي

ثُقبل عليهم أصر الصمت حتى أقتربت من موضعهم ، فبادرها هو قائلاً

غيد : يوسف فاق يارزان ولالسه ؟

رزان وهي تهز رأسها بالسلب : لسه ، عمي عدنان بيسأل عنكوا

غيد وهو ينظر لساعة يدهُ : أنا هدخلهم دلوقتي ، بس لما شذى توصل هي ونجم

رزان وهي تنظر حولها بتفقد : هو في نجم الدي صحيح ! ؟

غيد : صمم يلعب في الجنينة تحت وانا كلمت شذى تطلعه معاها لما توصل

_أستمعت رزان لصوت أنين مكتوم يأتي من الحجرة ، وقد أختلط أسمها بهذا الصوت الذي صدر عنه .. فتحركت سريعاً نحو الداخل لتكتشف أن يوسف قد بدأ في إستعادة وعيهُ.. وأول ما نطق به هو أسمها و.....

يوسف : آآآه ، رز .. ان

رزان وهي تقف إلى جواره لتنحني عليه : أنا جمبك ، بس متتكلمش كتير

_أطبق على جفنيه ثم فتحهما بهدوء .. وكرر فعلتهُ أكثر من مرة حتى يستطيع إستجماع كامل

إدراكهُ ، وعقب أن تذكر بعضاً مما حدث .. نطق مُتسائلاً

يوسف : الماتش ؟ مين كسب الماتش ؟

عدنان وهو يُحفزه ليثير بداخله الحماسة : أنت اللي كسبت يابطل، والميدالية مستنية تقوم بالسلامة عشان تستلمها

يوسف وقد شعر بالراحة، فأستئنف قوله : الحمد للّه رب العالمين ، أنا وعدت رزان وكان لازم أوفي بوعدي

رزان وهي تمسح على رأسه بعاطفة : طول عمرك بتوفي يايوسف ، ربنا يخليك في حياتي دايماً

_ألتفت عدنان حول الفراش ليمسك بذراع زوجته " دولت "، ثم جذبها نحوه وهو يقول

عدنان : تعالي يادولت عايزك

دولت وهي ترفض أن تتزحزح عن مكانها : سيبني مع ابني دلوقتي

_جذبها عدنان جذبة مُنفعلة ، ثم نطق بجدية

عدنان: وانا قولت تعالي

_غادر الحجرة بزوجته ليكونا برفقة أسرة رزان وأبنهم الأكبر غيد حتي يترك لهم مساحة يجعلهم فيها يفيضون بما بداخلهم..

ولكن كانت الحالة التي عليها يوسف لا تسمح حتى بالتفكير ، تشوش بالنظر وإرهاق عقلي شديد نتيجة الإنشغال في تفاصيل الأحداث السابقة .. وكانت هذه اللحظات هي الفاصلة ، رؤيتها له وللضعف الذي بدا عليه جعلها تُعيد نفكير في الموقف الذي أتخذتهُ ضده..

فهل تستمر على موقفها؟ أم تترك ما سبق!

مستحيل أن تلقيه خلف ظهرها وتمضي .. فقد ترك في نفسها أثراً لن يزول ، كَعاهة مُستديمة

أصابت مكان مكشوف من الجسم ليظهر بصورة وشكل أسوأ..

تحرك يوسف ببطء ليصدر تأوه عالية عندما أصابه الألم الشديد .. فوضعت يدها على صدره وقد أصابها الفزع ، ثم تابعت بصوت مرتبك

رزان : يوسف ، متتحركش كتير أرجوك

يوسف وهو يسحب شهيقاً بطيئاً وقد أحس وكأن شيئاً أطبق على صدرهُ : ألم ، مش قادر أتنفس

_نهضت رزان عن الفراش سريعاً وتوجهت للخارج لكي تطلب مساعدة الطبيب..

_في هذه اللحظة .. كان غيد يقف بالأسفل وسط ممرات الحديقة المؤدية لأقسام مختلفة من المشفى، حيث وقف يتحدث إلى شذى و...

غيد : معلش هضغط عليكي ياشذى بس السواق أجازة النهاردة

شذى وهي تبتسم بعفوية شديدة : لأ يامستر غيد مفيش ضغط ولا حاجة.. انا هوصل نجم الدين لبيت مامته وأرجه على هنا عشان أطمن على البشمهندس

غيد وهو يهز رأسه موافقاً : طيب ، هستناكي

_دس غيد يده في جيب بنطاله ثم ألتقط مفتاح معدني ومد به يده للصغير وهو يقول

غيد : خد يانجم ، ده مفتاح الشقة .. نسيت أسيبه لماما قبل ما أسيب البيت ، أنت أديهولها

نجم الدين وهو يومئ رأسه بتفهم : حاضر ، بس أنا مش هشوف عمو يوسف؟

غيد وهو ينحني ليوازيه : هتشوفه يوم تاني ياحبيبي ، وأنا هتفق ماما عشان تسافر معايا

_أنصاع الصغير لرغبة والده ، ثم ذهب بصحبة " شذى " إلى منزلهُ عقب أن ودع والده وداعاً حاراً..

مقدار نصف ساعة ، ووصل نجم الدين إلى منزلهُ..

فقام بتحية مُهذبة لشذى وتركهت ليصعد

لأعلى البناية ،

وعندما أقترب ليضغط على زر الجرس .. تراجع

فجأة

وتذكر إنه يملك مفتاح الشُقة ، فقرر الإعتماد

على حالهُ وفتح الباب بنفسه لعله يُفاجئ والدته

..

فتشكلت إبتسامة طفولية على ثغره وهو يفتح

الباب ثم دلف للداخل بهدوء وحرص ، ثم أغلق

الباب وخطى للداخل..

كان يبحث عن مصدر صوتها بحماسة شديدة

حتى يُفاجئها بوجوده..

ولكنه توقف فجأة ، أستمع لصوت قهقهات والدته وهي تحدث شخصاً ما .. فأبتلع ريقهُ وهو يقترب من حجرتها عقب أن تفهم إنها تتحدث بالهاتف كالعادة..

ولكنه تفاجئ بوجود صوت ذكوري خشن آتياً من حجرة نوم والدته .. فتسمر بمكانه وقد أرتعشت ساقيه من هول المفاجأة

و..............................

....

الفصل الثاني عشر

_خشى أن يتقدم بقدميه أكثر ف يرى ما لا يود رؤيتهُ ، ولكنه مُصراً على إكتشاف حقيقة والدته التي أستغلت عدم وجودهُ لتأتي بعشيقها إلى منزلهم..

تحرك بساقيه خطوتين إلى الأمام ، ثم أطل بناظريه لداخل الحجرة .. حيث كان الباب مفتوحاً ،

ليجد والدته تسكن بين أحضان ذلك الغريب ، وتتلوى بين ذراعيه بشوق جارف..

شعر بنبضهُ سيتوقف في الحال على أثر ما رأه ،

وكأن الدماء تجمدت في جسدهُ ليكون أكثر

برودة..

أنسالت منهُ الدموع بصمت مُريب ، ولم يفتعل إية

ضجة ، بل إنه سحب نفسه وتحرك لخارج المنزل

مرة أُخرى..

وما أن خرج عن الشُقة لم يقوَ على التحرك

خطوة واحدة ، فجلس على درجات السلم الرخامي

وترك حالهُ ليبكي بحُرقة ومرارة .. لم يبكي

قط في حياته بهذا الشكل ، ولم يشعر بآلماً

يجتاحهُ مثل هذه المرة..

ألم تُحبه أبداً ؟ ألم تُفكر في مصيره!

لماذا أهتمت بشأنها وحسب ؟

_هكذا تسائل بين جنابات نفسهُ وهو مازال مُنخرطاً في البكاء..

وفجأةً ، تذكر قسمهُ وعهدهُ لها بإنه سيتركها في حال زواجها .. فما بال الآن وقد قامت بخيانته وخيانة أمومتها!

شعر الطفل بضرورة تمسكهُ بقوته حتى تتسنى له الفرصة ويتركها .. فلم يعد راغباً فيها كأم له ، بل عليه التبرء منها..

كفكف نجم الدين دموعهُ وجاهد على عدم ترك أثر لها ، ثم نهض عن مكانه وخبأ المفتاح الخاص بوالده في جيب بنطاله .. ومن ثم تحرك ليطرق على الباب بطرقات جامدة ،

فأنتشلت ريهام نفسها من هذه اللحظة الحميمية وتحركت سريعاً لترتدي ثيابها وهتفت بلهجة مُرتبكة...

ريهام : حسام أنت لازم تمشي من هنا حالاً ، نجم لو شافك مش هيحصل كويس

حسام وهو يلتقط قميصه ليرتديه ، ثم نطق متبرماً : أنا مش عارف بتعملي لحتة العيل الصغير ده حجم أكبر منه ليه؟

ريهام وهي تذم شفتيها بضيق : عشان مش عايزة أخسرهُ ياحسام .. ده أبني الوحيد

حسام : طب دخليه أوضته وفضيلي السكة عشان أمشي

ريهام وهي تهز رأسها عدة مرات متتالية : طيب

_أسرعت في خُطاها نحو الباب وهي تضبط وضعية ملابسها الفوضوية .. ثم وقفت أمام الباب للحظات تحاول ضبط أنفاسها والتحكم في إنفعالاتها ، ثم قبضت على المقبض لتفتحهُ و.....

ريهام بصوت يشوبهُ رنة مرتعشة : نجم ، هو الماتش خلص بدري ولا إيه ؟

نجم وهو يتفحص هيئتها بدراسة دقيقة منه : أه ، وطنط شذى جابتني تحت وروحت

ريهام وقد تقوست شفتيها بسخط : وأبوك اللي هيموت عليك مكنش قادر هو اللي يوصلك!

_تحرك نچم الدين للداخل وهو يرمقها من زاوية عينيه بنظرات مُحتقرة عقب أن سقطت من نظرهُ .. ثم تابع بلهجة دفاعية مُتذمدة

نچم : بابا مع عمو في المستشفى عشان أتصاب

_أغلقت الباب ثم تحركت نحوه وهي تقول

ريهام : طب يلا غير هدومك عشان تتعشى وتنام

_تأمل نچم المُحيط بنظرات ثاقبة وكأنه يبحث عن ثغرة لها ، حتى لمح أعقاب السجائر بداخل المنفضة .. فعبس بوجهه على الفور وهو يتسائل

نجم : هو في حد جالنا النهاردة؟

ريهام وقد بدا عليها التوتر : هه !! ليه بتقول كده يانجم؟

نجم مُدعياً السذاجة : عشان في ريحة سجاير في الشقة

ريهام وهي تعض على شفتيها بقلق : لأ ياحبيبي ، أكيد من الشبابيك .. أدخل غير هدومك وأنا هحضر العشا

نجم وقد تبدلت نبرتهُ لتُصبح أكثر جدية : لأ انا هنام ، ومش عايزك تصحيني لحد ما أصحى لوحدي

ريهام وهي تدنو منه : مالك يانجم في حاجة مزعلاك ؟

_نظر الصغير لعينيها الكاذبتين ثم أجفل بصره وهو يهتف بتحسر

نجم : مفيش ، مفيش حاجة

_تحرك نجم الدين سريعاً ليدخل حجرته ، ومن ثم أغلق الباب من خلفهُ جيداً .. نزع عنهُ ملابسه بحركات سريعة ثم دثر نفسه بالغطاء دون أن يرتدي ملابس النوم ، فقط يُريد الهروب من الأضاءة المُحيطة .. فقام بسحب الغطاء ليُغطي

به أنفاسه وشرع بالبكاء الذي كبحهُ أمامها طويلاً ولكن بصمت .. مما أسفر عن آلماً مُضاعفاً بصميمهُ جعله يبغضها أكثر من ذي قبل.

....

_في صباح اليوم ما بعد التالي ، قام " سيد " بزيارة يوسف في المشفى عقب أن أصر هو على ذلك..

حيث شدد عليه ضرورة إحضار الصور الفوتوغرافية، فلبى له طلبهُ وذهب له ذاعناً..

كانت والدته تُرافقه أغلب الوقت ، بينما لم تترك رزان محلها منذ أن وقعت الحادثة..

-أصيبت بالتوتر وأعتراها الخوف عندما رأت " سيد " .. هي تُعاني من رهاب (فوبيا) يتعلق بكل ما يخصّ تلك الحادثة المؤلمة .. فخفق قلبها وأزدادت ضرباتهُ سرعة ، وبدأ لون وجهها في الأحمرار..

أبتعدت ببصرها عنه وهي تتذكر كيف قابلته أول مرة عندما أستغاثت به لكي يُعيدها لمنزلها .. وكيف كانت هيئتها المُزرية ، فأخفضت بصرها بحرج ونهضت عن مكانها لتترك الحجرة .. ولكن أستوقفها صوت يوسف وهو يقول

يوسف : أستني يارزان ، عايزك

سيد وهو يوزع نظراته بينهم : سلامو عليكو

يوسف ، دولت .. في صوت واحد : وعليكم السلام ورحمة الله

_وقفت رزان بمحلها دون أن تُعيرهم بصرها .. بينما نظر يوسف بإتجاه والدته .. راح يفكر في كيفية إخراج والدته من الحجرة ولكنه لم يجد سبيلاً ، فمن المؤكد أن إصرارها سيزيد إذا أستشعرت رغبته في ذهابها..

لذلك قام بسحب هاتفهُ عن الكومود المجاور له وقرر الأتصال بشقيقه ، لعله ينقذ الموقف بدلاً عنه و....

يوسف : أيوة ياغيد ، انت فين ؟

غيد وهو ينظر لساعة يدهُ : انا خلاص بعدي بوابة المستشفى وماشي

يوسف وهو ينظر متوجساً بإتجاه والدته : طب معلش أرجعلي تاني ، عايزك في موضوع

غيد وقد توقف عن متابعة السير ليلتفت من جديد : في حاجة حصلت ولا إيه؟

يوسف : لما تطلع ، يلا سلام

_أستنكرت والدته تصرفهُ وعدم إستعانته بها بدلاً من طلب شقيقه ليصعد من جديد ، فهتفت

دولت : يابني قولي عايز إيه بدل ما كنت ترجعه تاني بعد ما نزل

يوسف وهو يتحرك بجسدهُ لكي يستقيم في جلسته: معلش ، آآه

_تأوه متألماً على أثر حركتهُ المباغتة ، فتحركت رزان نحوه وهي تتسائل بتخوف

رزان : أنت كويس؟

يوسف وهو يهز رأسه نافياِ : لأ ، تعالي أسنديني عشان أقعد

دولت وهي تقترب منه ، عابسة الوجه : مأأنا واقفة أهو يابني!

يوسف مشيراً بكفهُ لكي تتوقف : خليكي ياماما ، وشوفي الضيف يشرب إيه؟

_أقتربت رزان بحذر منه ، ثم مدت يدها ليستند عليها .. فتفاجئت به يجذبها بخفة نحوه ، ثم ضغط على ساعدها وهو يدعي النهوض .. مما أدى لأنحناء جسدها الهزيل لكي تستطيع إسنادهُ ، فأقتربت منه لمسافة تخططت الحدود .. حتى لامست ثيابها أنفه .. فأشتم رائحتها التي أشتاق إليها وهي تتخلل أنفاسهُ بقوة ، توقف عن الضغط عليها للحظات وقد أنسجم مع تلك الرائحة

المميزة .. بينما أنتبهت هي لخداعه لها، فأعتدلت في وقفتها ورمقته بإستنكار وهي تقول

رزان : كفاية كده

_أحضرت دولت كأساً من المشروب البارد لهذا الضيف " سيد " ثم قدمتهُ إليه بتهذيب وهي تقول

دولت : أتفضل

سيد وهو يربت على صدرهُ بإمتنان : إن شاللّه يخليكي ياست هانم

_تفحصته دولت وقد شعرت بإنها رأته من قبل ، فضيقت عينيها وهي تستذكر في رأسها أين رأته من قبل؟.. وعندما فشلت في ذلك تسائلت

دولت : مين حضرتك؟ أنا حاسة إني شوفتك قبل كده!

يوسف وقد أنتبهت لها كل حواسه : ده السواق الجديد بتاعي ياماما ، هيفضل معايا فترة كده

دولت وهي تتحسس مقدمة رأسها : لأ ، أنا متأكدة إني شوفته قبل كده!

_دخل غيد للحجرة ليتفاجئ هو الآخر بوجود " سيد " .. فتقلصت تعابير وجهه وهو يهتف بتعجب

غيد : عم سيد!

دولت وهي تلتفت لمصدر صوت ولدها : أنت تعرفه ياغيد؟

يوسف وهو يحدق في شقيقه لكي يصمت : آه يعرفه ، هو اللي رشحهُ يكون السواق بتاعي لحد ماأقوم بالسلامة

غيد وهو يهز رأسه متفهماً : آه آه

_كانت رزان تتأمل الموقف بصمت ، حيث شعرت بالخزي من حالها وهي تراهم يتسترون على الموقف من أجل عدم جرحها.. ولكنهم لا يدرون أن جرحها قائماً بالفعل..

هناك فجوة كبيرة الحجم بداخلها ، يتسرب منها الدماء بغزارة .. ولا تعلم متى سينفذ مخزون دمها ، أو تستطيع سد هذه الفجوة.. !

أفيقت فجأة وهي تنفض عن رأسها هذه الأفكار ثم نظرت صوب يوسف لتجده يغمز بعينيه لأخيه ..

فتحركت برأسها نحو غيد لتجده يهز رأسه تعبيراً عن تفهمهُ ، ومن ثم بدأ غيد في تنفيذ مُخطط سريع لإبعاد والدته عن الحجرة و....

غيد : تعالي معايا ياماما أنا عايزك في موضوع يخص نجم الدين

دولت وقد خفق قلبها بقلق : الواد جراله حاجة؟

غيد وقد فزعت ملامحه : لالا ، موضوع تاني كده

_ذهبت معه سريعاً للخارج عقب أن علمت بأن الأمر يخص حفيدها .. بينما أشار يوسف سريعاً وهو يبسط يده نحو " سيد " و....

يوسف : فين الصور ياسيد؟

سيد وهو يدس يده في جيب معطفهُ ليُخرج مظروف أبيض متوسط الحجم : أهو يابيه

رزان وهي تنظر بفضول جمّ على هذا المظروف :.......

_تفقد يوسف هذه الصور التي ألتقطها بمهارة فائقة ، وقد ساعدته سرعة أداء الكاميرا وجودتها كثيراً في إبراز وجوه المُصوَرين .. رفع بصره نحوها وهو يتخيل تأثير فعلته عليها إن حدث وكان أولئك من ضمنهم ، ولكن لا مجال للتراجع فيما بدأ فيه .. فأشار إليها لتقترب ونطق بترقب

يوسف : تعالي يارزان ، أنا عايزك تركزي معايا.. أهدي وسيطري على أعصابك

رزان وقد بدأ الخوف يتسلل إليها : في إيه ؟

يوسف وهو يُشهر هذه الصور أمامها : الصور دي لسواقين أقرب ٣ مواقف عربيات وميكروباصات

من مكان الحادثة ، عايزك تبصيلهم وتركزي فيهم كويس أوي أوي

_أنقبض قلبها وشعرت وكأن أحدهم يُريد إنتزاعهُ من بين ضلوعها .. ورغم برودة الأجواء إلا إنها بدأت في التعرُق ،

دنت منه وهي تلتقط هذه الصور ورمشت بعينيها عدة مرات قبل أن تبدأ في تفقدهم .. كانت ترفع صورة لتظهر أخرى أسفلها على أمل أن تجد إياِ منهم..

مرت الكثير من الصور ولم تجدهم ، فبدأ اليأس يسيطر عليها.. أما عنه فقد أصابته خيبة الأمل بالفعل..

ولكن ، توقفت الساعة وكأن شبح الموت أقترب منها ،

ملامح فزع حقيقية كست كل معالم وجهها .. لتبدو وكأنها كَالموتى ، هل هي نهاية العالم بالنسبة لها!

بلى .. هي بداية عالم جديد ستشهدهُ .. صرخت بصوتاً هز قلوبهم وهي تقول

رزان : هو ده ، هو ده اللي دبحني .. ده اللي وداني ليهم ، ده

_أستمعت دولت لصوت صراخ آتي من حجرة ولدها ، فتوقفت في محلها وقد ضاقت عينيها بذهول وهي تقول

دولت : إيه الصوت ده؟

غيد وهو يقف أمامها لتتنصرف عن التركيز مع هذا الصوت الصادر عن حجرة شقيقهُ : ركزي معايا ياماما ،وقوليلي رأيك في كلامي

دولت بنبرة مُشتاقة : يابني ده منايا لما نجم ييجي يعيش معايا أنا وأبوك ، نفذ أنت بس وملكش دعوة انا هحطه في عيني

غيد وهو يفرك كفيه بحماسة : أنا مش هتعبك معاه ، هجيبلهُ دادة مخصوص ليه .. بس أعرف الأول أمه ناوية على أيه

_لم يهتم يوسف بآلام ضلوعهُ ، ولا الوغزات المؤلمة التي أجتاحت صدره .. فقط تحرك بعنف عن الفراش ليتلقط منها الصورة التي تعرفت عليها .. حدق فيها لثوانٍ حتى أصابتهُ الصدمة، فقد كان ذلك الجشع الذي ألقى بثوب طمعهُ عليه لينال منه النقود .. وأصبح الثأر أثنين ، ولكن أعظمهم هو ثأر زوجته ، جال بخاطرهُ كافة أنواع التعذيب التي قد يُلحقها به .. وأكثرها شراسة كان إيقاد النيران فيه حياً ،

ليشعر بالبراكين الحميمة التي تتعالى ألسنتها يوماً عن يوم بداخله .. وربما يقوم بالتقطيع في جسده قبل الموت حتى يلقى عذاباً جسدياً مؤلماً .. وأيضاً من الممكن تركه فريسة لبعض الكلاب الضارية لتنهش في لحمهُ..

مئات الأفكار حضرت لذهنهُ وهو يتخيل كيف سيكون إنتقامه منه .. ولكنه توقف عن التفكير عندما أنتبه لإنهيارها ، وأقتراب سقوطها فريسة لآلامها وهي تبكي بكاءً مريراً .. فجذبها لتجلس على طرف الفراش بجواره وهمس لها بلهجة متوعدة

يوسف : واللّه العظيم هنتقملك منهم ، واحد واحد هيشوفوا العذاب على إيدي

_دفعت ذراعه المحاوط لها ، فأبتعد حتى لا تسوء الأوضاع.. ثم نظر نحو سيد وبسط يده إليه ليمدهُ بالصور وهو يقول

يوسف : شيل الصور ياسيد ، وأنا هخلي معايا الصورة دي

_ألتقطها منه وهو يتسائل

سيد : ناوي على إيه يابيه ؟

يوسف : همشي من هنا عشان تعبت من القعدة دي ، ناديلي على غيد عشان يخلص إجراءات الخروج ويروحني

سيد وهو يتحرك لتنفيذ أوامره :حاضر

_ضمت رزان ذراعيها لصدرها وكأنها تحتمي بنفسها وأصدرت آنيناً مكتوماً ، بينما تعلقت أنظار يوسف المُشفقة عليها وهو يلوم نفسه كل يوم على تركها بمفردها ضحية هذا اليوم..

ودّ لو أحتضنها بقوة .. لو ينتشلها من هذا القاع الذي سقطت فيه ، ولكنه عاجزاً عن فعل ذلك على الأقل في ظل الوقت الراهن..

....

_عقب أن أنتهى غيد من تسديد مصاريف المشفى وإستخراج إذن بالخروج بعد أن تفحص الطبيب حالته .. أصطحبه غيد ليستند عليه ، بينما كانت والدته تتحدث بتبرم على أثر أفعالهُ المتهورة والمتسرعة .. فهتفت

دولت : مش عارفة ليه مسمعتش كلام الدكتور وقعدت لأخر الأسبوع

يوسف وهو يسير بخطوات حذرة : معلش ، أنا هرتاح في بيتي أكتر

دولت وهي تنظر حيال زوجته : طب ما تيجي معايا عشان أعرف أخلي بالي منك ، أنا مش هينفع أسيب أبوك لوحده

يوسف : رزان جمبي

_كانت رزان تسير وسطهم كَالمُغيبة .. لا تستمع لأحاديثهم ولا تنشغل بها، فقد أُستهلكت في همها وصارت لا تشعر بما يدور حولها..

توقفت فجأة على أثر قبضة يوسف على ساعدها وهو يقول

يوسف : رزان ! أنتي سمعاني؟

رزان وهي تلتفت برأسها منتبهة له : ها ؟ نعم!

يوسف وهو يشير برأسه نحو السيارة : أنتى هتقعدي معايا ورا وغيد هو اللي هيسوق

غيد وهو يحك فروة رأسه بتفكير : طب ماتركبوا عربيتي وأوصلكوا بيها أفضل

يوسف وقد ظهرت في نبرته النية لفعل شئ : معلش ياغيد ، انا محتاج توصلنا بعربيتي عشان العربية تكون معايا لو نزلت

غيد وهو يهز رأسه بتفهم : ماشي

سيد وه و يشير نحو سيارتهُ الأجرة : وأنا هاخد التاكسي وماشي يابيه ، تؤمرني بحاجة ؟

يوسف بنظرات مُغزية : لما أوصل هكلمك ياسيد .. سلام

_بدأ الجميع في إتخاذ موضعه بداخل السيارة ، ثم شرع غيد في إدارة المقود .. ولكن أستوقفه صوت يوسف وهو يقول

يوسف : في غمامة هتلاقيها عندك في التابلو ياغيد ، هاتها

غيد وهو ينظر إليه عن طريق المرآة : أنت هتنام ولا إيه؟

يوسف وهو يشير بزاوية عينيه نحو زوجته : لأ مش عشاني

_تناول الغمامة منه (تستخدم للركاب المسافرين في الطائرات لمنع وصول الإضاءة لعينيهم أثناء النوم)

ثم أعطاها لرزان وهو يقول

يوسف : حببتي ، ألبسي دي

رزان وهي تهز رأسها برفض : مش عايزة

يوسف : طب خليها معاكي لو أحتجتيها

_تحركت السيارة لتخترق الطرقات والشوارع بعجالة ، فبدأ الذعر يسيطر عليها من جديد ، هي أُصيبت بمرض الرهاب من نوع خاص ، رهاب من

الأماكن المزدحمة والمكتظة بالناس ..

والحشود الكثيرة منهم ، فأبتلعت ريقها وهي تضع

تلك الغمامة على عينيها حتى تصل للمنزل ،

مازالت الأصوات تخترق سمعها رغم النوافذ

المغلقة ، ربما لأنها قررت التركيز مع العالم

الخارجي .. ولكنها بالفعل ودت لو أنتهى هذا

العذاب الذي تُعانيه في الحال ، فتتوفاها المنية

وتلقى حتفها..

_بعد فترة من الوقت وصل أخيراً لمنزله .. وأدعى

الأسترخاء والرغبة في النوم حتى تنصرف والدته

ولا تتشبث برأيها في المكوث معه لوقت أضافي..

وعندما أنصرفت دولت بصحبة ولدها الأكبر ،
أعتكفت رزان حجرتها لتختلي بالظلام في هذه
الليلة الباردة..

بينما بدأ يوسف للتو في إعداد خُطتهُ للأنتقام
من الرجل الأول .. والذي أستدرج رزان لتلك
البقعة المهجورة حتى ينفرد بها أصدقائه ، فهو
الحبل المؤدي إلى الأثنين المتبقين.. والوصول
إليه سيقوده إلي بقيتهم ،

وأول ما أفتعله .. هو الأتصال على الطبيبة
النفسية المتخصصة لمتابعة حالة رزان التي
ساءت كثيراً اليوم و.......

يوسف : عشان كده بتمنى يكون في جلسة معاكي بكرة يادكتور بتول

بتول : حاضر ياأستاذ يوسف ، إن شاء اللّه أظبط مواعيدي وهكون عندها بكرة

يوسف بلهجة ممتنة : شكراً يادكتور ، عن أذنك

_أغلق الهاتف ، ثم بدأ في مكالمة تليفونية أخرى وقد قست تعابير وجهه أكثر .. أنتظر الرد من الجهة المُقابلة و....

يوسف : أيوة ياسيد ، أسمعني كويس .. بكرة هجيبلك عنوان الراجل ده ، هتروح وتتحرى عنه وعن أهل بيته كويس أوي

سيد : حاضر يابيه ، بس قولي ناوي على إيه ؟

يوسف وقد أفتر ثغره بإبتسامة خبيثة : هبدأ بأهل بيته ، بنته أول واحدة

سيد وقد جحظت عينيه بعدم تصديق : إيه ! أ.. أهل بيته!

يوسف وهو يضغط على فكيه بقوة أرتعشت على أثرها صدغيه : أيوة ، هتجوزها .. هتجوز بنته

....

الفصل الثالث عشر

_لم يستطع " سيد " التستر على الصدمة التي أعترتهُ عقب هذا التصريح الخطير من يوسف .. ولكنه أجتهد حتى لا يظهره ، هل حقاً سيقوَ يوسف على تنفيذ أنتقامه من الأبنة أولاً ؟ أم إن الغضب قد حجب عنه البصيرة..

تابع يوسف بنبرة واثقة وهو يقول

يوسف : بعد كده هقولك الخطوة الجاية إيه

سيد وهو يفرك طرف ذقنه بتوتر :طب لمؤاخذه ، البت بنته هتعمل فيها إيه ؟ يعني إزاي عايز

تنتقم وإزاي هتتجوزها؟ والست رزان هيبقى موقفها إيه؟

يوسف وهو يشدد على حديثهُ : مبدأياً محدش هيعرف ولا حتى مراتي ، ثانياً أنا هخليه يمشي حاطط راسهُ في الأرض وبعدين أفوقله هو .. بس بعد ما أحسره على حتة منه ، زي ما قهرني على مراتي

سيد وهو يبتلع ريقه وقد أستشعر إقدامهُ على فعلاً ظالماً : بس كده حرام والبت ملهاش ذنب يايوسف بيه

يوسف وهو يعتدل في جلسته ، وقد أحتد صوته وهو يتابع : وانا مراتي كان ذنبها إيه لما

أغتصبوها ورموها .. العين بالعين والسن بالسن ، وانا هعمله فضيحة هو وبنته

_صمت سيد للحظات ، فأستنتج يوسف ما يفكر به ، إنه يريد الإنسحاب من الأمر خوفاً من الظلم وخاصة إن كانت فتاة..

فأراد يوسف أن يحسم أمره معه ، ونطق بجدية

يوسف : لو عايز تتراجع أنا معنديش مانع ياعم سيد ، قولي وأشوف حد تاني

سيد : رقبتي سدادة يابيه

_قال عبارته وهو يضرب على عنقه ، بينما أنفرج ثغر يوسف ببسمة لم تصل حد عينيه .. ثم تابع

يوسف : انا هجيبلك العنوان وانت أبدأ من بكرة الصبح ، ودلوقتي هقفل معاك

سيد : حاضر يابيه ، مع السلامة

_أغلق يوسف هاتفهُ ، ثم قام بالبحث عن رقم صديقهُ علاء ليُحدثه ، تذكر أثناء ذلك حكائة الطفلة الصغيرة ، والتي تناسى تماماً السؤال عما وصلت إليه الأمور .. فقبض على شفتيه بضجر ، في حين جاءه صوت علاء و.......

يوسف : أيوة ياعلاء ، الحمد للّه بخير .. عايز منك خدمة

علاء : انت تأمر ياچو ، قول

يوسف وهو يتحسس موضع قفصهِ الصدري مُتألماً : الأسبوع اللي فات أنا خبطت واحدة بالعربية ، وهي راحت عملت محضر هي وأبوها وفضينا الموضوع بالفلوس .. انا عايز بيانات الراجل أبوها ده

علاء وقد ضاقت حدقتيه بعدم فهم : وانت عايز منه إيه طالما الموضوع خلص ؟

_لم يجد يوسف مخرجاً من سؤالهُ ، ولكنه لن يفكر في إخبارهُ بشيئاً .. فقد كان علاء من

أوائل المعارضين لفكرة إنتقامهُ ، ولذلك عليه الحفاظ على الأمر ليكون طي الكتمان .. فهتف ب.....

يوسف : لما كنت بوصل بنته للمستشفى نسيت شنطتها في العربية ، وكنت عايز أرجعها

علاء بصفو نية ، دون الشك فيه مثقال ذرة : خلاص سيبها عليا ، بس عرفني القسم اللى أتعمل فيه المحضر وكان يوم إيه وأنا هتصرف

يوسف وهو يطلق تنهيدة مرتاحة أخيراً : تمام ، معاك ورقة وقلم ؟

....

_كان صوتها مُختنقاً عندما كانت تُحدثه ، وقد ظهر فيه بوادر من البكاء .. أجتهد حسام ليُصرف هذه الحالة عنها ولكن......

حسام : ريهام انتي مزودة الموضوع أوي ، ما تسيبي أبوه ياخده كام يوم وهيرجعهولك

ريهام : انا مبحبش نيم يبعد عني ياحسام ، وبعدين أبوه مسافر في شغل ومش هيكون فاضي ليه .. يبقى ياخده معاه ليه ؟

حسام وقد نفذ صبره ، فتأفف بضجر وهو يتابع : ياستي متهيألك ، ده هيهتم بيه أكتر منك عشان مسؤليته هتكون أكبر

_صمت لوهلة ، ثم تابع بلهجة عابثة وقد لمعت عيناه بوميضاً غريباً

حسام : وبعدين دي فرصة حلوة أوي عشان نتمم جوازنا إحنا كمان بعيد عن الولد

ريهام وقد أتسعت حدقتيها بتعجب : جوازنا ؟ قصدك تتجوزني لما نجم يسافر!؟

حسام وقد تبدلت نبرتهُ للين : بالظبط كده ، ونعرف نقضي يومين من غير دوشة ولا قلق .. على الأقل نعمل شهر عسل زي باقي العرسان

_بدأت رأسها تميل نحو رأيه الذي رأتهُ سديداً ، وخاصة إنها لن تنعم بمثل هذه الفرصة لكي

تُتمم زيجتها المُعلقة منذ فترة .. فأفتر ثغرها بإبتسامة راضية ثم تابعت

ريهام : خلاص اللي تشوفهُ

حسام وقد أحتلت الحماسة كيانه : هو الواد فين دلوقتي

ريهام : غيد أخدهُ عشان يشتريلهُ هدوم جديدة ، عشان الشتوي كله صغر عليه

حسام بصوتٍ ساحر أشبه للهمس ، جعل القشعريرة تتسرب لجسدها : طب عايزك في موضوع سر.....

_كان الصغير " نجم الدين " يجاور والده في السيارة ، ولكنه مُغيب العقل .. يفكر في النتائج التابعة إذا أعترف لوالده بحقيقة ما رآه ، في حين لاحظ غيد تغيرهُ هذه المرة.. وعدم تحمسه كَكل مرة يرى والده فيها ،

لذا بادر هو بالسؤال و....

غيد : نجم ، مالك ياحبيبي ؟

نجم الدين وهو يسعى لموارة ما يستشعره : ولا حاجة يابابا

غيد وهو يهز رأسه بعدم إقتناع : مش مصدقك ، انت عمرك ما كدبت على بابا ولا خبيت عنه حاجة ! أحكيلي مالك؟

_تابع الصغير صمتهُ ، ثم رفع رأسه بإتجاه والده وهو يقول...

نجم : بابا ، أنا عايز أعيش معاك

غيد وقد أنفرجت أساريرهُ بفرحة : ياحبيبي لو عليا مسيبكش بعيد عني يوم واحد ، بس معلش .. فاضل سنة وتكمل ١٣ ، وساعتها حضانتك هتكون ليا

نجم وقد عبست ملامحهُ ، فكتف ساعديه بضيق وهو يقول : انا لسه هستنى سنة!

_تأكدت شكوك غيد بوجود أمراً ما جعل ولده رافضاً للمكوث مع والدته .. فقبض على شفتيه ثم ألتفت لينظر إليه وهو يتسائل...

غيد : قولي يانجم ، ماما عملتلك حاجة ضايقتك ؟ أو جابت سيرة الجواز تاني!

_ظهر عليه الإرتباك ، وأشاح بصره عن والده حتى لا يكشف أمرهُ .. فقام غيد بتهدئة سرعة القيادة وصف سيارته جانباً ليبتعد عن صفوف السيارات السائرة ، ثم أستدار بجسدهُ ليواجه نجم الدين وقام بجذب رأسه حتى ينظر إليه وردد....

غيد : أحكيلي اللي حصل ، وانا هسمعك

_أحس نجم الدين بضرورة إخبار والده ، حتى تشتعل رأسه فيقوم بضمّهِ إليه دون أدنى تفكير .. فأبتلع ريقه متوجساً وهو ينظر حيال والده ، ثم أستطرد قائلاً....

نجم : انا شوفت ماما مع واحد ! في أوضتها

غيد : أيه!!

_قالها بصوت مرتفع وقد أرتفعت حرارة رأسهُ وأحمرت عينيه بقوة وهو يحملق في الصغير غير

مُصدقاً .. تمنى لو أن الصغير قد تفهم الأمر بشكل غير صحيح ، ولكن على ما يبدو إنه لم يخطئ..

عدة لحظات فصلت بينه وبين قدرته على إستيعاب ما قيل له للتو .. ثم عاد ليتسائل بصوت مُنفعل.....

غيد : أنت متأكد من الكلام ده يانچم ، يعني ممكن يكون متهيألك أو فهمت غلط و.....

نچم الدين : لأ لأ ، انا شوفتها

_بدأ النحيب يمتزج بصوته وقد شرع في البكاء الهيستيري وبدأ يسرد على والدهُ تفاصيل ما حدث

بهذا اليوم.. كان يفيض له بكُلّ مكنوناته ، حيث إنه أعترف أيضاً بخوفه من حُب والدته لهذا الشخص والذي سيجعلها تتناساه، أو تنجب منه من يستحوذ على أهتمامها ورعايتها دون الأهتمام به .. فتفهم غيد مشاعر الصغير جيداً وشعر بالحزن لأجل رؤيته هكذا..

مسح على ظهره بعاطفة أبوية صادقة ثم سحب منديلاً ورقياً ليُجفف عنه دموعه .. وهتف بلهجة جادة....

غيد : أوعدك إني هتصرف ، وبمجرد ما نرجع من السفر أنت هتفضل معايا على طول ومش هترجعلها

نجم وهو يسحب شهيقاً متقطعاً : بجد يابابا؟

غيد وهو يمرر أصابعه بداخل خصيلات شعرهُ :

طبعاً ياحبيبي بجد

_أبتسم بزيف للصغير حتى لا يُظهر هذه النيران التي تأججت بصدره ، ثم بدأ بإدارة المقود من جديد ليتابع سيرهُ .. كان التفكير يُهاجم رأسه هجوماً شرساً ، فكيف سيقوم بتنفيذ وعدهُ للصغير ؟ ؟ وكيف سيخضعها له؟ سيحتاج الأمر لتخطيط من نوع خاص .. وربما اللجوء للخديعة والمكر ، فالحرب خدعة .. وقد أعلن هو الحرب عليها!

....

_لم يهنأ بالها ولم تسكن ثورتها إلا عقب جلسة إستحمامية ساخنة .. أعادت فيها النشاط لحالها ،

خرجت رزان عن المرحاض وهي تحاوط جسدها بمنشفة كبيرة .. وكادت تطأ بقدميها لداخل غرفتها ، ولكنها أنتبهت لصوت رنين هاتف يوسف المتكرر والصادر عن حجرته ، فكرت في التوجه إليه ولكنها لم ترغب ذلك.. عادت لتستكمل سيرها ولكن أصدر الهاتف ضجيجاً مرة أخرى وكأن المتصل لا ييأس .. فتقوست شفتيها بحنق وهي تترك أعتاب حجرتها لتنتقل لحجرته..

-كاد يوسف في هذه اللحظة أن يتحرك عن الفراش ليلتقط هاتفه من جواره .. ولكنه لمح

ظلاً يقترب من الحجرة ، فتعمد تصنُع النوم وأطبق على جفنيه جيداً دون أن يرمش .. حتى شعر بقدميها تقتربان منه ،

وقفت بجوار الفراش لتلتقط هاتفه وتنظر من المتصل .. فإذا بها تجد إتصالاً من أحد العاملين بالمكتب .. فأنتقلت ببصرها إليه لتجدهُ غائصاً في نوم عميق كما لو كان حقيقياً .. فأبتعدت عنه قليلاً ثم ضغطت على الهاتف وأجابت عليه و.......

رزان : ألو

بلال : ايوة ! بشمهندسة رزان معايا ؟

رزان وهي تهز رأسها بخفة : أيوة انا يابلال ، خير في حاجة؟

بلال بلهجة متذمرة : آه في طبعاً يابشمهندسة ، بشمهندس يوسف بقاله شهر أو أكتر مجاش المكتب ومش بيرد على تليفونات ، الشغل متعطل يابشمهندسة والناس بدأت تطلب مستحقاتها .. ده غير عُملاء قرروا الإنسحاب من عندنا خالص

رزان وقد أتسعت حدقتيها بذهول : أيه!!

بلال : واللّه زي ما بقول لحضرتك ، البشمهندس كلمني مرتين بس خلال الشهر ، يديني الأوامر ويسيبني أتصرف .. عارفة حضرتك لو واحد معندوش أمانة غيري كان سرق المكتب ده وفلسهُ

_عضت على شفتيها بحرج منه ، ثم راحت تُملي عليه بعض الأوامر التي سيقوم بها لحين أمتثال يوسف للشفاء .. حاولت أن تسد تلك الفجوة التي نتجت عن غيابه شهراً كاملاً عن العمل .. أي منذ الحادث الذي وقع لها!

وقررت أن تقوم بنفسها بأداء بعض الأعمال عنه لحين عودته لعمله سالماً..

-كان يوسف يراقب حديثها ، إيماءات وجهها من الزاوية ، وحركات يديها .. تأمل شعرها المُبتل والذي أثار شعوره حيال إحتضانها ، وهبط بنظرهُ على ذراعيها المكشوفتين واللاتي تزيننَّ بقطرات من المياة..

أبتسم بشغف كبير وهو يُطالع تفاصيل تخصها لأول مرة ، وفجأة أنتبه لإنهائها لهذه المكالمة ..

فعاد لوضعه النائم حتى يترك لها مساحة من التصرف بحرية ، بينما ألتفتت هي لتقترب وتضع الهاتف بموضعه السابق..

تأملت ملامحهُ التي بدت عليها السعادة ، فعقدت ما بين حاجبيها بذهول .. ثم مدت يدها على جبهته لتتفقد حرارتهُ كما أمر الطبيب ، وما أن تأكدت من سلامته حتى أنسحبت بهدوء قبل أن يشعر بها كما تظن هي..

فتح يوسف عينيه عندما تأكد من مغادرتها للحجرة ، ثم راح يُفكر في سياسة جديدة

ليتبعها في التعامل معها بالفترة المُقبلة ..
وتتوافق مع حالتها وإحتياجتها في نفس الآن.

....

_بدأ سيد في العمل على قدمٍ وساق .. حتى يستطيع الوصول لكافة المعلومات عن ذلك الرجل " حمودة.. "

مواعيد عمله وأصدقائهُ ، زوجته وأبنائهُ .. وحتى سيرتهُ لدى الناس ، وعندما توصل لكمّ كبير من المعلومات ، شارك به يوسف حتى تنتهي مُهتمهُ هنا و.....

سيد : والناس بتقول عليه راجل حشاش ، غاوي السيجارة الملفوفة (سيجارة محشوة بنبات الحشيش(

يوسف وهو يطقطق أصابع يدهُ بغيظ : وإيه كمان ياسيد؟

سيد : كتير من الناس بتبعد عن التعامل معاه وبيقولوا عليه

بتاع مصالح ، غير سيرته ال **** عند ناس كتير

يوسف وهو يفكر في العديد من البدائل : لو لبسناه قضية محبوكة كويس هنوديه في داهية

_صمت يوسف قليلاً ثم تابع بصوت غليظ

يوسف : بس ده مش هيشفي غليلي!

سيد وهو يقترح عليه حتى ينصرف عن فكرة الزواج من إبنته : كفاية إنه هيقضي عمره في السجن ياباشا ، ولو عايز تموته ياباشا وماله .. نموته ! بس سيبك من فكرة الجواز دي

يوسف بصوت حازم لا يقبل المناقشة : الموضوع ده خلصان ياسيد ، قبل ما أموته هعذبه بأهل بيته الأول.. زي ما عذبني بمراتي

_أستشعر سيد عدم الجدوى من التحدث معه ، وقد نوى بالفعل الإنتقام منه على هذه الطريقة .. حتى يُشعرهُ بالخزي ، يُريده أن لا يرفع رأسه مرة أخرى في أوجه الناس .. ليعيش باقي عُمره

مُنكس الرأس غير قادراً على مواجهة الجميع ، هكذا سيتحقق غرضهُ..

فتراجع سيد عن محاولة إقناعهُ بالإبتعاد عن الأمر.

....

_منذ الأمس والنيران متقدة في صدرهُ .. لم يستطع السيطرة على حالهُ ،وكأن الحديث الذي أخبرهُ به إبنهُ بمثابة القشة التي أغرقت السفينة ..

فلم يُطيق صبراً عليها أكثر من ذلك ، فقد وصل بها الأمر لإرتكاب الفاحشة .. والأكثر همّاً لديه هو رؤية الصغير لمثل هذا المشهد..

تأملت " شذى " تعابير وجهه المتجهمة وهي تجلس قبالته أمام المكتب.. فعضت على شفتيها بقلة حيلة ثم أستطردت قائلة...

شذى : بصراحة مش عارفة أقولك إيه يامستر غيد!

غيد وهو يفرك جلد وجهه بعنف : قوليلي أعمل إيه وأتصرف إزاي؟

أنا كنت ناوي أرجعه ليا بعد السنة دي ما تخلص، بس دلوقتي الوضع أختلف ومينفعش أصبر .. الولد ممكن يتعقد

شذى وهي تطلق تنهيدة حانقة : فعلاً الموقف صعب ، والطفل هو الوحيد اللي هيتأذي وسطكوا

غيد وقد أنعقد ما بين حاجبيه بذهول : قصدك إيه ؟ أنا عمري ما هأذي أبني وإنفصالي عن أمه كان أمر محتوم ، يعني ده مش ذنبي

شذى وهي تهز رأسها بالسلب : مقولتش ذنبك ، لكن الأطفال عموماً هما اللي بيتأثرو بالعلاقات الفاشلة

_أنخفض نهديه وهو يتحرك لينهض عن المقعد .. ثم تحرك ليجلس أمامها على المقعد الموازي .. أستند بمرفقيه على ركبتيه ثم أقترب وهو ينطق بنبرة حذرة

غيد : مفيش غير الفكرة اللي في دماغي ، وغصب عني مضطر أنفذها

شذى وقد صبت جام تركيزها معه : فكرة إيه ؟

غيد : التهديد ، بس التهديد ده لازم ليه دليل أقدر أهددها بيه ؟

_وكأنها تفهمت مقصده ، فأرتفع حاجبيها بذهول وهي تتأمل تقاسيم وجهه المُتكلمة .. كانت عينيه تبوحان بما ينتوي فعلهُ ، فأصابها الخوف من عواقب فعلته خاصة على الصغير .. لذلك نطقت بتساؤل

شذى : والدليل ده هتوصلهُ إزاي؟ أوعى حضرتك تكون آ....

غيد وهو يهز رأسهُ مؤكداً حدسها : بالظبط .. هخلي حد يراقبها ، ويصورها .. عايز أثبت إنها كَأم غير صالحة لتربية أبني ، وساعتها......

_تراجع بجسده للخلف ثم تابع بنبرة قاتمة

غيد : ساعتها مفيش قدامها غير إنها تسيبلي الولد بتنازل رسمي ، أو الحبس بعقوبة الزنا وبرضو هاخد الولد.........

....

الفصل الرابع عشر

_أستيقظ بعد ساعات طويلة من النوم ، فأحس ببعض الوغزات بصدرهُ عند عملية الشهيق والزفير..

كما أستشعر إطباق هذا الرباط الغليظ على صدرهُ .. فأستقام في جلسته بحركات متمهلة ، ثم نزع عنه (التيشرت) القطني ووطأ الأرض بقدميه..

تحرك نحو المرآة العريضة الملتصقة بضلفة الخزانة ثم وقف أمامها يتفقد حاله .. أثار ضيقهُ هذا الرباط ، ولكنه شعر بسعادة من إنتصاره الذي لم يتوقعه قط..

بل كان متيقناً من الهزيمة أمام خصمهُ ، بدأ بنزع هذا الرباط عن صدره ثم سحب شهيقاً عميقاً وزفره على مهلٍ .. وكأنه يُدرب ضلوعه على الحركة من جديد ،

في هذا اللحظة ، أستمع لصوت طرقات خافتة على الباب تبعها دخول رزان وهي تُمسك كأساً كبيراً مملوء حتى فوتهُ باللبن .. وما أن رأته نازعاً للرباط ويتحسس صدره خفق قلبها بقوة إعتقاداً منها بأن لحقهُ مكروه..

فأقتربت سريعاً لتضع الكأس على منضدة الزينة ، ثم دنت منه وهي تقول بقلق مفرط

رزان وهي تنحني لتفحصه : أنت كويس ؟ في حاجة حصلت!

يوسف وقد أسعدهُ خوفها عليه : متخافيش أنا كويس ، بس الرباط خنقني

رزان وهي تعتدل في وقفتها : الدكتور قال إنه هيساعد على الإلتئام بسرعة

_أبتسم لها بعبث ، ثم بسط ذراعه لها بالرباط وهو يقول بلهجة متحمسة

يوسف : طب أربطيه تاني بس متضغطيش عشان النفس

_ألتقطت منه لبرباط بحسن نية ، ودون توقع عبثهُ معها .. ثم وقفت خلفه وهتفت

رزان : أرفع دراعاتك

يوسف وهو يرفع ذراعيه عالياً : أهو

_حاوطت جسده بذراعيه لتقوم بلف الرباط .. وبدأت في ضبطه حتى يتناسب مع رغبته في التنفس ،

كانت تُلامس جسدهُ بأصابعها دون قصد .. فتُشعره بالإنتشاء لقربها الشديد منه ، وتمنى لو أنها لا تنتهي من عملها..

تأملها في المرآة فشعرت بخيال عينيه يراقبها ، لتتورد وجنتيها بإستحياء منه وأسرعت في الإنهاء حتى تترك هذا المُحيط الذي يجمعها به..

وما أن أنتهت حتى تراجعت للوراء لتترك الحجرة ، ولكنه أسرع بإلتقاط كفيها قبيل أن تذهب..

أبتسم ممتناً لها وهو يقول

يوسف : شكراً ياروزي

رزان وهي تحاول سحب كفها منه بخفة : مفيش داعي للشكر

_جذبها بتمهل ثم قرب كفيها من فمهُ ليطبع قُبلتين عميقتين على ظهرهما .. فضخ الدفء في نفسها لتشعر بالأمان .. ثم تركهما وهو مازال عالقاً ببصرهُ عليها ، بينما ألتفتت هي لتغادر .. وأثناء خروجها أردفت

رزان : متنساش تشرب اللبن

يوسف وقد تهدل كتفيه : حاضر ، هشربه وأنام تاني لأني مُجهد جداً

_قُبلتين فقط ، ولكنهما أثارا في نفسها أشياءً كادت تنساها .. خشيت من إحياء حُبه في قلبها

جديد ، فتتعلق بأملٍ زائف ، صراع ناشب بين عقلها الذي يرفضه وقلبها الذي يُريده بشغف..

حقاً ما هذه الحرب ولما ؟ لا تدري!

ربما لأن الأمر صعباً بما يكفي للتفكير في تركهُ..

حسم الأمر لن يكون بهذه السهولة ، ولذا عليها التفكير بتأن شديد..

-وأثناء إنشغالها بالتفكير .. أستمعت لصوت رنين الجرس فأنتقلت سريعاً لداخل حجرتها حتى ترتدي حجابها أولاً..

حيث أرتدت (إزدال) ثم خرجت بعجلة لكي تفتحهُ..

فوجدت المهندس " بلال " والمسؤل عن أحد أهم أقسام المكاتب التابعة لزوجها .. دعتهُ للدخول وهي تقول

رزان : أتفضل يابشمهندس

_دلف بلال للداخل وهو يحمل العديد من اللوحات الكبيرة وبعض المُعدات الهندسية الدقيقة..

حيث قادته هي إلى أقرب أريكة وهي تقول

رزان : تشرب إيه يابلال؟

بلال وهو يربت على صدره بإمتنان : ربنا يخليكي يابشمهندسة ، انا جاي أسلمك الشغل اللي طلبتيه مني وهمشي على طول عشان صاحبي مستني تحت

_جلست رزان على المقعد المقابل للأريكة ثم نطقت

رزان : طيب يابشمهندس ، أتفضل وريني الشغل

_قام بلال بوضع كل ما يحمله أعلى الطاولة ثم بدأ في الشرح لها عن الأعمال المُعطلة منذ أن تغيب يوسف عن مكتبهُ .. فتفهمت رزان الأمر

حيث إنه صميم تخصصها ، وتعاهدت له بأن تنهي هذه الأمور من أجل سُمعة وصيت المكاتب التابعة ليوسف ، والتي حظيت بمكانة عالية بوقت وجيز..

بينما تفائل بلال بها كثيراً وتأكد من إنها ستنجز هذه الأعمال..

لاحظ بلال إنها أصبحت هزيلة عن ذي قبل وقد تغيرت ملامح وجهها للشحوب .. حتى أن أسفل عينيها مُحاطاً بالهالات السوداء ، فراوده الفضول ليتسائل

بلال : أنتي كويسة يابشمهندسة؟

رزان وقد أصابها الإرتباك عقب سؤالهُ : هه !!
بتسأل ليه ؟

بلال وهو يخفض رأسه عنها بتهذيب : شكلك
تعبان ومرهق جداً

رزان وهي تبتلع ريقها بتخوف : شوية ضغوط مش
أكتر

بلال وهو يبتسم لها بعفوية : أنا عارف إن الحادثة
اللي حصلت أكيد أثرت عليكي ، لكن الحمد
للّه إنها عدت خير

_أرتجف قلبها ، وسرت إرتعاشة في جسدها عقب
عبارته ، ظنت أن أمرها قد أفتُضح حتى أمام
موظفي زوجها وأصبحت هي حكائة تتكرر على

لسان الجميع ، وكأن شعور العراء قد حاوط بها ..
فأطبقت بكفها على حجابها ظناً بأن قطعة من
جسدها مكشوفة له ، أنقبض قلبها وهي تستمع
لباقي حديثه و......

بلال : يعني فداكي ألف عربية المهم أنتي

رزان وقد تنغض جبينها بعدم فهم : عربية !
عربية إيه ؟

بلال : العربية اللي حضرتك عملتي بيها حادثة

رزان وكأنها أُصيبت بالبلاهة : مين اللي قالك
الكلام ده!

بلال وقد شعر بالريبة : أستاذ غيد هو اللي بلغنا بنفسه لما قال إن الفرح أتأجل عشان أنتي عملتي حادثة بالعربية

_وأخيراً تنهدت بإرتياح ، عقب أن تأكدت بأن لم يعرف أحداً بأمرها .. ولكنها أستاءت مرة أخرى، إلى متى ستظل هاربة من هذا الذي لحق بها!

أنتبهت أخيراً لوجوده ، فرفعت رأسها نحوه وهي تقول

رزان : شكراً على زوؤك يابلال ، ومتقلقش بالنسبة للشغل ده أنا هخلصهُ بنفسي

بلال وهو يقف في محله :وأنا متأكد من شغلك

يابشمهندسة ، عن أذنك

رزان وهي تنهض لتلحق به : مع السلامة

....

_لم تتفاجئ " رزان " بوجود الطبيبة النفسية "

بتول " في منزلها ، بل إنها توقعت حضورها بالفعل

..

هي تشعر بالراحة مع هذه الإنسانة التي تستطيع

إمتصاص الحزن منها وتبديله بطاقة أمل رهيبة ،

تجعلها تود العيش أضعاف عمرها..

هكذا تشعر مع هذه الطبيبة الماهرة في مجالها ،

بدأت تسرد عليها بعض تفاصيل الأيام السابقة التي حدثت معها ، وكيف تنظر للمُحيط الخارجي من حولها ، حيث كانت نظرتها للمجتمع عدائية للغاية .. وخاصة المجتمع الذكوري دون زوجها وأخيها .. و.......

رزان : أول ما بلال جاب سيرة الحادثة ، حسيت إني عريانة قدامهُ .. ومقدرتش أتحكم في أنفاسي ونبضي ، مجرد تخيل نظرتهُ ليا حسستني بالوجع..

كل الناس بتبص عليا ، بحس إنهم بياكلوني بعنيهم .. وكأن الكل عارف كل حاجة، حاسة

إنهم بيغلطوني وبيشيلوني ذنب اللي حصل،

وكأني المجرمة مش هما..

مع إني الضحية ، لكن هو ده المجتمع اللي أنا

فيه..

_أنخفض نهديها وتهدلت بيأس وهي تطرق رأسها

للأسفل ، أبتلعت مرارة الحديث وتابعت مرة أخرى

....

رزان : بابا وحشني ، صعبان عليا منهُ ونفسي

أعاتبه على اللي عمله معايا .. كان نفسي

ياخدني في حضنه ويطبطب عليا ، يحميني منهم

ويجيبلي حقي

_صمتت لتكبح بكاءً كان على وشك الإنفجار .. سحبت شهيقاً عميقاً وزفرته على مهلٍ ، ثم كررت العملية عدة مرات حتى تستعيد ثباتها الإنفعالي .. بينما بادرت " بتول " وهي تهتف وكأنها تسأل

بتول : ويوسف

رزان وقد أتسع ثغرها بإبتسامة عفوية : يوسف ! ، يوسف ده الحاجة الوحيدة الحلوة اللي حصلتلي في حياتي ، أنا خايفة أخسره ، بقيت أخاف يختفي من حياتي فجأة وميقدرش يكمل معايا ، حاسة إنه بيشفق عليا وعايز يحميني بس ..

والإحساس ده هيموتني ، في حاجز بينا مش قادرة أكسرهُ

بتول وهي تتحدث بلهجة واثقة : يوسف عمره ما هيتخلى عنك ، لو كان عايز يمشي كان مشي من الأول .. مكنش هيستنى لما يشفي جروحك وبعدها يسيبك بجرح تاني

_ضغطت رزان على رأسها وقد أصابها الألم من كثرة التفكير ، ثم قالت بصوت مستغيث

رزان : أعمل إيه ؟

بتول وهي تضغط على كفها برفق : ثقي فيه ، سيبيله فرصة يعوضك عن أي حاجة فاتت ..

أنتوا الأتنين تستاهلو بداية جديدة مفيهاش غيركو يارزان ، أبعدي الحواجز عن حياتكوا وأفتكري دايماً إنه هيفضل ضهرك وسند ليكي ، حياتك هتتغير صدقيني

_نظرت حيالها بتحسر وهي تغالب شعورها بالضعف ، بينما تابعت بتول وهي تهتف

بتول : اللي حصل عمره ما هينزل من قيمتك كَأنثى .. وعمر العُذرية ما كانت بالشكل اللي فاكره الناس ، العُذرية مش حتة من جسمك .. عُذريتك في روحك ، روحك اللي هتفضل عذراء طول العمر

_قطبت جبينها بتعجب من هذا التعبير الذي راق

لها ، ربما كانت بحاجة إلى من يوجهها لهذا

التعبير ، حتى يُهدئ من ثورة نفسها الهائجة.

....

_لم يكن قد أسترد عافيته بالكامل ، ولكنه

أصر على القيام بهذا العمل من أجل أن يُنهيه

وينجزه بأسرع وقت..

فقد سئم الصبر ، ولا يطيق إنتظاراً من أجل أن

يأخذ بثأرهُ وثأر زوجته..

وعقب أن تأكد من إتاحة كافة المعلومات بين

يديه قرر التحرك على الفور وبالرغم من

تشديدات الطبيب على الراحة في المنزل

والسكون بالفراش لمدة لا تقل عن أسبوعين ، ولكنه لم يلتزم بكل تلك التشديدات..

_أرتدى حُلة رمادية اللون ، وأسفلها قميصاً أسود اللون حتى لا يُظهر الرباط من أسفلهُ..

وقف أمام المرآة ليرتدي ساعتهُ الفضية ثم علق ببصرهُ على المرآة..

مشط شعره جيداً وضبط من وضعية ملابسهُ .. ثم وضع لمسته الأخيرة ، حيث نثر عطراً غزيراً على ملابسه وجانبي عنقيه .. ثم تحرك للخارج..

بحث عنها بعينيه في الأركان ولكنه لم يجدها ، فتحرك نحو حجرتها ليتفقدها ولكنه تفاجأ بعدم وجودها أيضاً..

أصابه الشك بأن تتواجد في المطبخ ، ولكنها لم تتواجد هناك أيضاً .. أنقبض قلبه قليلاً وهو يبحث في زوايا المنزل وباقي الغرف..

حتى لمح إضاءة حجرة مكتبهُ الهندسية مُضاءة فعلم إنها بالداخل .. تحرك نحو الغرفة وفتح الباب بهدوء شديد حتى لا تشعر به ، كانت تجلس مُنكبة على الحامل الهندسي وقد أفترشت اللوحات الهندسية من فوقه ، وأخذت تعمل بتركيز شديد .. ولكنها أستنشقت عطره وعلمت بإقترابهُ منها..

أغمضت عينيها وهي تتشمم هذه الرائحة التي تعشقها حتى النخاع ، لتتفاجأ به يحيط خصرها ليضمها إلى صدره..

لم تقاومه.. بل إنها كانت في حاجة ماسة لهذا الإحتواء حتى وإن كان عن طريق عناق عميق ودافئ..

طبع قُبلة على رأسها وهو ينطق بنبرة ممتنة

يوسف : أكيد هتعبك في الشغل ده بس عارف انتي قد إيه محتجاه

رزان وهي تهز رأسها بالإيجاب : فعلاً محتجاه أوي

_ألتفتت برأسها نصف إلتفاته لتستطيع أن تُخمن ملابسهُ ، فتتغض جبينها وهي تتسائل

رزان : رايح فين وانت لسه تعبان ؟

يوسف بإبتسامة عذبة : مشوار صغير وراجع ، مش هتأخر

_أرادت أن تحل نفسها من بين أحضانه حتى تستطيع مواجهته ، ولكنه تشبث بها وهو يقول

يوسف : خليكي زي ماانتي ، احنا كويسين كده

_رمشت بعينيها عدة مرات قبل تجتهد مرة أخرى للإبتعاد عنه .. فتركها بحرية لتستدير بجسدها ، حدجته بتفحص وهي تقول

رزان : مشوار إيه اللي متشيك عشانه أوي كده ؟

يوسف................ :

_فقط تمعن بناظريه في عينيها حتى أصابها بالإرتباك .. فأخفضت بصرها عنه بإستحياء وهي تتسائل

رزان : بتبصلي كده ليه؟

_سرق قُبلة صغيرة من وجنتها ، ثم همس لها بصوت مُلتاع

يوسف : عشان وحشتيني

_مسح بكفه على وجهها بحُب ، ثم ألتفت ليترك المكان قبل أن تداهمه بأسئلتها مرة أخرى..

حقاً كانت بحاجة للإحساس بوجوده جانبها ، لم تُصيبها عُقدة الأقتراب من جنس الرجال .. ولكنها أُصيبت بعُقدة الخوف من إبتعاده عنها ، أنخفض نهديها وهي تتحسس لمسته على صدغها .. فضاعت بأحلامها الوردية التي أصبحت سراب.

_أمام هذا المدخل الضيق المؤدي لأحدى الحارات الشعبية القديمة .. وقف يوسف بسيارته يستطلع المكان أولاً ، وعندما وجد الطريق

يسمح لهُ بالمرور تعدى هذا المدخل وتقدم بسيارته مسافة أمتار عديدة حتى وقف أمام المقهى الشعبي الركيك..

فتح زجاج سيارته القاتم ، ثم أطل برأسه وهو ينظر للجالسين على المقهى وكأنه يبحث عن أحدهم .. بينما رمقه الجميع بنظرات متحفزة ، فقد بدا لهم كشخصية هامة أو مرموقة ، وربما أحد المسؤلين أيضاً..

تحرك صاحب المقهى عن مكانه وأنتقل إليه ليهتف

صاحب المقهى : أؤمر ياباشا

يوسف وهو يتفحصه بنظرات ثاقبة : عايز الأسطى حمودة اللي بيقعد هنا على طول ، ياريت توصلني ليه

_ألتفت صاحب المقهى برأسه ليتأكد من وجود حمودة ، وعندما وجده هتف بصوت مرتفع وهو يناديه

صاحب : حمودة ، في واحد عايزك برة

حمودة وهو ينظر لرُقع الطاولة بإنتباه شديد : اللي عايزني يجيلي

صاحب المقهى وقد تقوس فمه بإستهجان : شكلها مصلحة عنب وأنت هتضيعها يابن الفقرية

_رفع بصره نحو صاحب المقهى ، ثم أشرأب برأسه لينظر للخارج .. وجد سيارة حديثة يبدو إنها باهظة الثمن ، ولمح طيف هذا الشاب يجلس بداخلها..

فنهض سريعاً عن مكانه وتحرك بثبات وهو يسحب أنفاس من سيجارته ، بينما هتف رضا بنبرة مُتحمسة....

رضا :والعة معاك ياحمودة

حمودة وهو يلتفت ليرمقه بإشمئزاز : خمسة في وشك ، مش لما أعرف العبارة إيه!

_تحرك نحوه .. وما أن أقترب حتى تحقق من ملامحه ، فلوح بذراعيه في الهواء وهو يقول بلهجة متذمرة

حمودة : يادي القرف ، في إيه تاني يابن البشوات ، جاي تتخانق هنا كمان ولا إيه ! لا أسمع انت هنا في منطقتي وانا ممكن أ.....

يوسف وهو يشير بكفه ليصمت : أهدا شوية وأسمعني ، عايزك في موضوع شخصي

حمودة وقد تبدلت ملامحه للتجهم وكأنه غير مصدقاً : شخصي ! بيني وبينك انت ؟

يوسف وهو يشير إليه ليصعد حيث السيارة : أركب عشان نتفاهم

حمودة : يفتح اللّه ، شكلك مبيجيش من وراك غير المشاكل وخوتة الدماغ (شغل الرأس)

_ألتفت حمودة ليتركه وينصرف ، بينما ترجل يوسف عن سيارته وهو يهتف بصوت صادق يحمل من الجدية ما يكفي

يوسف : انا جاي طالب أيد بنتك

_توقف بمحلهِ وكأنه غير مصدقاً ما أستمعه للتو .. رمش بعينيه عدة مرات وقد أنفرج فمهُ كَالأبله ، وألتفت مرة أخرى ليتحقق مما أستمعه..

فلمح يوسف في نظراته الطمع .. وهنا تأكد من نجاح مُخططه بنسبة كبيرة ،

هتف حمودة بعدم تصديق وهو يتأمل هيئته المنمقة

حمودة : قولت إيه ؟

يوسف بصوت حازم : عايز أتجوز بنتك ، فجر .. ولو موافق أنا هتكفل بكل حاجة ، وعايز الموضوع يتم في أسرع وقت

حمودة وقد أنفرج ثغره بسعادة حقيقية

:...............

....

الفصل الخامس عشر

_تصلبت قدمي حمودة وهو ينظر إليه غير مصدقاً ما أستمعه للتو ، ولكنه أكتشف أن الجميع ينظرون ويتمحصون في النظر إليهم عقب طلب يوسف المفاجئ.. خشى من حديث المارة والأصدقاء ، وربما الحسد أيضاً..

فأذعن له وتحرك سريعاً نحو المقعد الأمامي لسيارته وهو يقول

حمودة : الكلام ده مش هنا ، تعالى بعيد

_برزت أسنان يوسف خلف إبتسامته الخبيثة ، ثم تحرك هو الآخر ليستقل سيارته ويتحرك بها بعيداً عن هذا المكان الشعبي..

طيلة الطريق أثناء خروج يوسف من المنطقة ، كانت عيني حمودة تتأملان السيارة جيداً بكل تفاصيلها .. حيث أنبهر بجمال تصميمها الحديث ، في حين شعر يوسف بحركة رأسه وتفهم ما يدور بخُلدهُ .. فتقوست شفتيه بإزدراء أجتهد ليواريه ، ثم توقف بالسيارة فجأة عندما أبتعد عن هذا الحي الضيق .. وأستدار بجسدهُ لكي يواجهه وهو يهتف

يوسف : قولت إيه؟

حمودة وهو يحك مؤخرة رأسه بتفكير :

لمؤاخذة أنا عايز أعرف تيجي ازاي؟ إحنا من أسبوعين كنا بنتخانق في القسم ومبهدلين بعض ، وتيجي دلوقتي تطلب بنتي للجواز ؟

أعقلها أزاي!

يوسف وقد ألتزم الثقة في حديثه حتى لا يظهر أية ثغرة : أنا بقالي فترة من ساعة اللي حصل وانا بسأل على بنتك ، ومن الآخر هي دخلت دماغي وعايزها في الحلال

_أراد حمودة أن يستكشف نواياه ، فلم يروق له هذا الحديث وأحس بعدم التصديق من ناحيته .. فراوده وهو يقول

حمودة :يبقى اديني فرصة انا كمان أسأل عنك و.....

يوسف وهو يشير بكفه ليصمت : بص ، انا مش عايش في مصر .. انا هنا أجازة وعايز أرجع الإمارات تاني عشان شغلي كله هناك انا وأخويا ، وقررت مرجعش غير بالزوجة اللي هتخدمني وتخلي بالها من طلباتي .. عشان كده انا مستعجل

_أراد يوسف أن يحشره بالزاوية حتى لا يجد منه المفر ، وبالفعل نجح مخططه وآتى بنتيجة إيجابية..

حيث ألقى إليه الطُعم وهو يقول متصيداً

يوسف : لو مش موافق قولي عشان أشوف عروسة تانية، انا معنديش وقت ومسافر كمان أسبوعين

حمودة وقد أرتعد داخله خوفاً من تضيع مثل هذه الفرصة الثمينة : لالأ ، أنا مقولتش مش موافق لا سمح اللّه

_لمعت عيني حمودة بوميضاً طامعاً ، وكأن الجوع للنقود يقفز من بين جفنيه.. فنطق متصنعاً الضيق وقلة الحيلة

حمودة : أنا راجل على قدي ومش هلحق أجهز البت ولا أشوف طلباتها ، و......

يوسف : أنا متكفل بكل حاجة ، انا عايزها بشنطة هدومها بس .. وكل حاجة في بيتي في الأمارات

حمودة وقد أنفرج ثغره بإبتسامة واسعة : هه ! بجد ؟

طب وأهلك موافقين ولا أ....

يوسف وهو يقتصر الطرق في الحديث : أهلي متوفيين ، ماليش غير أخويا اللي شوفته ، وهو سافر الأسبوع اللي فات والمفروض أحصلهُ ومعايا مراتي

حمودة : بس أنا عايز فرح كبير لبنتي و....

يوسف وهو يهز رأسه بموافقة : هعملها أحلى فرح عندكوا في المنطقة ، وأعزموا كل الناس اللي

عايزينها .. صحابك وصحابها وأهلكوا

ومعارفكو وكل الناس ،

معنديش مانع لأي حاجة

_لم يكن العرض السخي هذا قابلاً للرفض بأي شكل من الأشكال .. بل كان في ناظريه هو الفرصة التي لا تأتي سوى مرة بالعمر ، ولن يقبل تفويته بأي حال .. فالخير لن يعُم على أبنته التي ستنعم بالرفاهية والثراء فقط ، بل سيكون له حظاً وفيراً من هذا الرزق الذي طرق بابه على حين غرة ..لم يستطع حمودة أن يمنع هذه السعادة التي تسربت لوجهه ، في حين كان يوسف قارئاً لمعالم وجهه ، فتيقن من حتمية

نجاحه .. أراد أن يُضيف بعض البُهارات الخاصة به حتى تكتمل نكهة الطبخة خاصته ، فقام برسم حياة وردية ستنعم بها زوجته المستقبلية وخيل له حياة القصور والرغد الذي يعيشهُ .. فإزدادت حماستهُ حيال تلك الزيجة التي آتت له على طبقٍ من ذهب .. كما عرض عليه فرصة العمل بالخارج إذا أصبح هو زوجاً لأبنتن ، مما جعل الموافقة أمراً حتمياً لديه و.........

حمودة : أعتبر إن الجوازة حصلت ، والنهاردة هفاتح فجر وأجيبلك موافقتها

يوسف وهو ينظر في ساعة يدهُ : معاك النهاردة ، وهكلمك بكرة عشان لو وافقت نحدد الخطوبة والشبكة هتتلبس أمتى

حمودة وقد حدقت عينيه بشغف : بسرعة كده !

يوسف بلهجة غير قابلة للنقاش : قولتلك معنديش وقت ، ولازم أسافر وانا متجوزها

حمودة وهو يهز رأسه عدة مرات : طيب ، سيبلي رقمك وانا هرد عليك قريب أوي

_أملى عليه الرقم ، ثم تركه ينصرف لكي يبدأ في التفكير والتخطيط لأقناع أبنته بهذه الزيجة السريعة.. وحتى إن رفضتها سيجد سبيلاً

للضغط عليها حتى لا يفوت مثل هذه الفرصة الذهبية ، فلم يستطع الصبر طويلاً .. بل إنه أنتقل بمنزله سريعاً حتى يبدأ في ذلك..

فتح الباب وعبر منه للداخل وهو يبحث عنها بعينيه حتى وجدها تجلس على الأريكة الصغيرة أمام التلفاز ، وبجانبها شقيقتها الصغيرة تقوم بمساعدتها على أستذكار دروسها..

فرك كفيه بحماسة ثم أنتقل نحوهم وهو يشير بيده للصغيرة حتى تنصرف و.....

حمودة : قومي يابت ياملك خشي أوضتك عشان عايز أختك في موضوع

فجر وهي ترفع بصرها نحوه لترمقه بعدم إرتياح :

ياساتر أستر يارب

ملك وهي تشير نحو كتابها المدرسي : أبلة فجر بتشرحلي عشان مش فاهمة يابابا

حمودة بنفاذ صبر : بقولك خشي أوضتك مش ناقص مناهدة

فجر وهي تمسح على رأس الصغيرة برفق : معلش ياملك ، أدخلي جوه وانا هاجيلك

_نهضت ملك عن الأريكة وقد عبشت ملامحها بضيق ، بينما تبعها حمودة بعينيه .. فبادرت فجر بالحديث وهي تتسائل

فجر : خير؟ مش مستريحة للدخلة دي

_جاورها حمودة في جلستها ثم تفرس النظر بها وهو يقول بلهجة طامعة

حمودة : جالك عريس النهاردة ، بس زين الشباب

فجر وقد أطلقت ضحكة ساخرة : وده جاي يعمل إيه ؟ عشان تطفشه زي اللي قبله!

حمودة وهو يهز رأسه نافياً : لأ ، انا وافقت عليه خلاص ، ده غير كل العرسان الفقر اللي كانوا بيجولك

فجر وقد تلوت شفتيها بإستنكار : وياترى هتجهزني منين ؟ ده جهاز البنات عايز شئلة (كومة) فلوس

ولا ناوي تبيعني لواحد عربي وانت اللي تاخد فلوس!

حمودة وهو يلكزها برسغه متابعاً : يابت أسمعي للأخر ، فاكرة البيه اللي خبطك بالعربية؟

_ألتفتت فجر برأسها لتنظر حيث ذراعها المُتجبر (ملفوف بالجبيرة) ثم نطقت بإستهزاء

فجر : قصدك الراجل اللي ضحكت عليه وقلبته في قرشين!

حمودة وهو يزفر أنفاسه بحنق من أسلوبها اللاذع

في الحديث : اه هو ، ده العريس

_شهقت بصوتاً مسموعاً وهي تنظر إليه بعدم

تصديق ، وكأن حواسها لم تعد تعمل..

ليست خيبة أمل ، ولكنها صدمة شديدة أعترت

ملامحها وكيانها كاملاً .. حاولت إستيعاب ما قاله

للتو وهي تقول

فجر : الشاب اللي خبطني هو العريس!

انت شارب حاجة ولا إيه يابابا ؟ شكلك تقلت

في الهباب اللي بتشربه!

حمودة وقد أتقدت عينيه بغيظ منها : يابت لمي لسانك ده شوية ، الراجل كده هيطفش قبل ما يدبس ، انا واعي لكل كلمة قولتها ولسه سايب الجدع من شوية

فجر وهي تعتدل لمواجهته : لأ أحكيلي من الأول كده عشان أفهم ، انا مش فاهمة حاجة خالص

_بدأ حمودة في سرد تفاصيل ما حدث منذ قليل ، فلم يروق لها البتة .. زواجه السريع منها وسفرها لخارج البلاد بصورة مفاجئة ، وأيضاً تركها لأسرتها وأشقائها الصغار هنا .. كل هذه العوامل دعمت رفضها وهي تهتف بتعند

فجر : لأ مش موافقة ، ده شكله عايز خدامة تحت رجليه مش زوجة .. وبعدين انا مش هلحق أجهز نفسي ولا حتى شوفته قبل كده غير يوم الحادثة ومش فاكرة حتى شكله!

حمودة وقد تعمد إستخدام اللين من أجل أقناعها : كل دي حجات مش مهمة ، الراجل هييجي هنا وتشوفيه براحتك، إنما دي فرصة متتعوضش وهو هيشيل كل حاجة ، ده غير الأبهة (الغنى) اللي هتبقي فيها

فجر وقد لهب حديثه برأسها : آ... ، وأخواتي ! والبيت اللي عايز يتصلح لو وقع عليكو! وأفرض طلع راجل *** وهيشربني المُر معاه

حمودة بصوت خشن وهو يصيح فيها : يابت انتي نفوخك ده إيه ! جزمة قديمة ؟

بقولك الواد مقتدر وهيعيشك ملكة ، وهينغنغك ويخليكي تطلعينا من القرف ده بقى ، وانتي تقوليلي البيت وأخواتي!

تقدري تقوليلي انتي قاعدة هنا بتعملي إيه ؟ ولا شغل ولا فلوس ولا حتى بيت عدل .. ويوم ما تجيلك الفرصة تقولي لأ ياوش الفقر!

فجر وقد أرتفع صوتها بحدة : مش هتجوز واحد عايز يشتريني بفلوسه

حمودة بلهجة صارمة : ما يشتريكي ويشتري أهلك كمان اي المانع ! المهم يستتك وتعيشي مرتاحة ، ولا غاوية الفقر والمرمطة .. عايزة

واحد لسه بيبدأ حياته عشان تشوفي يوم أبيض

وعشرة أسود !؟

_حضرت أمينة على أثر صوتهم المرتفع ،

فجففت كفيها بالمنشفة القديمة ثم تسائلت

بصوت ضعيف

أمينة : في إيه ياحمودة؟ بتزعق للبت ليه ؟

حمودة وهو يرمق إبنته بنظرات ساخطة : بنتك

جالها عريس سُقع ، وهيعيشها ولا الملوك .. وقال

إيه مش عايزاه عشان مسافر بره وعايز يتمم

الموضوع بسرعة ، شايفة عمايل بنتك ال

****

أمينة وقد أنفرج ثغرها بعدم تصديق :عريس ! وغني ؟

حمودة وهو يدعم حديثه حتى يستميل عقل زوجته فتقوم بمهمة إقناعها معه : غني أوي ياأمينة ، وصغير وشكله يشرح القلب ، غير إنه هيتكفل بكل حاجة .. كل الحكاية إنه عايز يتجوز ويسافر بمراته بره، وبنتك بتتبتر على النعمة

أمينة وقد أنشرح صدرها وتبدلت ملامحها للفرحة : اللّه أكبر اللّه أكبر ، يجعله حظك ونصيبك يابنتي يارب

فجر وهي تتأفف بضجر : ياماما ده واحد تنك ، فاكر كل حاجة يشتريها بفلوسه حتى البني

أدمين ، أنتوا مشفتوش نظرته ليا في القسم كانت إزاي

أمينة وهي تستميل عقلها : يابنتي أنتي هتقدري تميلي راسه ليكي ، وبعدين مترفصيش النعمة

_في هذه اللحظة ، حضر شقيقها محمود وفتح باب المنزل .. لاحظ الحالة المتوترة التي عليها الجميع فوزع أنظارهُ عليهم وهو يتسائل بفضول

محمود : في إيه ياجماعة ؟ مالك يافجر!

حمودة وهو يتلوى بشفتيه مستهزئاً به : تعالى ياسبع البرومبة ، أختك جالها عريس ميترفضش وهي بتقولي لأ

فجر وهي تلوح بيدها في الهواء : يوه

_تركتهم وأنتقلت إلى حجرتها لكي تستريح من عناء هذا اليوم المرهق..

بينما كان صوت أسرتها بالخارج وهم يتحدثون بشأن زواجها ، تأففت بضجر وهي تجلس على فراشها .. ثم تمددت بجسدها وهي تتأوه بتألم وراحت تستعيد ذكرى هذا اليوم الذي أوقعها مع هذا الكائن..

تنهدت بضيق ، لتتفاجئ بدخول شقيقها إليها..

أعتدلت في جلستها وهي تهتف

فجر : محمود ، عايزاك في موضوع

_دس محمود يده في جيبه ثم أخرج كل ما معهُ من نقود ، وحتى العملات المعدنية..

بسط ذراعه لها وهو ينطق بصوت مختنق

محمود : لو هتقوليلي عايزة فلوس هقولك محلتيش غير ٤٦ جنية أول عن أخر ، يدوب يكفوا أكلنا

_أطرقت فجر رأسها بحزن وقد أنقطب جبينها بضيق شديد ، أطلقت زفيراً محتقناً وهي تتابع

فجر : البت عايزة كتب عشان المعهد ، والفلوس اللي معايا خلصت .. حتى دراعي مش عارفة أروح للدكتور يشيل الجبس أحسن يطلب فلوس

محمود وهو يجلس على طرف الفراش : فجر ، انا شايف الفرصة اللي جت دي متترفضش .. دي طاقة القدر هتتفتح لينا كلنا بالجوازة دي

فجر وقد عبست ملامحها وهي ترمقه بنظرات معاتبة : حتى انت يامحمود عايزني أبيع نفسي !؟

محمود وهو يهز رأسه بعنف : لأ طبعاً مقبلش عليكي بكده ، مين قال إنها بيعة ! الراجل عايز يتجوزك وهياخدك ويسافر ، ستات كتير مصرية عايشة مع رجالتها بره مصر

فجر.......... :

محمود وهو يتابع حديثه ليقوم بإقناعها : أسمعي مني ، الراجل هيشيل كل الليلة ومش هيكلفك حاجة ، وبعدين هيعملك الفرح اللي انتي عايزاه .. وافقي يافجر خليها تبشبش معانا كلنا ياختي

_لم تكن بحاجة إلى كل هذا الضغط لتوافق على هذه الزيجة ، بل إنها بدأت في التفكير الفعلي للموافقة على هذا العرض .. لا تنكر إنه أغراها!

وزين لها الشيطان ما ستحظى به في كنف هذا الرجل الثري وما ستستطيع الحصول عليه منه .. من أجل نقل أسرتها لمستوى أجتماعي أخر ، فبدا الأمر لها وكأنه ثفقة وليست زيجة..

هي بحاجة ماسة لهذه الورقات النقدية اللعينة والتي تتحكم في حياتها بشكل كُلي ..

أخفضت رأسها بتحسر وهي تقول

فجر : حاضر يامحمود ، هوافق

_أنفرجت أساريرهُ وأتسع مبسمهُ بإبتسامة واسعة وهو ينهض عن مكانهُ ثم أنحنى ليُقبل رأسها بإمتنان و....

فجر : وربنا لو انا حسيت إنه مش كويس هقف معاكي

فجر وهي تهز رأسها بالإيجاب : عارفة

_صمتت قليلاً، ثم تابعت قائلة

فجر : أما نشوف إيه حكايته ، صحيح الحلو ميكملش! .. زي القمر بس دمهُ واقف ، أوف

....

_كان يوسف جالساً بسيارته بصحبة " سيد " عندما جاءهُ إتصال هاتفي من " حمودة " يبلغه فيه بالموافقة على إتمام الخُطبة..

شعر يوسف بالإنتشاء ، فها هو يُحقق مبتغاه ويقترب منه شيئاً فشيئاً .. لم يتمهل يوسف في خطواته بل بدأ للإعداد سريعاً من أجل الخطوة التالية والتي كانت جاهزة بالفعل..

فأصدر أمرهُ ل " سيد " وهو يقول

يوسف : دلوقتي هي وافقت خلاص ، الخطوة الجاية هي تحديد اليوم اللي هشوفها فيه .. اليوم ده مينفعش نضيعهُ

سيد وهو يفرك كفيهُ بتوتر ملحوظ : إزاي؟

يوسف وهو يشير نحو الكاميرا الخاصة به : اليوم ده انا هطلب منه يعزم كل أصحابهم

وحبايبهم وقرايبهم ، وكمان صحاب أبوها .. على أعتبار إشهار الخطوبة

سيد : تمام

يوسف وهو يتابع قائلاً : الكاميرا دي لازم تسجل كل اللي هيحصل لحظة بلحظة ، كل اللي هييجي الخطوبة دي لازم يتصور .. بإعتبار إنها حفلة خطوبة محدش هيمانع أو يشك

_تفهم سيد مقصدهُ ، فضيق عينيه وهو يبادر مستنتجاً

سيد : عايز توصل للأتنين التانين ، واللي هما أصحاب أبوها

يوسف وهو يومئ رأسه مؤكداً : بالظبط ، عايز أوصل للأتنين التانين قبل إي حاجة

سيد وقد أبدا إعجابهُ بتفكير يوسف : دماغك دي مشكلة ياباشا واللّه

يوسف : الأيام بتجري وانا مبقتش مستحمل أكتر من كده ، كنت فاكر إن الوقت هيعدي عليا وأهدى .. لكن أكتشفت إني كل يوم بيعدي بيزود النار جوايا ، ومينفعش أصبر أكتر من كده

سيد وهو يحك طرف ذقنهُ بتفكير : طب مش هتكون مكشوفة يعني ياباشا عشان الإستعجال ده؟

يوسف وقد أصدر قهقهه ساخرة : دول مدلوقين عليا وكأني كنز علي بابا وأتفتح قدامهم

سيد وهو يهز رأسهُ آسفاً : صحيح ملعون أبو الفقر

_نظر يوسف أمامه بنقطة ما بالفراغ ، وراح يُدبر للخطة الجديدة والتالية ، فقد سقط حمودة في فخهُ وقد حدث ما حدث..

....

_وقف " غيد " بسيارتهُ أسفل البناية التي تقطن بها طليقتهُ وولده ، منتظراً هبوط نجم الدين إليه حتى يصطحبه معه في رحلته..

كان ينظر لساعة يده ثم ينتقل ببصره نحو مدخل البناية ليتفقد هل هبط أم لا!

تكررت فعلتهُ أكثر من مرة .. حتى صادفت بأحد المرات أن وقع بصره عليه ، فأبتسم بسعادة وترجل عن سيارتهُ ليتجه نحوه .. فوجد حارس البناية يحمل حقيبة سفر الصغير ويمدها له وهو يقول

الحارس : أتفضل يافندم، شنطة الولد

غيد وهو يلتقط الحقيبة عنه : شكراً

_أستقبله نجم الدين إستقبالاً قوياً وهو يُشدد على ذراعيه لإحتضان أبيه..

ثم تحركا سوياً وهما يتبادلان السلام والسؤال عن الحال ، قام غيد بوضع الحقيبة في مؤخرة السيارة وأطمئن على أستقرار نجم الدين في مقعده الأمامي ثم قام بالإنتقال نحو المقعد الأخر .. رفع غيد رأسه لينظر للأعلى فوجد " ريهام " تنظر إليهم عن طريق الشُرفة .. فتجاهل وجودها وأخفض رأسهُ مرة أخرى ، دقق غيد النظر أمامهُ جيداً حتى لمح ظلاً يختبئ وراء هذه الأسوار أعلى الرصيف .. فذم على شفتيه بقوة ثم أخرج هاتفهُ من جيب معطفه ، حيث وضعه على أذنه منتظراً الرد من الطرف الأخر و.....

غيد : أيوة ، شايف المدام اللي واقفة في البلكونة الدور التاني ، هي دي اللي هتراقبها .. خطواتها وأنفاسها توصلي ، واللي أتفقنا عليه

هتاخده ، ولو جيبتلي اللي عاوزهُ أنا هغرقك فلوس .. أتفقنا

_أغلق غيد هاتفهُ ، ثم أستقل السيارة وتحرك بها سريعاً للإبتعاد عن محلّ البناية..

في حين قامت ريهام بالنظر لشاشة هاتفها الذي أصدر رنيناً صاخباً .. لتجد إتصالاً هاتفياً من " حسام " فضغطت عليه للإيجاب و........

ريهام : أيوة ياحسام ، أيوة مشي..

خلاص هستناك بعد ساعة...........

....

الفصل السادس

_علت أصوات الأغاني الشعبية في هذه الشُقة

حتى إنها آذت الجيران المحيطين..

بينما جلس " حسان " على الأرضية يُقطع أصبعاً

من نبات الحشيش ليضع منه على الفحم المشتعل

فى النرجيلة..

ثم يسحب منها أنفاساً طويلة ليزفرها على مهل ،

أنسجم مع هذه الأغاني التي تحمل إيحاءات

جنسية بذيئة وأخذ يُرددها خلف مُغنيها ، فلمح

إبنة زوجته وهي تدلف خارج حجرتها الصغيرة

لتنتقل نحو المطبخ..

فتابعها بعينيه الجائعتين وراح يلحق بها ، وقف على أعتاب المطبخ يتأمل منحنيات جسدها الصغير الذي بدأ يتغير فسيولوچياً بفعل سن المراهقة الذي هي على حافتهُ..

مسح بلسانه على شفتيه وقد شعر بالرغبة الشديدة فيها ،

وأرتفعت حرارة جسدهُ إرتفاعاً مُخيفاً..

فتقدم نحوها وهو يقول

حسان : بتعملي إيه يابت ؟

_أنتفضت الطفلة " هنا " في مكانها وألتفتت تنظر إليه بنظرات مذعورة .. ثم ضمت ذراعيها لصدرها وكأنها تحمي حالها وحاولت تجميع بعض الكلمات المنثورة وهي تقول

هنا : آآ... انا آ....

حسان وهو يقترب منها ليطبق على ذراعها قائلاً : تعالي أقولك على حاجة

هنا وهي تجذب ذراعها منه بتشنج : لا لا ، سيبني

حسان وهو يجذبها لخارج المطبخ : يابت متخافيش ، هقولك على حاجة

_هزت الصغيرة رأسها بعنف وقد تندى جبينها بالعرق المُفرط .. ثم قالت بصوت مرتجف

هنا : لأ قولي من بعيد

_أستمع في هذه اللحظة لصوت طرقات على باب الشُقة فتأفف بصوت مسموع وترك ذراع الصغيرة .. بينما ركضت هنا من أمامه لتدخل حجرتها مرة أخرى ،

وتوجه هو نحو الباب ليفتحهُ.. فوجد الطفلة " ملك " أمامه ، تفحصها جيداً وهو يقول

حسان : عايزة إيه يابت؟

ملك : بابا بيقولك أنزله على القهوة عشان عايزك

حسان وقد تلوت شفتيه بضجر : مش عارف هما عملو التليفونات ليه طالما كل شوية يبعتك ليا ! هيفضل طول عمره إيحه (بخيل(

_صمتت الطفلة وهي تنظر إليه ببراءة شديدة ، فأنحنى هو بجسده عليها وهو يقول

حسان : انتي عندك كام سنة ياحلوة؟

_شعرت الطفلة برجفة سرت في جسدها من أقترابه الشديد منها ، وأشتمت رائحة دخان مقززة تصدر من فمه أثناء الحديث .. فأبتلعت ريقها بتخوف وهي تبتعد خطوتين للوراء ، ثم نطقت ب.....

ملك : ١٢ سنة

_تحركت ملك سريعاً وهي تهتف

ملك : انا هروح عشان ماما مش تزعقلي

_أعتدل حسان في وقفته ثم دخل وصفق الباب من خلفهُ ، بحث عن قميصهُ ليرتديه ثم أغلق مُشغل الأغاني..

وفي اللحظة التي كان يُغلق فيها أزرار قميصهُ أنفتح باب الشُقة لتلج منه زوجته " سلوى " وهي تحمل أكياس عديدة من الخضراوات..

جلست على المقعد وهي تمسح جبينها بإرهاق ثم قالت بلهجة ساخطة

سلوى : منزلتش شغلك ليه ياحسان ، ولا فاكر إني هفضل أصرف على البيت طول ماأنت قاعد كده!

حسان وقد تقلصت ملامحه بتجهم : مش لازم البوقين بتوع كل يوم دول

سلوى وهي تلوح بيدها في الهواء ، وقد فاض بها الكيل: إحنا أتفقنا قبل الجواز إني هصرف على عيالي بس وانت مش ملزوم بيهم عشان مش عيالك ، لكن مصاريف البيت ومصاريف أبنك أجيبهم منين .. مش كفاية بقيت خدامة في البيوت!

حسان وهو يبتسم بسخرية من زاوية فمهُ : كل النسوان بتشتغل ياختي ، ولا فاكرة نفسك البرنسيسة .. مش كفاية متجوزك وانتي جرة وراكي عيلين!

سلوى بصوت مرتفع : انا مغصبتكش ياخويا ، طلقني وانا أخد العيال وأسيبهالك مخضرة ، ميهمنيش

_تحرك حسان ليلتقط علبة سجائرهُ والهاتف الصغير خاصتهُ ثم تركها وهو يغمغم بصوت مسموع

حسان : أنا اللي سيبهالك ، كتكم القرف نسوان غمّ

_توجه حسان نحو المقهى الشعبي الذي يجلس فيه دائماً بصحبة " حمودة ، رضا " بحث عنهم

بعينيه فوجدهم يجلسون بأحد الزوايا يتبادلون الحديث المستتر وكأن هناك أمراً ما..

فقطب جبينه بتعجب وهو يقترب ثم هتف

حسان : خير ياحمودة على الصبح ، باعتلي بنتك ليه؟

حمودة وهو يرمقه بنظرات شزره : أقعد عشان عايزينك في موضوع

_سحب حسان المقعد الخشبي ثم جلس فوقه منتظراً حديثه .. بينما قام حمودة بفتح الصحيفة المطوية ليضعها نصب عينيه وهتف بصوت حازم

حمودة : أقرا الخبر ده كده؟

حسان وهو يدفع الصحيفة بعيداً عن عينيه:
جايبني من بيتي عشان أبص في الجرنان! ، من أمتي ياجدع وانا بقرا جرايد ولا حتى بشوف نشرة الأخبار!

رضا وقد ظهر عليه الضجر : ما تشوف الكلام المكتوب ياحسان وانت تفهم العبارة

_تنهد حسان بحنق ثم ألتقط الصحيفة لينظر بالصفحة الأولى بها ، فوجد عنوان رئيسي بالخط العريض وصورتين كبيرتين لطفلة لم تتعدى الثالثة عشر من عمرها .. قبل وبعد الإغتصاب..

رمش حسان بنظرهُ عدة مرات وهو يحاول عدم إظهار إرتباكهُ الملحوظ .. ثم أبعد الصحيفة عنه وهو يقول

حسان : وانا مالي بالكلام ده!

حمودة وهو يتفرس النظر لوجهه الذي شحب سريعاً : انت اللي عملت كده في البت ؟

حسان وهو يهز رأسه بتشنج : انا ؟ لأ طبعاً مش انا آآ....

رضا وهو يضرب بكفهُ على الطاولة وقد سيطر الغضب على نبرة صوته : لأ أنت ، اليوم ده المكروباص فضل معاك طول النهار .. والمكان

اللي لقوا فيه العيلة الصغيرة هو نفسه المكان اللي أغتصبنا فيه البت إياها

حمودة وهو يشدد قبضته ساعد رضا لكي يلتزم الصمت : يخرب بيتك يارضا ، هتفضحنا يابن ال

****

رضا وقد أحمرت عينيه وأصبحت ملامحهُ أكثر حدة : ما نتفضح ولا نروح في داهية ، يمكن الواحد ضميرهُ يرتاح ياأخي .. أنا مش بنام الليل من ساعة اللي حصل والندم هيموتني ، انا مش عارف أنام مع مراتي من ساعتها ياجدع

حسان بلهجة مُستهزئة : ولما مسكت الآلافات في أيدك ضميرك كان مرتاح ؟ اللي حصل حصل وخلصنا

حمودة : مش معنى إن الحكاية عدت إنك تاخدها هواية ياحسان، ال**** دي متنفعش والبت لقوها ميتة .. إحنا عندنا ولايا برضو

رضا وقد تحولت نبرتهُ للتهديد الصريح : وربنا المعبود لو عملت ال**** دي تاني لأكون طالع على القسم ومبلغ فيك وفينا وههد المعبد على الكل .. انا ميرضينيش بت من بناتي يجرا فيها كده ، وربنا هيخلص حق البنات دي من عيالنا وستاتنا

_نظر حمودة لصورة الطفلة على الصحيفة فأجفل بصره عنها وقد أصابته القشعريرة من

مشهدها المؤلم .. ثم حدجهُ بنظرات مُشمئزة ونطق بلهجة مُحتقرة

حمودة : أسمع يابن الناس ، من هنا وطالع ملكش علاقة بينا ، ولا نعرفك ولا تعرفنا .. إحنا مش ناقصين شُبهة

رضا وهو ينهض عن مقعده : بالظبط كده ، انا مفيش بيني وبينك غير المكروباص ، انت هتستلمه بالليل وانا هاخده بالنهار .. واللي يشتغل ياخد فلوسورديتهُ وخلصت ، لحد ما تُفرج وأشوفلي حد تاني أشاركهُ في عربية

_نهض حمودة أيضاً وأشار لرضا وهو يتابع

حمودة : يلا بينا يارضا

_تركوهُ وحده وأنصرفا سوياً .. في حين جلس هو غير عابئاً بما حدث ، حيث ظن إنها مجرد مُشادة كلامية عادية وبمرور الوقت سيعود كل شئ كما كان..

قام هو بإلقاء الصحيفة أرضاً ثم هتف بصوت مرتفع

حسان : هاتلي شيشة وشاي في الخمسينة يابني

_سار حمودة بصحبة رضا متوجهين نحو موقف العربات والسيارات .. وأثناء الطريق ، تفاجأ حمودة

برنين هاتفه ليظهر أسم يوسف عليه .. فأنفرجت أساريرهُ وضغط عليه للرد سريعاً و...

حمودة : ألو ، نحمد ربنا .. انت عامل إيه يابني ؟

_تغيرت ملامحهُ للذهول وهو يردد من خلفه

حمودة : أخر الأسبوع ! أوام كدة ؟ لالا اللي يريحك إحنا مفيش عندنا مشكلة .. خلاص هستناك عشان نقرا الفاتحة ونتفق ، طيب خلاص .. سلام

_أغلق حمودة هاتفه وقد تحولت حالته المزاجية بدرجة كبيرة للسعادة ، لاحظ عليه رضا ذلك فتسائل بلهجة مستنتجة

رضا : البت جالها عريس ولا إيه؟

حمودة وقد أنتبه لوجود رضا بجواره : هه ! مش بظبط يعني .. لسه مجرد كلام و....

رضا وقد أستشف رغبة حمودة في التورية على الموضوع : متخافش ياحمودة عيني مش وحشة ، ربنا يتمملها بخير

حمودة وقد أصابه شعور بالحرج : مش القصد ياخويا ، وبعدين انت لازم تحضر القعدة وتكبرني

رضا وهو يضرب على كتفه بخفة : اه طبعاً ،

قولي يوميها وانا هاجي

حمودة : على خيرة اللّه

....

_جلس يوسف أمام الحاسوب الشخصي الخاص به .. كان يتصفح أحد المواقع الإلكترونية الشهيرة متابعاً لسير بعض الأعمال الخاصة به .. بينما كانت رزان تجلس على مقربة منه تتابع شاشة التلفاز..

شعرت بالملل من تكرار الأفلام السينمائية والمسلسلات .. فتأففت بضيق وأمسكت بجهاز التحكم وراحت تبحث عن قناة أخرى .. لفت

إنتباهها قناة إخبارية تُذيع خبر إغتصاب طفلة حتى الموت ، فأنتبهت كل حواسها وأعتدلت في جلستها لتتابع هذا الخبر المؤلم .. كانت صور الطفلة تأتي من الحين والآخر على الشاشة فتصيبها بالتألم الشديد..

أغرورقت عيناها بالدموع وأصطبغ وجهها بالحُمرة القاتمة..

وما جعل النيران تشتعل أكثر في صدرها هو حديث والدة الطفلة وهي تبكي بُكاءً شديداً تفطر له القلوب..

أخذت تدعو اللّه وتتخذهُ وكيلاً بصوت صادر من بين طيات نفسها الموجوعة و....

الأم : حسبي اللّه ونعم الوكيل ، حسبي اللّه ونعم الوكيل .. ربنا ينتقم من اللي في بنتي كده ، حتة عيلة صغيرة زي دي ليه يتعمل فيها كده ! ليه أتشالت من قلوبهم الرحمة..

مصعبتش عليه وهي بتصرخ وتعيط ، أنا مش هسامح اللي عمل كده لحد ماأموت .. أنا عايزة حق بنتي ، بنتي اللي ماتت أبشع موتة وهي لسه ياحببتي مشافتش الدنيا ولا عاشت فيها ، يارب ماليش غيرك يارب يجيبلي حق بنتي ، انت المنتقم الجبار يارب

_علت شهقات " رزان " ولم تستطع كبحها .. فأنتبه لها يوسف أخيراً وراح ينظر لشاشة التلفاز

.. فوجد هذه الحادثة التي قام هو بأكتشافها ، أبتلع ريقه وأرتفعت نسبة الأدرينالين في جسده..

نهض عن مكانه سريعاً وقام بإغلاق التلفاز ، بينما كانت رزان ترتجف بقوة وتسيل الدموع من بين جفنيها كَمجرى النهر .. فتحرك حيالها سريعاً وهو يهتف بصوت خفيض

يوسف : رزان ، أهدي أرجوكي

رزان وقد صدر عنها صوتها بشكل متقطع : أكيد هما الحيوانات اللي عملو فيا كده ، أغتصبوها وقتلوها آآ....

_وكأن حجراً ثقيلاً أخذ محلهُ فوق صدرها ، شعرت بثقل الكلمات وكأنها تأبى الخروج من فمها .. زادت شهقاتها وهي تحاول التنفس ولكنها أستصعبت الأمر..

جثى يوسف أمامها وقد ظهر وميضاً في عينيه ينُم عن حزنه لأجلها .. لم يفلح في تهدئة ثورتها أو أخمادها .. بل إنها كانت تزيد أكثر ، دفنت رأسها بين راحتيها وهي ثُرثي حالها فلم يستطع يوسف تحمل رؤيتها هكذا أكثر من ذلك .. جاورها في جلستها ثم مسح على ظهرها برفق .. جذبها لتستكين بين أحضانه ، وكأنه الخدر لم تكف عن البكاء ، بل وأصبح صوتها كالنشيج أيضاً .. كان يمسح على وجهها برفق

لينزح هذه الدموع التي كانت تُلامس صدره فتزيد من نيرانهُ المتقدة .. هذه المشاهد المُخزية ظلت تمر أمام عينيها كشريط مستمر ، أطبقت على جفنيها لتمنع رؤية هذه المشاهد ولكنها لم تفارقها..

ولكن مع أصابعه التي تخللت شعرها ، ومسحة يده السحرية على وجهها .. بدأت تأخذ طريقها للهدوء..

بل إنها أوشكت على النعاس ، فقد أستهلكت طاقتها في التحمل وأصبح مخزونها صفري..

فتركها لتنغمس بالنوم بين ذراعيه ، بينما كانت تلك هي أقصى أمانيه ، أن تغفو فوق صدرهُ مُحتمية بذراعهُ..

فأختلطت حرارة أجسادهم معاً وقد رافقها هو أيضاً للنوم.

....

_كان هذا الليل خاصً بالنسبة له..

هذه الليلة سيتعرف على الشركاء في الجريمة التي حدثت لزوجته ، ليبدأ إنتقامهُ الفعلي منهم ..

جلس وسط والد " فجر " وأقاربها من الأعمام والعمات والأخوال والخالات .. أفصح عن نيته بتولي كافة الأشياء في هذه الزيجة ، ورغبته في إتمامها بأسرع وقت ليتمكن من السفر .. فكانت الموافقة عامة على الجميع ،

حضرت فجر وهي ترتدي أجمل ثيابها ، والتي

كانت قد أحتفظت به خصيصاً لمقابلة

المُتقدمين لخطبتها .. كما أرتدت حجابها

وتزينت ببعض اللمسات التجميلية .. وخرجت

إليهم بطلّتها الجميلة..

لم يرغب يوسف في النظر حتى إليها .. فهو يشعر

بأن مجرد النظرة بمثابة خيانة لزوجته الحبيبة

" رزان"

فظل محتفظاً بثبات حركة عينيه ، إلى أن

تحدثت هي .. حيث راودها الفضول حيال كيفية

سفرها معه و....

فجر : كنت عايزة أسأل على حاجة؟

محمود وهو يؤيدها حتى تخرج عن صمتها : وماله ياعروسة أتفضلي

فجر : أزاي هسافر من غير جواز سفر!

_لم تغب هذه النقرة عن يوسف ، بل إنه أعد إجابة مستوفية من أجل إستخدامها في الوقت المناسب .. حيث رفع بصره إليها لأول مرة منذ بداية الجلسة ونطق بصوت واثق

يوسف : ومين قال هتسافري من غير باسبور ؟ بمجرد ما يتكتب الكتاب هتبدأ إجراءات إضافتك على البسبور بتاعي ، لأنك هتكوني

مراتي .. ومن هنا لحد ما الورق والباسبورات تخلص هتكوني معايا

فجر وهي تعض على شفتيها بحرج : طب أنا نفسي ف....

_توقفت عن الحديث وهي تفكر في توابع حديثها ، في حين كان والدها خاشياً من تصرفاتها الحمقاء التي ستفسد الزيجة .. فتنحنح قبل أن يقول

حمودة : مش وقته يافجر ، نبقى نتكلم بعدين يابنتي

يوسف وهو يرفع كفه : سيبها ياعم حمودة ،

نفسك في إيه ياآنسة؟

فجر : عايزة فرح كبير هنا ، يعني في المنطقة

يوسف وهو يهز رأسه بالموافقة : بتوع الفراشة

هييجوا يوم الفرح ويعملولك أحلى شغل ،

والسواق بتاعي هيروح معاكي تجيبي الفستان

وكل لوازم الفرح .. عايزة حاجة تانية ؟

فجر وقد أنفرجت أساريرها : لأ

يوسف بلهجة مقتضبة : يبقى متفقين

حمودة وهو يرفع كفيه للهواء : نقرا الفاتحة

_رفع الجميع كفوفهم في الهواء لقراءة الفاتحة ، بينما كانت أمينة ترقع الزغاريد العالية ولحقها عمات العروس .. نظر يوسف حيال " سيد " ، فنهض الأخير لكي عقب أن تفهم المغزى من هذه النظرة .. وأخرج الكاميرا من حقيبتها وهو يقول

سيد : ناخد صورة عائلية بقى عشان الذكرى

_بدأ سيد في إلتقاط العديد من الصور الفوتوغرافية بإحتراف .. من كل الزوايا والإتجاهات ، في هذه اللحظة حضر " رضا " وعبر الباب المفتوح وعلى وجهه إبتسامة عريضة و....

رضا : سلامو عليكو

حمودة وهو يشير إليه ليدخل : تعالى يارضا ، فاتتك الفاتحة

رضا : الف الف مبروك ، عقبال الليلة الكبيرة

_بدأ بتحية الجميع بالتتالي ، حتى صادف يوسف في طريقهُ .. نهض يوسف لتحيتهُ وقد شعر بشئ غريب تجاهه ، فأراد التأكد من هذا الشعور .. حيث أدعى إنه يقوم بالتشبيه عليه ، ثم نطق متسائلاً

يوسف : إحنا شوفنا بعض قبل كده!

رضا وهو يحك جبهته بتفكير : ميتهيأليش ، إلا لو أنت بتركب مكروباصات

يوسف وقد أرتفع حاجبيه تلقائياً : بجد ! يعني حضرتك سواق مكروباص

رضا وهو يهز رأسه بالإيجاب : أيوة

يوسف وهو يرسم إبتسامة مزيفة على وجهه : يبقى أكيد هنتقابل تاني وهيبقى لينا شغل مع بعض

رضا وهو يضرب صدرهُ بترحيب : يشرفني طبعاً

حمودة وهو يشير إليهم للجلوس : أقعدو طيب ياجماعة

_جلس يوسف بمكانه ، بينما تحرك رضا ليجلس بالقرب من حمودة .. فتبعهُ سيد بعين الكاميرا ليلتقط له العديد من الصور..

كانت فجر عالقة ببصرها على يوسف ، أحست في شخصيته ببعض الغموض .. وكأن سراً دفيناً يكمن بداخله ، لا تستطيع إنكار هذه الفرحة التي طغت عليها كأي فتاة عروس..

هو فارس الأحلام لأي فتاة في عمرها .. كشكل وهيئة وحالة مادية وإجتماعية ، كادت تحسد نفسها عندما تخيلت حياتها معهُ .. حتماً ستكون حياة خالية من الهموم والمشاكل ، يكفي إنها لن تحمل عبئ الغد ، ولن تنظر في حافظة نقودها لترى هل معها ما يكفي لقوت يومها أم لا..

نعم هي تُفكر أولاً تفكيراً مادياً ، ولكن ذلك عائداً للحياة الصعبة التي تواجهها .. والأيام القاحلة التي عايشتها ،

أنصرفت بتفكيرها عن كل ذلك ، وراحت تلتفت برأسها لتنظر إليه مرة أخرى .. لتجده هو الآخر ينظر إليها بنظرات غريبة ، تحمل مغزى معين لا تفهمهُ..

ضيقت عينيها بعدم فهم و..........................

الفصل السابع عشر

_تحرك " غيد " خارج حجرته بالفندق السياحي..

حيث أصدر هاتفه رنيناً مُزعجاً ليعلن عن أتصال من هذا الرجل المأجور الذي دفع له الأجر مقابل مراقبة زوجته مراقبة دقيقة..

ضغط على الهاتف عقب أن أبتعد عن الحجرة بقدرٍ كافياً حتى لا يستمع ولده إلى الحديث و.....

غيد : أيوة ، طمني عملت إيه

-كله تمام ياباشا ، أنا جيبتلك صور متخطرش على بالك ، أصل الهانم واخدة راحتها على الأخر بعد ما حضرتك سافرت

غيد وهو يحك عنقهُ وقد أصابهُ إختناق شديد : كويس ، أطبع الصور دي وخليها معاك لحد ما أنزل مصر

-تقريباً فاضل أد إيه قدام سعاتك؟

غيد وهو ينظر لساعة يده : لسه شوية ، أنا هقفل عشان عندي meeting مهم بعد نص ساعة .. سلام

-سلام

_لا يعلم ماهية هذا الشعور الذي داهمهُ فجأة..

هو يشعر بالذنب حيالها ، فكانت فعلتهُ مُشينة مقارنةً بأخلاقه الراقية..

ولكنها لم تترك له مجالاً آخر ، أو يترك ولده لينهار ويسقط من حافة الهاوية .. فلن يسمح بأن يدفع هذا الصغير ثمن إفتراقهم ، عليه إعادة ضبط الأمور وإن كان ذلك بالخديعة..

حك غيد مؤخرة رأسه وتحرك ليعود إلى غرفته ..

فوجد نجم الدين قد أنتهى للتو من إرتداء ملابسه ، أقترب منه وعلى محياه إبتسامة عذبة ثم نطق ب.....

غيد : خلصت لبس يانجم ؟

نجم الدين وهو يشير إلى المعطف الصغير الخاص به : هلبس الچاكت بس يابابا

غيد وهو ينظر لساعته مرة أخرى : طيب يلا عشان فاضل تلت ساعة

_صمت لحظات ، ثم جلس على حافة المقعد المُبطن وهو يكلفه ببعض الأمور التي يجب أن

يحافظ عليها أمام الضيوف الذين سيتعامل معهم

و...

غيد : عايزك تكون مهذب مع الضيوف اللي

هنقابلهم يانجم ، ومتكلمش عن حاجة

متخصكش ، رد كويس وأبتسم وأنت بتسلم

عليهم

نجم وهو يومئ رأسه بموافقة : حاضر ، بعد ما

نخلص هنتفسح بالعربية يابابا؟

غيد وهو يغمز إليه بنصف عين : ده أنا هفسحك

فسحة ، ملهاش مثيل

نجم وهو يتحرك بحماسة شديدة : طب يلا

بسرعة عشان نخلص بدري ونلحق نتفسح

غيد وقد أحب حماسته وفرحته تلك : حاضر ، بس طنط شذى تخلص و....

_لم يستكمل حديثه ، حيث قاطعه صوت قرعات خافتة على باب الغرفة وتلاها صوت شذى وهي تقول

شذى : مستر غيد ، أنا جاهزة

غيد وهو ينهض عن مكانه : يلا يانجم

_فتح لها الباب ، حيث سبقه نجم الدين ووقف يستقبلها و.....

نچم : أزيك ياشذى

شذى وهي تنحني عليه لتُقبل جبهته : الحمد للّه ياكابتن نچم ، درس ال swimming اللي أديتهولي أمبارح كان مفيد جداً

نچم وقد أنفرجت أساريرهُ عقب إطرائها الغير مباشر : بجد! أنا مبسوط عشان عجبك

شذى وهي تمسح على رأسه بحنو : قولي الدرس الجاي هيكون على إيه؟

نچم وقد أتسعت شفتيه بسعادة : هنلعب كورة ، وهعلمك تجيبي أجوان

_قهقه غيد عقب أن أستمع للهجة ولده الواثق في حاله ، ثم ربت على ظهرهُ بدفء أبوى وهو يتطلع

لهذا الإنسجام العجيب بينهم .. فليست عادة ولده أن يعتاد على وجود أحداً بهذه السرعة ولكنه حدث..

فتركهم يتبادلون الحديث ، ثم قاطعهم وهو يقول

غيد : مش يلا بقى عشان منتأخرش على الناس!

نجم وهو يهز رأسه بموافقة : حاضر

_تحرك غيد عقب أن أغلق باب حجرتهُ..

وسار خلفهم بخطوات ثابتة ، حتى يتم حضور عشاء عمل يمثل لديه أهمية كُبرى وبمثابة خطوة كبيرة في تاريخ شركاتهُ.

....

_لم يتوانى " يوسف " في إظهار حُسن نيته أمامهم ..

فكان يُنفق من الأموال ببزخ .. حتى زاد طمع " حمودة " فيه، نفذ حديثه لها وأرسلها بصحبة السائق الخاص به لكي تنتقي ثوب زفافها وتبتاع بعض الحوائج الخاصة بمثل هذه الليلة..

لم تستطع إنكار فرحتها التي سيطرت على حالها ..

فهاهو حلمها يتحقق أمام عينيها، فقط أيام معدودة وستكون زوجة لهذا الرجل..

هي ترهب وجوده وتشعر بالحواجز المنيعة بينهم ، ولكنها أقنعت حالها بأن هذه هي سمات شخصيتهُ .. ربما يكون من اللائي يحافظوا على العادات والطقوس الشرقية، حاولت أن تذهب بعقلها بعيداً عن إية ظنون..

ويكفيها شعور الفرحة الذي رافقها في هذه الأيام.

_ولم يختلف حال والدها عنها كثيراً .. بل إنه كان أسعد منها حالاً ، حتى أخواتها الصغار، وشقيقها الأقرب إليها..

ملئت السعادة صدور الجميع..

في حين كانت عيون الحاقدين قد أتسعت عن آخرها ، فحسدها الجميع على هذا الحظ الذي عرف طريقه إليها أخيراً .. حتى صديقاتها المقربات .. كُن يحسدنها على هذه النعمة وهذا الرزق الذي سينفتح إليها..

فتعمدت هي إثارة غيظهن جميعاً مثلما كُن يفعلن معها..

وفي هذه الليلة التي تحددت لإقامة حفل الزفاف ..

أستعدت هي بكُل حماسة ، رغم التوتر الذي خالج نفسها في مثل هذه الليلة .. ولكنها

جاهدت للتغلب عليه حتى تنعم بسعادة هذه اللحظات..

أستيقظت منذ الباكر للإستعداد لهذا الحفل الكبير الذي ستشهده هذه المنطقة الشعبية التي تقطن بها..

فقد تم عمل صوان كبير، وتزيين مداخله ومخارجه بالأضواء الملونة والمبهجة .. أنتشرت الأضواء وأصطفت الطاولات المكسوة بالستان الأبيض المطرز بخيوط الذهب ومن حولها المقاعد المكسوة بنفس القماش..

بدأت الوفود تحضر للصوان .. من الجيران والأصدقاء والأقارب وتم تقديم بعض المأكولات والمشروبات لحين بدء الحفل..

وبدأت الفرقة الغنائية الكبيرة في غناء الأغاني الشعبية المناسبة لحفل زفاف .. حيث أندمج معها الجميع وبدأ البعض في الرقص على أصوات الضجيج التي أصدرتها مُكبرات الصوت..

لم يُقام حفل زفاف بمثل هذه الضخامة في المنطقة والمناطق المحيطة من قبل .. فوصل ذيع الحفل للمناطق المجاورة وتم تداول الخبر بين الجميع ، عن زواج أحدى الفقيرات إلى واحد من الأثرياء العرب .. وأنتشرت الأقاويل والأحاديث بين العامة..

_جلست فجر أمام هذه المرأة الصغيرة عقب أن أرتدت ثوبها ، وراحت تتفحص هيئتها التي

أوشكت على الإكتمال بعد مساحيق التجميل التي طغت على وجهها.. وكأنها تحلم حُلماً طويلاً وتخشى الإفاقة منهُ..

كانت الفتيات المتخصصات في تجميل العرائس يحاوطونها لإنهاء بعض التفاصيل الصغيرة حتى تكون هي على أتم الإستعداد..

وأخيراً ، تم تثبيت التاج عقب أن أرتدت الحجاب الأبيض على رأسها .. فأبتعدت أحداهن وهي تقول بإعجاب

-ماشاء اللّه بقيتي حاجة تانية

فجر وهي تُدقق النظر في ملامحها عبر هذه المرآة القديمة : اللّه ، التاج حلو أوي

-التاج بس ؟ أنتي كلك زي القمر النهاردة

_دقت عقارب الساعة لتُعلن عن التاسعة مساءً .. فرفعت بصرها لتنظر للساعة، فشعرت بالقلق لتأخيرهُ إلى هذا الحين..

ولج إليها شقيقها عقب أن طرق الباب وتأمل شكلها أولاً .. وجف قلبه بسعادة شديدة وهو يراها بطلتها البيضاء تلك .. ثم نطق ب....

محمود : بسم اللّه اللّه أكبر ، ربنا يبعد عنك العين ياأختي

فجر وهي تبتسم له بخجل : ربنا يخليك ليا يامحمود

محمود : أنا كلمت العريس وقالي جاي في السكة متقلقيش

فجر وقد شعرت ببعض الراحة : طيب ، هي فين ماما ؟

محمود وقد عبست ملامحه فجأة : قاعدة مع الستات اللي جايين يباركو ويحضروا الفرح، أنتي عارفة اما بيصدقوا يحضروا فرح

فجر بلهجة مقتضبة : وبابا!

محمود وهو يلوح بيده كتعبير عن عدم الأهتمام : تلاقيه مع صحابه الرجالة تحت ، أصل العدد كبير أوي يابت يافجر

فجر : هو أنت خليتهم يعملو الكوشة زي ماانا عايزة؟

محمود وهو يغمز لها بعينيه : كله تمام ، هتبقى ليلة ولا ألف ليلة وليلة

_تعالت أصوات الزغاريد فجأة .. فتحرك محمود ليطل برأسه خارج النافذة ، فلمح المأذون وهو يدلف لمدخل بيتهم.. أنفرجت أساريرهُ وهو يهتف بحماسة شديدة

محمود : المأذون وصل ، هروح أشوفه

فجر وهي تفرك أصابع مفها بتوتر شديد : طيب

خبيرة التجميل : وريني كده أظبطلك الطرحة قبل ما العريس يوصل

....

_وقف يوسف ليعقد رابطة عُنقه أمام المرآة..

بدا مظهره جذاباً للغاية ، كانت عينيه لا تُحيد عن الإطار الخشبي الذي يحمل صورتهم معاً..

أطبق جفنيه بقوة وهو يراجع هذا القرار الخطير في عقله ، وتنهد بثقل كَالذي يحمل على عاتقهُ جبلاً ثقيلاً..

نظر لساعة يده وهو يحكم أغلاقها على معصمهُ

ثم ألتقط سُترته ليرتديها..

في هذه اللحظة ، خطت رزان لداخل الحجرة

لتتفقد سبب غيابه كل هذا الوقت .. فتفاجئت

بأناقته الشديدة ومظهره الذي جذب ناظريها إليه

،

فقطبت جبينها وهي تتسائل

رزان : أنت رايح فرح ولا إيه ؟

يوسف............:

_تصلبت قدميه وهو يراقبها بعينيه ، تأمل كل ذرة في ملامحها ، شفاها المتوردة وعيناها اللوزتين ..

شعرها القصير المتمرد والذي وقف طوله عند كتفها..

أشتاق لرائحة شعرها ، فدنا منها بصورة خاطفة ليضمها بين أحضانهُ..

دفن أنفهُ في خصلات شعرها وراح يُطلق تنهيدات حارة لامست عنقها وأذنها .. فأقشعر جسدها على الفور ،

أرادت أن تتخلص من قُربه الشديد ، ولكن قلبها رفض وبشدة .. فوجدت حالها تُشدد قبضتها عليه

لتلتصق بصدرهُ أكثر ، مما جعل شوقه لها ليس بعادي..

وكأن الزمن توقف عندهم ، ولم يشعرا بالوقت وهو يركض حولهم كًالبرق .. فقط ينعمان بلحظات قُرب ذات مذاق مختلف.

....

_توترت الأوضاع ، وأصبحا في موقف لا يُحسد عليه..

فقد تعدت الساعة العاشرة والنصف ولم يظهر له إي أثر..

لم يُسعفهُ حدسهُ لتوقع ما حدث ، ولآخر لحظة كان يبتدع حمودة الأعذار أمام الحاضرين

والمدعوين .. حتى إنه كذب عليهم بشأن تعطل

المرور ووجود حادث على الطريق ،

أما هي .. فقد تعدى شعورها مرحلة القلق ،

وأنتقلت لمرحلة الذعر والخوف..

ماذا سيحدث إن لم يأتي ؟ ماذا بشأن الحاضرين

والمدعوين .. وحفل الزفاف ؟ وكيف ستواجه

العامة إذا تحققت هذه الفضيحة ولم يأتي..

أخذت تتحرك في الغرفة ذهاباً وإياباً ، وعيناها

عالقة على هذه الساعة المُعلقة على الحائط..

حتى أصابها الضجر من صعوبة الحركة بسبب

فستانها ، فجلست أخيراً على طرف الفراش وهي

تحاول التفكير بعيداً عن الضغوط التي

تراكمت على رأسها..

فدلف إليها شقيقها وعلى وجهه العبوس الشديد ، فنطق متذمراً

محمود : خطيبك ده مش بيحترم مواعيده خالص ، الساعة داخلة على ١١ والبيه لسه مشرفش .. والمأذون عايز يمشي وأنا صبرته بكلمتين

فجر وهي تبتلع ريقها بتوجس : مش فاهمة في إيه ! إزاي أتأخر كده ؟

_أستمعت لصوت هاتفها الصغير وهو يصدر رنيناً خافتاً ، فتحركت سريعاً لتلتقطه عن الكومود..

فوجدت رقم " يوسف " يتصل عليها ، حدقت عيناها بذهول ، فهذه هي المرة الأولى التي يحاول فيها الإتصال بها منذ أن أحتفظ برقم هاتفها..

لم تتردد في الرد السريع عليه و......

فجر : ألو

_أصغت إليه بتركيز ، وعلى حين غُرة .. حدقت عيناها وأتسعت على آخرها وأنفرجت شفتاها بعدم تصديق وكأنها تلقت صفعة قوية أطاحت بعقلها بعيداً .. ونبضات قلبها الغير منتظمة أخذت تتصارع وهي تردد من خلفه..



فجر : يعني إيه!

يوسف بلهجة حازمة لا تقبل النقاش : يعني مش جاي ، مفيش جواز .. مفيش فرح ، مفيش أي حاجة..........

....

الفصل الثامن عشر

_أغلق يوسف الهاتف فجأة دون إنتظار إي ردود فعل منها ، ثم ألقى هاتفه بقوة على سطح المكتب وألتفت لينظر لشقيقهُ نظرات ساخطة .. نطق بلهجة مُحتدة وقد قست ملامحه

يوسف : كده أستريحت ؟

غيد وهو ينهض عن المقعد المقابل للمكتب وعلى ملامحه تعابير جادة : أيوة أستريحت وريحتك أنت كمان .. أنت كنت هترتكب جريمة في حق نفسك وحق مراتك، وكنت هتاخد في رجليك واحدة ملهاش ذنب غير إنها عايزة تخرج من فقرها

_تحرك يوسف بتشنج وأطاح ببعض الأدوات الهندسية المسنودة على سطح المكتب .. ثم صاح بصوت مُشبع بالغضب

يوسف : إيه اللي دخلك في الموضوع ياغيد ، إيه اللي جابك من السفر أصلاً .. ده موضوعي وأنا هحلهُ بطريقتي

غيد وقد خرج عن هدوءه ليهتف بإنفعال : أنت متهور وهتضيع نفسك ، مكنش ينفع أعرف وأسيبك تهبب الدنيا .. قولتلك ملهاش ذنب يابني أدم

يوسف وهو يكز على أسنانه بغيظ : أنا مش عايزها هي ، أنا عايز أكسر أبوها قبل ما أقتله

غيد وقد أرتفع حاجبيه بذهول : تقتله! ؟

يوسف بلهجة متوعدة خرجت من أعماقه المجروحة : وحيات أمي لأقتله ، هو والأتنين اللي معاه

_سحب غيد شهيقاً عميقاً زفرهُ على مهلٍ ثم تابع بعقلانية مجاهداً لحل الموقف دون أذية أخيه

غيد : القانون موجود يايوسف ، خلينا نقدمهم للمحاكمة والقضاء هيقول كلمته

يوسف وهو يبتعد عن محل أخيه : أبداً ، أنا اللي هاخد حقي منهم واحد واحد ، هشفي غليلي

بأيدي وهوريهم العذاب ، الوجع اللي مراتي عاشته مش هيعدي بالساهل

_ألتفت مرة أخرى له وهو يهتف بنبرة مُتعندة

يوسف : متخلينيش أخسرك ياغيد ، أبعد عني وسيبني أعمل اللي في دماغي لأني هعمله ولو كل الدنيا وقفت في وشي .. فبلاش أعملهُ وأحنا زعلانين مع بعض ، وكفاية أوي اللي أنت عملته النهاردة وبوظتلي كل اللي بدأته

((عودة بالوقت للسابق))

_وكأنه أرتشف من خمر دفئها .. لم يستطع الإبتعاد عنها عقب أن شددت ذراعيها عليه ، بل الأحرى إنه حبذ وجودها بالقرب منه لهذه الدرجة..

ولكن لم يدوم هناؤه كثيراً ، حيث قطع لحظته الحميمية صوت رنين الجرس.. فسرعان ما عبس بملامحهُ وهي تبتعد عنه ، حيث أجفلت بصرها بإستحياء منه ثم نطقت بخفوت

رزان : روح أفتح الباب

يوسف وهو يتحرك بخطوات متعجلة

:متتحركيش من هنا أنا راجع تاني

رزان وهي تومئ رأسها بالإيجاب : حاضر

_أتجه يوسف للخارج ومنه نحو باب الشُقة ، حيث فتحه على عجالة ليتفاجئ بوجود " غيد " رمشت عينيه عدة مرات وهو يحاول التفكير سريعاً في حل لتلك المُعضلة .. فوجود أخيه بهذا الوقت بالأخص سيُفسد عليه ما ينتوي فعله ،ولكنه تفاجئ به وهو ينطق بجمود شديد

غيد : عطلتلك ولا إيه ياعريس ؟

يوسف وقد حدقت عينيه بصدمة شديدة عقب أن علم بإفتضاح أمرهُ : هه!

غيد وهو يتفحصهُ بعينيه حتى أخمص قدميهُ : شكلي جيت في وقت مش مناسب، بس ملحوقة ..

خلص لبسك ويلا نروح فرحك ياعريس ، بالمرة أشهد على عقد جوازك التاني

يوسف وهو يشير له بإنفعال ليخفض من صوته :
بس ياغيد ، إيه اللي بتقوله ده ! رزان جوه

_أبعدهُ غيد عن طريقه ليعبر عتبة الباب ، ثم أستدار وهو ينطق بلهجة أقرب للأمر

غيد : أقفل الباب وتعالى نتكلم في المكتب ، رزان هتسمعنا وبدل ما كنت هتتجوز هطلق

_أغلق الباب على مضض ، بينما أستبقهُ غيد بخطواته نحو حجرة المكتب .. فتتبع " يوسف " أثرهُ حتى تواجدا بمفردهم داخل حجرة المكتب، كاد يوسف أن يبدأ بالحديث لولا أن بادر غيد بذلك .. فقد تبدلت ملامحه التي كانت محتفظة بالهدوء منذ قليل لملامح حادة وهو يتابع

غيد : إيه اللي بتهببه ده ! عايز تتجوز؟ ومن مين ! بنت الراجل اللي أغتصب مراتك؟ أنا مش قادر أصدق إن تفكيرك وصلك لكده!

_أنتقل يوسف سريعاً ليغلق باب الحجرة بإحكام قبل أن يصل صدى صوتهم لزوجته .. ثم أستدار ليواجهه وهو يهتف غير مصدقاً

يوسف : وطي صوتك ياغيد ، أنت عرفت إزاي بحاجة زي دي؟

غيد وقد تلوت شفتيه بإستنكار : هو ده اللي يهمك!

ملكش دعوة المهم إني عرفت عشان ألحق الكارثة قبل ما تحصل

يوسف وهو مازال متمسكاً بتعند رأيه : أنا بعمل اللي شايفهُ صح ، متدخلش أنت

غيد وهو يتقدم ليقف أمامه مباشرةً : لأ ده مش صح ، البت ملهاش ذنب عشان ناخدها في سكتنا وإحنا بنرجع حق رزان .. مهما كان هي برضو بنت

يوسف وقد أشتعلت نظراته وتأجج داخله وهو يُذكر أخيه بما وقع لزوجته من مصاب : وأنا مراتي كان ذنبها إيه! العروسة اللي أدبحت قبل فرحها بأسبوع كان إيه ذنبها رد عليا!

غيد وهو يبتلع ريقه متألماً : اللي حصل حصل ، إحنا مش ظالمين عشان ناخد ناس بذنب ناس تانية

يوسف وقد برز صوته الخشن : أنا ظالم ، وهطربقها على الكل

_لم يكن أمامه سوى اللجوء لأسلوب التهديد ، حتى يجعله يعدل عن قراره .. فلن يسمح له بإرتكاب مثل تلك الجريمة في حق نفسه وحق آخرى ، أستجمع عبارة واحدة ونطق بها على دفعة واحدة وهو يقول

غيد : يبقى هضطرني أقول لمراتك ، يمكن هي تقدر تمنعك

يوسف وقد أرتفع حاجبيه لاإرادياً وقال مستنكراً عليه : أنت بتهددني!

غيد وهو يهز رأسه نافياً : لأ ، أنا بنورك طالما أنت وصلت للعمى .. بنقذك قبل ما تغرق

يوسف وهو يبتعد عنه وقد تبدلت نبرته لأخرى مختنقة : ياسيدي لما أغرق هغرق لوحدي ، محدش ليه علاقة بيا

غيد : واللّه يايوسف ، لو عملتها لأكون مبلغ أبوك وهو يتصرف معاك .. غير إني هقول لرزان ، واللي يحصل يحصل

_لقد حُشر في الزاوية ، ومن المستحيل أن يقوم بالمجازفة حتى وإن كان من أجل إنتقامهُ..

زوجته تمثل العمود الأساسي في حياتهُ ولن يقبل بفكرة إحزانها أكثر من ذلك..

رمق أخيه بنظرات مطولة يعاتبه بها ، بينما ظل غيد ملتزماً بالصمت وهو يبادله بنظرات ثابتة لم يحيد ببصره وهلة..

أقترب يوسف من المقعد المقابل للمكتب وجلس من فوقه فجلس غيد قبالته منتظراً الرد و......

غيد : قوم غير هدومك يايوسف ، يكفي إنك مش هتروح الفرح وهتعملهم فضيحة وسط الناس

يوسف وهو يدفن وجهه بين راحتيه : مش كفاية ، النار اللي جوايا ميكفيهاش مجرد فضيحة

غيد وهو يضرب بخفة على ركبتهُ : يبقى خد حقك منه مش من بنته

_صمت لحظات ثم تابع حديثه و...

غيد : أتصل بيهم وقولهم إنك مش رايح ، ودلوقتي

يوسف............. :

((عودة للوقت الحالي))

_ضم يوسف أصابع كفهُ ليكورها بغيظ ، وذم على شفتيه بحنق وهو يهتف

يوسف : أنا هعرف شغلي مع اللي بلغك

غيد : سيد راجل جدع ، متخسرش وقفته جمبك .. لو مكنش جدع مكنش كلمني وحكالي اللي حصل عشان ألحقك قبل ما تعملها

_تحرك غيد نحو باب الحجرة .. فأستوقفه يوسف وهو يردد

يوسف : أنت رايح فين؟

غيد مقوساً شفتيه بإزدراء : هحاول أصلح أي حاجة ينفع تتصلح من اللي عملتها ، اللي يهمني متجيش واحدة تدعي عليك في يوم عشان ظلمتها

يوسف وهو يلوح في الهواء بعدم إكتراث : تغور العيلة كلها في داهية

_تحرك غيد ليغادر شُقة شقيقه ، بينما نزع يوسف رابطة عنقه بتشنج وفتح زر قميصهُ حتى يسمح للهواء بالدخول لصدره بأريحية .. شعر بوغزة تقتحم صدرهُ ، فضغط بكفهُ على موضع أصابته وأنتقل لحجرته حتى يأخذ دوائهُ.

....

_لم تكتفي " دولت " من تقبيل الصغير ، فقد أشتاقت إليه إشتياقاً حارً..

هو الحفيد الأول لها ، وقطعة ثمينة نتجت عن زواج الأبن البكري لها ، لذلك حظى بمكانة رفيعة لدى جدهُ وجدته..

أحتضننته دولت وهي تهتف بلهجة ملتاعة

دولت : أنت كنت واحشني أوي يانجم

نجم الدين وهو يسند رأسه على صدرها : وأنتي يانينة وحشاني أوي ، هو جدو فين؟

دولت وهي تمسح على ظهرهُ برفق : كان عندهُ إجتماع وجاي في السكة

_أنتقلت دولت ببصرها نحو " شذى " ثم تسائلت باإهتمام

دولت : هو غيد فين ياشذى ! أنتي الوحيدة اللي بقيتي عارفة أخباره

شذى وقد رسمت بسمة مُجاملة على محياها :
بلغني إنه هيعمل مشوار مهم ويرجع ، وقالي أوصل نجم الدين على هنا

_نظرت إليها دولت نظرات مُغزية ، ثم وجهت بصرها للصغير وهي تقول

دولت : أطلع غير هدومك يانجم ، عقبال ما أخلي الخدامة تحضرلك العشا

نجم الدين وهو يتحرك مبتعداً عنها : حاضر يانينة

_تركهما الصغير ، فأستشعرت شذى وجود ما ستتحدث دولت حوله معها..

ربما أستنبطت الموضوع أيضاً ولكنها تعمدت عدم إبراز علمها ذلك .. في حين راحت دولت تراقب الصغير حتى أختفى من أمام عينيها ، فأمتدت بجسدها للأمام وهي تخفض من نبرتها ، ثم قالت

دولت : في موضوع عايزاكي تكلمي غيد فيه ، يمكن تعرفي تأثري عليه .. أنا عارفة هو أد إيه بيعزك ويسمع كلامك

شذى وقد أنفرجت أساريرها عقب هذا الإطراء الغير مباشر : حضرتك تؤمري يامدام دولت

دولت وهي تزفر أنفاسها بضيق : عايزاه يتجوز ويشوف نفسه ، مش هيفضل عايش كده بقيت حياته

شذى : أنا هقولك على حاجة يامدام دولت ، غيد لو أتجوز خصوصاً الفترة دي هيخسر إبنه الوحيد .. نجم الدين بدأ ينحاز لجانب أبوه بعد ما عرف بقرار والدته بخصوص الجواز ، ولو عرف إن

أبوه كمان ممكن يتجوز ساعتها الولد ممكن ينهار نفسياً وده مش كويس في سنهُ

دولت وقد نفذ صبرها ، فهتفت بتذمر : الولد لو لقى اللي تحبه وتراعيه هيحبها من تلقاء نفسه ، الولاد دايماً بيتعلقوا بالأم أكتر ، عشان كده نپم أتأثر بجواز ريهام

_صمتت لحظة ثم تابعت بحديث مستتر نوعاً ما

دولت : وأنا متأكدة إن نيڤين هتقدر تجذب الولد ليها

شذى وقد أرتفع حاجبيها بذهول : نيڤين!

أسمحيلي أقولك إن أختيارك لنيڤين أختيار غلط تماماً ، دي مش هتقدر تشيل مسؤلية الولد نهائي .. ده غير إن مستر غيد مش بيطيق حتى سيرتها ، إزاي أنا أكلمه عنها

دولت وهي تتأفف بضجر : أمال أنا لجئت ليكي ليه؟ ماهو عشان أنتي الوحيدة اللي بتقدري تتعاملي مع غيد وتقنعيه ولولا ثقتي فيكي وفي أهلك اللّه يرحمهم مكنتش فتحت موضوع زي ده معاكي

_أخفضت شذى بصرها للأسفل ، راحت تُفكر بجدية في الأمر .. وتتوقع رد الفعل الذي ستواجهه من قِبل غيد عقب أن تفاتحه في مثل

هذا الموضوع .. خاصةً وإنها تعلم جيداً موقفه من هذا الأمر ، سيكون الأمر شديد الصعوبة بالنسبة لها ولكنها ستجتهد به .. فلجوء دولت لها ليس بالأمر الهين وتُحسب نقطة لصالحها وعليها ألا تخسر ذلك .. رفعت بصرها إليها مرة أخرى إليها ثم قالت

شذى : هتكلم معاه ، لكن موعدكيش بنتيجة معينة

دولت وهي تستند بظهرها على ظهر المقعد : مش عايزة أكتر من كده ياشذى

....

_عقب أن علم الجميع بعدم حضور " يوسف"

كلٌ أنصرف لحاله .. بعد أن برر " حمودة "

للجميع ذلك بأن العريس قد واجه حادثاً كبيراً

وتم نقله حيث المشفى..

عدداً كبيراً من المدعوين لم يصدقون تلك

الكذبة ، وبدأو يتهامزون فيما بينهم بشأن عدم

حضوره..

حتى أن البعض ظن السوء بها " فجر " وألقوها

بالإتهامات الشنيعة بحكم تواجدهم في حي

شعبي ومنطقة قديمة ذات أفكار قد عفى عنها

الزمن..

في حين كان وجود غيد في منزلهم كَأشعال

فتيل القنبلة التي هي على وشك الإنفجار..

حيث أوشك " محمود " على العراك والتلاحم معه في معركة بالأيدى .. ولكنه توقف عند عبارة غيد التي أثارت حفيظته و......

غيد : أبوك وسمعة أبوك هي السبب ، روح أسأله عمل إيه خلى أخويا يرجع في كلامه ويرفض الجوازة

محمود وقد ضاقت عينيه بعدم تصديق : أبويا معملش حاجة ، كان مع المعازيم تحت و....

غيد : بقولك سُمعته زي الزفت ، أسمع .. أنا جاي أتكلم مع صاحبة الشأن و.....

_قطع حديثه خروج " فجر " عن حجرتها..

في بداية الأمر رفضت مقابلته أو مقابلة إي شخص له صلة بهذا الرجل الذي خدعها ووضعها في هذا المأزق .. لقد تحولت أحلامها الوردية لهاله من السواد الحالك .. وشعرت بالتحسر على حالها الذي لن ينصلح أبداً ، وكأن القدر قد أقسم على معاقبتها..

خرجت عن حجرتها بعينين منتفختين على أثر البكاء الشديد ، ووجهاً مُحمراً بحُمرة باهتة وقد أفسدت مستحضرات التجميل التي زينت وجهها ،

هدرت فيه بصوت مسموع

فجر : أنت إيه اللي جابك هنا ؟

غيد وقد شعر بالمرارة تقتحم حلقهُ عقب رؤية حالها : جاي أقولك كلمتين وماشي

فجر بلهجة مستهزئة وهي تتعمد السخرية منه : خليلك الكلمتين دول ينفعوك في وقت زنقة ، أنا مش مسامحة أخوك ولا مسامحاك ، منكوا للّه

غيد وقد نفذ صبره فنطق بنبرة منفعلة : أبقي أسألي أبوكي عن السبب يمكن يعرف يرد عليكي

فجر وهي تهز رأسها بعنف رافضة لحديثه : ماليش دعوة بأبويا ، أنا مش مسؤلة عن تصرفاته .. أنتو فاكرين نفسكوا إيه ! عشان ربنا فاتحها عليكو

من وسع تخبطوا في الناس وتجرحوهم وتدوسو عليهم

غيد وقد شعر بالذنب تجاهها : أنا مقصدتش أقول كده ، وأخويا مقصدش أي حاجة من الكلام ده

محمود وقد كبح غضبه بقوة حتى لا ينهال عليه ضرباً : أخوك مش راجل ! لو راجل كان جه لحد هنا وقال الكلام ده بنفسه وكله بالمعروف .. بدل ما الفرح يتعمل ويخلص بفضيحة مش هتتنسي

_أخرج غيد حافظة نقوده ، ثم أخذ يخرج عدة أوراق نقدية منها ، بينما حملقت فجر به وهو تتوقع فعلته الآتية و....

فجر : أنت بتعمل إيه ؟ عايز تشتري فضيحتي بالفلوس!

غيد وهو يقبض على شفتيه بضيق : معنديش غيرها أقدر أقدمهالك

محمود وقد أشتعلت النيران بصدره : صحيح إنك راجل ا.....

غيد وهو يقاطعه بحدة وصوت حازم وقد تغيرت ملامحه للقسوة : حاسب على كلامك معايا

فجر وهي تقف أمام شقيقها قبل أن يتطور الأمر بينهم : أستنى يامحمود

_ألتفتت لتواجهه ، نظرت إليه بكبرياء شديد ، ثم صاحت فيه بلهجة محتقرة

فجر : أمشي وخد فلوسك معاك ، متلزمنيش

_دس غيد نقوده في الحافظة مرة أخرى ، ثم وضعها في جيب معطفهُ بحركة منفعلة وهو يهتف

غيد : أنا عملت اللي عليا ، ومتنسيش تسألي أبوكي إيه السبب اللي ممكن يخلي عريس يسيب عروسته يوم الفرح!

_أنتقل غيد بخطواته سريعاً نحو باب الشُقة ، ثم خرج عبره بخطى سريعة..

بينما لاحقته عيني محمود حتى أنصرف ، ثم بصق على الأرضية وهو يتفوه بالسباب اللاذع و.....

محمود : ابن ال *** هو وأخوه ، واللّه لولا حوشتيني كنت عملت جناية في ابن ال *** و طلعت****

_ألقت فجر بجسدها على الأريكة وهي تبكي بشدة ، فقد أنهارت في لحظة .. وباتت فتاة بائسة لا تقوَ على مواجهة أبسط الأمور ، لقد أستنفذت طاقتها .. لما تعاني من كل هذا ! في ظل وجود الكثيرات من الفتيات غيرها ينعمون بحياة رغيدة مُرفهة ؟؟

لقد أصبحت أشد نقمة على حالها من ذي قبل ..

أخفضت رأسها بخزي وهي تهتف

فجر : ليه بيحصلي كده ! أنا عمري ما أذيت حد أوي عشان أتأذي كده

محمود وقد شعر بغصة تؤلم صدره : فجر ، على عيني ياختي أشوفك كده ، قوليلي عايزة إيه وأنا أعمله

فجر وهي تهدر بصوتها بنبرة أشبه للبكاء : روح أتصل بأبوك شوفه فين ، خليه ييجي عشان أعرف منه عمل إيه وشيلني أنا الليلة ، عمري ما شوفت معاه يوم عدل ودلوقتي فرحي باظ بسببه، لازم أعرف ليه .. ليه

محمود وهو يهز رأسه بإستجابة : حاضر ، بس أهدي وصلي على النبى وانا هروح أتصل على المحمول بتاعه وهشوف أمك ، أحسن من ساعة اللي حصل وهي قافلة على روحها ومش راضية تفتح الباب

_أنصرف محمود من أمامها سريعاً ليفعل ما أتفقا عليه ، فين حين أستكملت فجر وصلة بكائها المستمر والذي لم يتوقف .. وفجأة!

حدقت عينيها بالفراغ ، وكأن وميضاً ظهر خلف جفنيها..

مسحت على وجهها لتنزح هذه الدموع التي حجبت عنها الرؤية بوضوح ، ثم نهضت لتنحني بجسدها

على الأرضية .. فتأكد ظنها ، لقد وجدت بطاقة صغيرة تحمل أسم غيد وعنوان شركته ومنزله وأيضاً أرقام الهواتف والحساب الخاص به على مواقع التواصل الإجتماعي..

ألتقطته لتحدق في تفاصيله وعقلها لا يتوقف عن التفكير..

يبدو إنه أسقطها عندما أخرج حافظتهُ .. وربما تكون هذه البطاقة الحل والمرشد لها..

ضربت رأسها خطة جديدة ، فكرة ستنتشلها من هذا المأزق الذي وقعت ضحيته ، برقت عينيها وهي تقول لحالها

فجر : مفيش قدامي حل تاني

_مسحت على وجهها عزة ، وبدأت تستجمع قوتها لما هي آتيه عليه .. حتماً لن يكون ما نوت عليه سهلاً.

....

_لم يذق طعم النوم في ليلته ، أحتضن ولده لينام بين ذراعيه بينما ظل هو مستيقظاً يفكر فيما حدث..

شعوره بالذنب يؤلمه رغم إنه لم يفعل شيئاً ، ولكنه تألم لمجرد رؤية هذه الضعيفة وهي تنهار أمامه..

حل الصباح عليه وهو مازال مستيقظاً ، فقرر الذهاب لمقر شركتهُ مبكراً حتى ينهي أعماله بها وينتقل للنظر في أمر زوجته السابقة..

فكان حريصاً على إحضار من تهتم بولده إهتماماً شديداً حتى ينتهي من أمر ضمّهُ لحضانة والدته..

فقام بتكليف عدة مراكز للتوظيف لإنتقاء السيدة المناسبة لهذه الوظيفة و......

غيد وهو يتحدث عبر هاتفه : هكون ممتن ليكي لو قدرتي توفري الدادة دي قبل نهاية الأسبوع..... عارف إنه صعب لكن كله بالفلوس يتحل وأنا هرتبلها مرتب كويس

_دلفت إليه " شذى " لتتابع حديثه ، بينما أشار هو لها لتجلس قبالته و

غيد : يبقى أتفقنا ، مع السلامة

_أغلق هاتفهُ ثم ولاها بصره بإهتمام وهو يشكو لها و....

غيد : معقولة في أزمة حتى في الدادات!

شذى : متقلقش يامستر غيد ، أكيد هتلاقي دادة مناسبة وبالمواصفات اللي عاوزها

غيد وهو يمسح على وجهه وقد بدا عليه الإرهاق

:ياريت عشان أستريح

شذى وهي تمازحه بلهجة مرحة : أو أتجوز ،

وساعتها تضرب عصفورين بحجر .. منها ترضي

مدام دولت ومنها تطمن على نجم

_قهقه غيد بصوت مرتفع ثم أستند بأريحية على

مقعده الجلدي وهو يقول مستنتجاً....

غيد : شكلك قعدتي مع ماما أمبارح وبهتت

عليكي

شذى وهي تقهقه بصوت خفيض : دي حقيقة

،لدرجة إنها أقنعتني

_أصدر الهاتف العمومي لحجرة مكتبه رنيناً مزعجاً ، فرفع السماعة الخاصة به وهتف بجدية

غيد : أيوة ، واحدة عايزة تقابلني ضروري!!

مين دي ؟ يعني إيه مش راضية تقول .. أنا مش فاضي للهزار ده!

خلاص خلاص طلعهالي

_أغلق الهاتف ثم قال بشكل جاد

غيد : لازم أفكر في موضوع نقل شاشات الكاميرات هنا زي ما قولتيلي

شذى وهي تومئ رأسها بتأييد له : فعلاً هيفيدك

_ولج موظف الأمن ببذلتهُ الرسمية عقب أن طرق الباب ومن خلفه " فجر"

حدقت عيني غيد بعدم تصديق .. فنطق بلهجة مستنكرة

غيد : أنتي!

فجر وقد ظهر صوتها الضعيف بصعوبة : عايزاك في موضوع شخصي

_أشار غيد لعامل الأمن ثم دقق بصره فيها ، كانت ملابسها داكنة فأظهرت مدى الحزن الذي كسى وجهها .. وعلى عكس ما رآها بالأمس .. اليوم بدت له في حالة شديدة الوهن ، فنطق متسائلاً بتعجب

غيد : إزاي وصلتي لهنا ! وموضوع إيه اللي بينا وعايزاني فيه؟

فجر وهي تنظر نحو شذى بنظرات مغزية : عايزاك لوحدنا

غيد وهو متمسك بوجود شذى بينهم : دي مديرة مكتبي وتعرف كل حاجة

شذى وقد شعرت بالحرج، فأرادت أن تبعد عنها " فجر " رداء الحياء من وجودها : طب هشوف ورايا إيه وأرجع مرة تانية يامستر غيد

غيد وهو يسمح لها بالخروج : ماشي ياشذى

_تحركت شذى للخروج عن الحجرة ، بينما ظلت عيناه عالقة عليها .. جاهد لتخمين ما آتت لأجله ولكنه فشل في ذلك ، فقد حملت ملامحها الغموض الممزوج بالجاذبية .. جذبت عقله للتفكير بشأنها ، وبدون سوابق نطق متسائلاً

غيد : موضوع إيه اللي خلاكي تيجي لحد هنا ، وعرفتي مكان الشركة منين ؟

_كان الأمر شديد الصعوبة عليها ، ستتنازل عن هذا الكبرياء وتلك العزة من أجل تحقيق مبتغاها..

لا يوجد أمامها سوى هذا القرار الذي أتخذته ، فأستجمعت رباطة جأشها ونطقت على حين غرة

فجر : تتجوزني!

غيد وهو ينهض عن مكانه وقد أصابه التجمد : إيه................ !

....

الفصل التاسع عشر

_وقف بمكانهُ مذهولاً عاجز عن إستيعاب ما لفظت به للتو..

هل حقاً تجرأت على طلب الزواج منه أم إنه يتخيل!

من أين لها بكل تلك الجرأة ؟ ولما هو على وجه التحديد!

حاصرته التساؤلات .. وفرت منه الأجوبة ،

تحرك من مكانه ليقف على مقربة منها ثم نطق بلهجة غير مصدقة

غيد : أنتي قولتي إيه؟

فجر وهي تستجمع كل قوتها من أجل تلك اللحظة : أنا دلوقتي بعرض عليك تتجوزني ، وهوافق على كل شروطك

غيد وهو يبتعد عنها ليجلس على المقعد المقابل للمكتب : أنتي أكيد أتجننتي ! جواز إيه؟ أنا أتجوزك أنتي؟

_شعرت فجر بإهانة أخرى تضرب صميمها .. وكأنه يحتقر شأنها ، فأجفلت بصرها بحرج وهي تتابع

فجر : صح ، مينفعش واحد زيك يتجوز واحدة فقيرة بنت حواري زيي

غيد وهو يطلق تنهيدة حانقة : الفقر ميبعش صاحبه ، فقيرة أو غنية ده ميفرقش معايا .. لأنك مش هتصرفي عليا أكيد ، فكرة الجواز نفسها متنفعش معايا

_وأخيراً وجد الحل الذي سيخرجهُ من أزمتهُ ، فلما لا تعمل كَمربية لأبنهُ ! فتاة في حاجة ماسة للمال ولا يوجد خلفها مسؤليات تمنعها عن العمل لديه بشكل مستديم..

حك طرف ذقنه بتفكير جمّ ثم بدأ يتفحصها بتدقيق مرة أخرى .. أشار لها لتجلس قبالته و.....

غيد : أتفضلي أقعدي يا....

فجر : أسمى فجر ، ومش محتاجة أقعد

غيد بنبرة رسمية : أسمعيني كويس ياآنسة فجر ، أنا هعمل معاكي) deal إتفاق) أظن هيعجبك

فجر وهي تتحرك من محلها لتجلس أمامه عقب أن أثار فضولها : مش فاهمة!

غيد وهو يذم على شفتيه : يعني هنتفق إتفاق ، أنا محتاج دادة لأبني .. ومستعد أديكي مرتب متحلميش بيه

_فغرت شفتيها بذهول وقد أتسعت عينيها عندما أصتدمت بهذه الحقيقة .. إذاً هو متزوج!

لم تفكر للحظة في ذلك .. أبتلعت ريقها بصعوبة وهي تهتف

فجر : أنت متجوز؟

غيد وهو يهز رأسه بالسلب : لأ ، مُطلق .. وأبني عايش معايا ، لو وافقتي ها.....

فجر وهي تقاطعه بجدية : أنا مجيتش عشان أطلب شغل

غيد وهو يبتعد ببصره عنها : اللي بتطلبيه مستحيل ، أنا مقدرش أتجوز

فجر بلهجة شديدة الإصرار : حتى لو قلتلك على الورق!

_أنتبه لعبارتها الأخيرة ، فألتفت برأسه ينظر إليها بإستغراب ، ثم أستند على سطح المكتب بمرفقه وهو يقول

غيد : وليه مضطرة لكده ؟

فجر وقد أرتفع صوتها فجأة وكأنها لا تقوَ على الإلتزام بالهدوء لأكثر من ذلك : مضطرة عشان أخوك عملي فضيحة ، الشارع كله بيتكلم عني وبيقول إني.......

_قطعت عبارتها فجأة وأستشعرت قُرب إنهيارها أمامه ، صمتت وهي تُكابد العناء من أجل ألا

تذرف دمعة واحدة من عينيها في حضرته ، فقد أهدرت من كرامتها بما يكفي..

ألتقطت شهيقاً عميقاً لصدرها ثم زفرته ببطء وهي تتابع

فجر : كل اللي عايزاه تتجوزني قدام الناس عشان سُمعتي ، وأنا مستعدة أشتغل خدامة لأبنك بالفلوس .. ومش هطلب منك أي حقوق ، مش عايزة شبكة ولا مهر ولا عايزة أي حاجة ، ومش هجبرك على إلتزامات تانية

_لم يفعلها قط!

لم يخذل إنساناً لجأ إليه في محنة أو كرب .. فما بالك بفتاة مكسور جذعها تعاني الويلات بسبب فعلة شقيقهُ وفعلته عندما منع شقيقه عن زواجها ؟

ضعفها أثناء الحديث جعله يشعر بمدى عِظم الموقف التي حُشرت فيه .. بدأ يشعر وكأنه على وشك الموافقة ، ولكنه تذكر طفلهُ الذي بغض وجودهُ مع والدته بسبب رغبتها في الزواج..

شبك أصابعه سوياً وفركهما بتوتر ، ثم قال بتردد شديد

غيد : إبني مش هيقبلك لو أتجوزتك

فجر بنبرة واثقة : أنا متأكدة إني هقدر أخليه يحبني

غيد وهو يهز رأسه بالسلب : مش هتعرفي

فجر : ساعتها طلقني ، هكون رجعت سُمعتي وأنت جربتني دادة لأبنك

غيد وقد بدأ يقتنع بحديثها : لو إبني وافق أعتبريني أتجوزتك

فجر وقد أرتفع حاجبيها بتعجب : يعني هتستنى رأي أبنك ؟

غيد : مش بالظبط

_نهض عن مكانهُ ليترأس المكتب ، أمتد بجسده للأمام وأستند على سطحهُ ثم ردد بلهجة شديدة الجدية

غيد : هتجوزك عشان أصلح وضعك قدام الناس ، أعتبريه ثواب فيكي .. لكن لو فشلتي في إنك تهتمي بالولد وتخليه يحب وجودك أنا مش هتردد إني أطلقك ، راحة إبني وثباته النفسي أهم عندي من أي حد

فجر وقد شعرت ببداية تحكمهُ وتعند رأيه : موافقة

غيد وهو يشير بسبابته نحوها : في حاجة كمان ، أمي

_أستشعرت إنه يستغل حاجتها إليه ، فسيملي عليها العديد من التكليفات الأخرى .. ربما تكون والدته تحتاج إلى رعاية أو تكون قعيدة وتحتاج لخدمتها ، أستشاطت عندما تخيلت ذلك ونطقت بلهجة مزدرية

فجر : خير! عايزني أهتم بيها هي كمان ولا إيه!

غيد بنبرة لا تحمل إلا الجدية : هتاخدي وقت عشان تخليها تتقبلك ، والدتي مش سهل تقبل بحد .. خصوصاً لو هتكوني مرات إبنها

فجر وقد تقوست شفتيها بإستهجان : يعني هنبتدي شغل حموات!

_أحس بإنها تستخف بحديثه ، وربما لاحقاً تسخر منه ، فأراد وضع الأمور في مكانها الصحيح ، هو تعامل معها بصفو نية ولكنها أتخذت ذلك بمحمل أخر جعلها ستتمرد عليه ، لذلك قام بتغير أستراتيجيته في التعامل لتكون أكثر حدة ورسمية..

أنقلبت ملامحه وقست فجأة وهو يحدجها بنظرات حادة ، ثم تابع بحزم

غيد : في حاجة كمان مهمة ، كلامك معايا بحساب .. عشان كده لازم تخلي بالك من الحرف اللي هتخرجيه من بؤك وانتي بتتكلمي معايا ، أي تطاول أو مجرد سخرية مش هقبل بيها

فجر وقد أصابها الذهول من إنقلابه المفاجئ عليها : هه!

غيد مستكملاً حديثه بنفس اللهجة : أنا راجل شرقي ، مقبلش في يوم إن الست اللي هتكون في بيتي تفكر مجرد تفكير إنها تكلمني بطريقة متعجبنيش ، بمعنى أصح هتكوني مجبرة تبقي قطة مغمضة معايا ومع أي حد يخصني

_يبدو إنها قامت بفتح النار على حالها ، تفهمت سبب إنقلابه عليها .. وهو طريقتها في الحديث عن والدته..

فأستشعرت أهمية هذه العائلة لديه ، أطرقت رأسها وهي تقول بإنصياع

فجر : ماشي

غيد وهو ينظر لملابسها بتمحيص : هتحتاجي تغييرات كتيرة عشان تقدري تعيشي معايا ، لبسك وشكلك وكلامك وأسلوبك .. وحتى طريقتك في المعيشة ، أنتى هتكوني ملازمة لأبني ٢٤ ساعة وأنا مش هقبل إنه يلقط منك أي كلام أو تصرفات متعجبنيش

فجر وهي تنظر لحالها بسخط : ماله لبسي وشكلي!

غيد بعدم إكتراث : ميفرقش معايا في الأول والآخر جوازنا على ورق ، لكن هيفرق مع أهل بيتي ، وخصوصاً أمي

_تمعن النظر لعينيها وهو يؤكد على اللفظ الذي أستخدمته و....

غيد : قصدي حماتك

فجر وهي تعض على شفتيها بحرج : أنا مقصدتش آ...

غيد مقاطعاً لها بحزم : أو قصدتي ، متفرقش

_رفع غيد سماعة الهاتف العمومي ثم ضغط على زرين فقط وتحدث ب.....

غيد : تعالي ياشذى لو سمحتي

_لحظات وكانت شذى تقف أمامه ، حيث تحدثت برسمية أمام هذه المجهولة بالنسبة لها و....

شذى : أفندم يامستر غيد ؟

غيد وهو يشير صوبها " فجر " : الآنسة فجر ، الدادة الجديدة لنچم الدين .. أنا عايزك تكوني مسؤلة عن تغيير هيئتها ١٨٠ درجة ياشذى ، محدش غيرك هيقدر يعمل ده

_كانت فجر تتأمل هيئة هذه الفتاة التي تبدو ذات أهمية كبيرة لديه ، كانت شذى ترتدي ملابساً كلاسيكية تناسب عملها .. بنطال من (الچينز) الأبيض ويعلوه قميصاً حريرياً من اللون

الأسود الحالك والذي عُقد بأنشوطة على جانب عنقها ، بجانب سُترة بيضاء ناعمة، وقد أستجمعت شعرها ورفعته في شكل (ذيل حصان) وتركته ينسدل على ظهرها..

جذبتها هذه الهيئة المنمقة والأنيقة ، فلم تستطع أن تُحيد ببصرها عنها حتى أنتبهت لصوته هو يهتف

غيد : أنتي سمعاني ياآنسة

فجر وقد أنتبها بحواسها إليه : هه ! نعم

غيد بنظرات حانقة : أعتقد سمعتي أنا قولت إيه ؟

فجر وهي تومئ رأسها بالإيجاب : أيوة

شذى وهي توليها البصر بإهتمام دارسة لتفاصيلها : شوفي أنتي فاضية أمتى وبلغيني

فجر وقد أكلتها الحماسة : بكرة كويس

غيد وقد تبدلت ملامحه للإندهاش : بكرة إيه ؟

شذى عندها شغل معايا مش هينفع تسيبه ، انا هابقى أحدد معاد وأبلغك بيه

فجر بتأفف : ماشي

غيد وهو ينظر حيال شذى : شكراً ياشذى ، تقدري تتفضلي

شذى : تمام يافندم

_تحركت شذى لتترك المكتب بينما علقت فجر بأنظارها عليها ، قامت بالمقارنة بينها وبين حالها ، حيث نظرت لملابسها وتأملت الفارق الشديد بينهم..

في حين كان غيد ملاحظاً لها متفهماً لما يدور بداخلها ، ألتقط ورقة صغيرة وقلماً من الحبر الأسود ثم مدهم إليها وهو يقول

غيد : أكتبي رقم تليفونك هنا ياآنسة

فجر وهي تلتقط القلم منه لتخط به على هذه الورقة الصغيرة : طيب

غيد وهو يؤكد على حديثه : خليكي فاكرة

إن مفيش أفراح هتتعمل ، مجرد كتب كتاب

قدام الناس وبس

فجر وهي تطبق على جفنيها بقوة : المهم الناس

تعرف إني أتجوزت

_أراد غيد قطع أي أتصالات قد تؤدي إلي كشف

أسرتها أمام زوجة أخيه ،

فهو حريص أشد الحرص على مشاعرها المجروحة

..

فقال بلهجة آمره

غيد : أهلك دول تنسيهم خالص ، ميفكروش لحظة إنهم حتى يزوروكي

فجر وقد حدقت عينيها به ورمقته بنظرات مصدومة : نعم!

غيد بهدوء شديد : عايزة تروحيلهم روحي ، لكن حد فيهم ييجي بيتي لأ .. خصوصاً أبوكي

فجر وهي تبتلع ريقها وزاغت نظراتها بحرج : ممكن أفهم أبويا عمل إيه !؟ وليه أخوك عمل فيا كده ؟

غيد بلهجة قاطعة : تقدري تقولي طار ، وأنا اللي شيلته عنك .. ومتسأليش في الموضوع ده تاني ، إلا لو عايزة تسألي أبوكي يمكن يعرف يرد

فجر وهي تطرق رأسها بخزي : سألته ، أنكر معرفته بيكم

غيد بإبتسامة ساخرة : ده أكيد

_نهض عن مكانه ليقف أمامها مباشرةً ، ثم هتف بجمود

غيد : انا متأكد إن هييجي يوم وتعرفي فيه السبب، لكن معرفش أمتى ، ومن هنا لحد ما أقرر الجواز أمتى خليكي في بيتك .. ودلوقتي تقدري تمشي

_شعرت بالحرج منه ، فنهضت سريعاً وهي تقبض بيدها على حقيبتها الصغيرة .. ثم تحركت نحو الباب بخطى سريعة حتى تتخلص من نظراته لها ، وعندما وطأت بقدميها لخارج المكتب .. تنفست الصعداء وكأنها أجتازت مهمة صعبة ، بعض الراحة أختلجت نفسها عقب أن أطمئنت على مستقبلها وضمنت إستعادة سُمعتها أمام الجميع..

فقد رمقتها النسوة في الحي بنظرات متكلمة وتلامزن عليها بالأفعال وتهامزن بالأقوال .. كل واحدة منهن برأي وكلمة كانت تشعر بالخزي من نظراتهن ، ولكن الآن ستُكمم أفواههن جميعاً.

....

_جلس غيد في سيارته وأمسك بهذه الصور الفوتوغرافية بيده وأخذ يتفحصها بدقة .. كان داخله ألسنة من اللهيب تشتعل مع كل صورة منهن وهو يراها بأوضاع مُخلة مع رجل غريب .. الآن فقط أستشعر بأحساس ولده الذي رأى هذا المشهد متجسداً أمامه وليس مجرد رسمة طُبعت على الصور .. فأزداد إشتعالاً وغيظاً منها..

ألقى بالصور على مقعد السيارة الجانبي له ، ثم ضرب بقبضتيه على المقود وهو يحاول تفريغ شُحنة سلبية من طاقتهُ .. وبحركة إنفعالية أدار عجلة القيادة وتحرك بسيارته نحو منزلها..

كانت هي تستعد للقائه عقب أن أبلغها بحضوره وحضور إبنهم معه .. فقد أشتاقت لرؤية صغيرها ، تأهبت بشدة وظلت في إنتظاره حتى حضر..

ولكنها تفاجئت به يطرق باب منزلها بمفرده ، أطلت برأسها للخارج تبحث عن " نجم الدين " ولكنها لم تجده ، عبست ملامحها وعادت للخلف بجسدها وهي تسأله

ريهام : فين نجم ؟

غيد وهو يرمقها بنظرات جامدة : مش تقوليلي أتفضل الأول يامدام!

ريهام وهي تفسح له المجال ليعبر : أتفضل

_دلف غيد للداخل وهو يتأمل معالم هذا المنزل الذي كان يوماً ما منزلهُ..

أقترب من الأريكة ثم أعتلاها وهو يقول

غيد : البيت ده شاف أيام حلوة كتير ، زي ما شاف أيام و*** كتير برضو

ريهام وهي تقترب منه وعلى وجهها علامات إستنكار ممزوجة بالغضب : إيه الكلام اللي بتقوله ده!

غيد : اللي بقوله ده الحقيقة

_أخرج غيد مظروف أبيض من جيب سُترته ، ثم أخرج الصور منه وألقاها في وجهها .. حملقت عينيها بذهول من تصرفهُ الوقح معها ، ولكنها لم تستطع الرد .. لمحت بعض من الصور الملقاه ففطنت لمقصده ،

أصابها التوتر، بل والإرتباك أيضاً وهي تنحني لتلتقط هذه الصور .. كانت مشاهد مخزية لها مع ذلك الرجل ، شهقت بعدم تصديق وهي تنظر للصور واحدة تلو الأخرى..

ثم رفعت بصرها نحوه وهو تنطق بعدم تصديق

ريهام : إيه اللي أنت عملته ده ؟ أنت بتصورني في أوضتي ياغيد!

غيد وهو يكز على أسنانه بغيظ شديد : لو بأيدي أقتلك ، بس مفيش علاقة تربطني بيكي غير أبني .. لولا أبني أنا كنت سجنتك ووديتك في ستين داهية

_نهضت عن مكانها وقد أرتشعت ساقيها ، تجمدت أطرافها وهي تستقيم في وقفتها وجاهدت للدفاع عن حالها و.....

ريهام : أنت فاهم غلط ، ده جوزي

غيد وهو يبتسم بسخرية من زاوية فمه : كنت عارف إنك هتقولي كده ، وعشان كده حضرت الإجابة..

أنتي أتجوزتي اللطخ ده بعد تاريخ ألتقاط الصور دي ب ٤ أيام ، يعني قضية الزنا لبساكي لبساكي

ريهام وهي تضم ذراعها لصدرها وقد بدأت الدموع تتجمع في مقلتيها : آ... زنا !! آ....

غيد وهو ينهض عن مكانه ليقف أمامها مباشرة : قدامك حل من الأتنين ومفيش تالت ، يأما هتتنازلي عن حضانة الولد ليا وهي كده كده كانت هتتنقل ليا بعد السن القانوني ، يأما هسجنك وساعتها هتتنازلي عنه برضو .. بس غصب عنك

ريهام وهي تهز رأسها بعنف : لأ ، مش هسيبلك إبني مهما حصل ، أنا أتجوزت البني أدم اللي بحبهُ و......

_لم تُكمل عبارتها ، حيث أسكتتها صفعة قوية صفعها بها على صدغها .. أنسالت الدموع من عينيها لتؤجج من سخطه عليها ، حيث قبض على رسغها وجذبها بعنف وهو يهتف من بين أسنانه بلهجة صارمة

غيد : إبنك اللي بتتكلمي عنه شافك في حضن راجل تاني ، إبنك طلب مني أخده منك

وأحرمك من نعمة وجوده .. عارفة يعني إيه طفل عنده ١٢ سنة يشوف ويفهم وضع زي ده ؟

أنتي سيبتي جواه علامة عمرهُ ما هيقدر ينساها ، أنا مش هسيبه ليكي لو على جثتي

ريهام وهي تبكي بصوت يختلجه النشيج وترجوه بأن يتركه لها : أرجوك ياغيد متعملش فيا كده ، متخدش أبني من حضني وأنا مستعدة أطلق وأعيش أنا وهو لوحدنا

غيد وهو يهز رأسه رافضاً لذلك : مش هيحصل ، الفرصة كانت قدامك وانتي اللي رميتيها

ريهام بلهجة راجية : أبوس إيدك ، طب رجعني ليك وأنا مستعدة أعيش بس عشانهُ

غيد وهو يتعمد الضغط على جرحها أكثر حتى يُشعرها بحجم الفاجعة التي نتجت عن أفعالها الخرقاء : أبنك مش عايزك ، وأنا مش هأمنك عليه تاني

_دفعها بقوة لترتد إلى الخلف ، ثم ضبط وضعية سترته وهو يتابع بلهجة قاسية

غيد : بكرة المحامي هيجيلك عشان يخلص إجراءات التنازل ، يأما هيرجعلي فاضي وساعتها هطلع على النيابة بالصور دي

_ألتفت لينصرف دون أن يعيرها أدنى أهتمام ، ولكنه تذكر أمراً فأستدار مرة أخرى إليها وهتف بحدة وهو يشير بكلتا ذراعيه إلى محيط المنزل

غيد : نسيت أقولك ، البيت اللي أنتي عايشة فيه ده بيتي ، ولما سيبتهولك سيبته عشان تعيشي فيه مع أبني ، لكن دلوقتي مش هسمح تتهني فيه مع جوزك..

تحضري هدومك وتاخدي حاجتك وتسيبي البيت ده في أقرب وقت

ريهام وهي تقترب منه لتعيد رجائها مرة أخرى :

أرجوك ياغيد عاقبني بأي حاجة إلا أبني

غيد وهو يرمقها بإحتقار : ياريت كان ينفع ، حتى الولد مبقاش عايز يشوفك

_كانت كلماته أقوى على نحرها من نصل السكين..

ولو كان ذبحها كَالشاه لكان أهون عليها من الإفتراق عن طفلها .. أنهارت على الأرضية تبكي بُكاءً شديداً بينما أنصرف هو تاركاً إياها ، لعل الندم يقتلها..

أحس ببعض من الراحة تجتاح كيانه ، وهو يترك هذه البناية ويتحرك نحو بيته ليرى صغيرهُ .. وقد أصبح ضامناً وجوده بين أحضانهُ وللأبد.

....

_في هذا الغروب الذي أوشك على الإختفاء ليحل محلهُ الظلام .. تركت " سلوى " المنزل لسويعات ، حتى تستطيع الإطمئنان على والدتها المريضة ..

فأستغل " حسان " ذلك لينقض على طفلتها إنقضاضاً مميتاً..

تحرك حسان نحو باب الغرفة الصغير وأنحنى لينظر عبر الثقب الموجود بالباب والمخصص لوضع المفتاح ، فأستطاع لمحها وهي تبدل ثيابها بأخرى..

فأوقظت فيه غريزته الحيوانية وسال لعابهُ بشكل مقزز ،

حك صدره بقوة وهو يسترق النظر لمفاتن جسدها الذي نضج حديثاً ثم مسح على شفتيه بجوع شره وهو يقول

حسان : إي البت دي ! صغيرة بس فرسة ، ياالهوي عليكي يابنت سلوى

_لم يستطع كبح إنفعالاته وشهوته التي قادته لفتح الباب بصورة مفاجأة .. فأنتفضت الصغيرة بفزع حقيقي وأمسكت بالوسادة لتغطي بها النصف الأعلى من جسدها والذي لم يستره سوى حمالة صدر صفراء اللون أظهرت جسدها بشفافية ..

صرخت فيه وهي تقول

هنا : انت عايز إيه ياعمو ، أنا لسه مخلصتش لبس عشان تدخل عليا كده!

حسان وهو يقترب منها وقد برزت نظراته الوقحة لها : مانا هدخل فعلاً ، تعالي أقولك حاجة

_جذب الوسادة منها لتظهر أمامه بحمالة الصدر فقط ، كادت تركض ولكنه لحق بها ولجم حركتها المتمردة ، كانت تصرخ صراخاً مدوياً ولكنه لثم فمها بكفه الغليظ وتابع أفعاله المُشينة و..............

....

الفصل العشرون

_تعامل مع جسدها الصغير وكأنها أنثى بالغة تتجاوب معهُ ، بينما كانت الطفلة أضعف من القدرة على مواجهته وصد إعتدائه الوحشي عليها ..

كفتاه الغليظتين وثقل ساعديه اللائي ثبتا جسدها على الفراش كانتا أكثر داعم إليه ، لم يصل صوت صراخها للأرجاء وإنما لجمهُ هو ليصبح مجرد أنين مؤلم يصدر عن طيات قلبها ، لمساته العنيفة أثارتها بالتقزز من حالها ومنه وكأنها على وشك التقيؤ..

لم يكن إعتدائه عليها جسدي بقدر ما هو نفسي ، هي لا تعي الموقف أو توابعهُ .. ولكنها تشعر بإنها في موقف خطير..

أفرغ هذا الحيوان البشري شُحنة شهوته الغير منتهية ، فأبتعد عنها ليجد بُقعتين من الدموع تكونتا بجانب رأسها المسنود على الفراش .. وكأنها أفاضت بكمّ هائل من الدموع وهو لا يشعر ،

مسح على وجهه المُتعرق بشدة ولهث بأنفاسه وهو يبتعد عن الفراش وكأنه خرج من معركة للتو..

ترنح بخطواته الغير مستقيمة ليخرج عن الحجرة ، بينما ظلت الصغيرة ساكنة بمحلها لا تقوَ على الحراك..

وكأنها تلقت ضرباً مُبرحاً تسبب لها بألام موجعة

.. كل ذرة فيها تؤلمها بشدة ، فلم تستطع حتى أن

تواري سوءتها (عورتها) .. كانت على وشك أن

تفقد وعيها ، ولكن سُبحان من جعلها تتماسك

لهذا الحد.

_وقف " حسان " بداخل المرحاض وقد وضع رأسه

أسفل صنبور المياة ليتلقى المياة الباردة على رأسه

فيفيق من حالة الهياج التي أصابته..

وعندما أستشعر إستعادتهُ لوعيهُ ، أغلق الصنبور

وجفف رأسه بالمنشفة الصغيرة ، ثم أنتقل

للحجرة التي تسكنها الطفلة مرة أخرى..

ولج عبر أعتابها فوجد الصغيرة قد دثرت نفسها بالغطاء منكمشة على حالها وقد أتخذت وضع الجنين في بطن أمهُ..

فأقترب منها لتتشكل نظرات الذعر في عينيها ، هابت أن يقترب منها مرة أخرى .. فتزحزحت عن مكانها لتبتعد عن حافة الفراش ، أنحنى هو بجسده عليها ونطق بلهجة متوعدة

حسان : عارفة يابت لو أمك خدت خبر باللي حصل، أنا هقطع خبرك .. هدبحك أنتي فاهمة ، ونامي أحسنلك قبل ما تيجي

_كانت نظراته المخيفة عاملاً كافياً لبث الذعر بداخلها وتمسكها بالصمت .. هزت رأسها بعنف متشنجة دون أن تنبث بكلمة واحدة ، فأعتدل في وقفته وغادر الغرفة عقب أن أطمئن بإنها ستلتزم بالصمت.

....

_في هذا الصباح الدافئ ، أشعت شمس الشتاء الدافئة ضوئها الأصفر في المكان .. وعمّ الجو الهادئ بالمكان ،

جلس غيد بالشرفة الخاصة بحجرتهُ ليرتشف مشروب القهوة الصباحية الخاصة به .. وأثناء

ذلك كان يتفحص الرسائل الواردة على أحد مواقع التواصل الإجتماعي ،

وإذ به يستمع لقرعات خفيفة على باب حجرته أستشف منها بإنه " نجم الدين " فأبتسم وهو يسمح له بالدخول و....

غيد : تعالى يانجم

نجم الدين وهو يقترب منه بحيوية good : morning

غيد good morning : ، تعالى أديني الحضن الصباحي بتاعي

_أحتضنه بشوق جارف وكأنه لم يرهُ منذ زمن ،

ثم جذبه ليعتلي المقعد المجاور له و.....

غيد : فطرت ولا لسه ؟

نجم الدين وهو يهز رأسه بالسلب : لسه ، الخدامة مجتش ونينة نايمة

غيد وقد تلوت شفتيه بعدم رضا : هانت ، شوية وقت وكله هيكون كويس

_تردد الصغير قبل مفاتحة والده في هذا الأمر ،

ولكنه وجد من الضروري أن يُعلمهُ بذلك حتى يتعرف على رأيه و...

نيم : عايز أقولك على حاجة يابابا

غيد وهو يترك قدح القهوة لينظر إليه بأهتمام شديد : قول ياحبيبي

نيم : أمبارح طنط نيڤين جت هنا وكانت عايزة تقعد معايا ، بس انا مكنتش عايز وعملت نفسي نايم

_أشار الصغير بسبابته لكي يتأكد من عدم فتنة أبيه عليه

نيم : بس أوعى تقول لنينة إني كنت بمثل عليهم!

غيد وقد صدرت منه قهقه صغيرة لم يستطع كبحها : حاضر متقلقش ، ده سر بيننا .. كمل

نجم وقد أنقطب جبينه فجأة : كانوا بيتكلموا عنك ، ونيڤين دي بتقول إنها بتحبك

_صمت للحظة ثم تابع وهو يسأله

نجم : هو انت بتحبها يابابا؟!

غيد وهو يجتهد لبث الطمأنينة بداخله : أنا بحبك انت أكتر من أي حد

نجم وقد أنفرجت أساريره بفرحة شديدة : وانا بحبك أوي خالص

_شعر غيد إنها اللحظة المناسبة التي سيستطيع فيها مفاتحة ولده في هذا الأمر الذي يشغلهُ منذ أيام .. فتنفس بأريحية ثم تأهب وهو يقول.....

غيد : وعشان انا بحبك لازم أخد رأيك في حاجة ، إحنا رجالة زي بعض وانا لازم أستعين بمشورتك ياكابتن نجم

_سعد " نجم " كثيراً من أسلوب والده معه ، وكأنه كبيراً في السن ليس بطفل صغير .. هذا الشعور الذي بثه غيد بداخله جعله متحمساً لمتابعة هذا الحوار و....

نجم : قول يابابا

غيد وهو يفرك أصابع كفه بقلق : أنا عايز أجيبلك دادة ، هتخلي بالها منك ومن كل حاجة تخصك .. مدرستك وأكلك ولبسك ، هتهتم بمواعيد دروسك وتنظمهالك ، عشان نينة مش هتكون فاضية ، وكمان مقدرش أسيب مسؤليتك للخدامة

نجم وقد أقتنع بحديث والده : أنا موافق

غيد وهو يعض على شفتيه بتردد شديد : بس في مشكلة!

البنت اللي أخترتها تكون دادة ليك مش هينفع تفضل قاعدة معانا هنا غير لو.....

_صمت وكأنه لا يستطيع مواجهة إبنه بهذه الحقيقة ، ولكنه أستجمع قوته لينطق بكلمة واحدة

غيد : أتجوزتها

_أنتفض الصغير وهو يقف عن جلسته ثم رمق والده بنظرات مشدوهة ، أحس بكونه وحيداً فجأة .. حتى سندهُ الوحيد في الدنيا بدأ يفكر في حاله ، رمقه بنظرات معاتبة وهو يقول مستنكراً.....

نجم : حتى إنت يابابا!

غيد وهو يهز رأسه بالسلب وقد أجتذبه ليكون ملاصقاً له : لأ ياحبيببي مش زيماانت فاهم ، أنا هشرحلك .. البنت دي غلبانة أوي وأبوها بيعذبها ، أنا عايز ناخد فيها ثواب أنا وانت ونخليها تعيش هنا ، بس الناس هتقول عليها مش محترمة عشان عايشة عند ناس غريبة ، عشان كده انا هتجوزها قدام الناس بس

_جذبه ليقترب منه وكأنه يقول له سراً

غيد : بس الموضوع ده سر بينا ، متقولش كده قدام حد

نجم وقد عبست ملامحه : بس برضو هتتجوزها!

غيد وهو يضغط على الصغير بأسلوب غير مباشر :

لو متجوزتهاش نينة هتخليني أتجوز نيڤين وانت مش بتحبها

نيم وهو يهز رأسه بتشنج واضح : لأ نيڤين لأ

غيد وهو يمسح على ظهره برفق : طب إيه رأيك ؟

لو الدادة دي معجبتكش وعايزني أسيبها تمشي هخليها تمشي ، موافق؟

نيم وهو يشير بكفه متسائلاً : يعني لو قولتلك مشيها ، هتمشيها ؟

غيد وهو يؤكد حديثه : همشيها على طول

_وضع الصغير أصبعي الإبهام والسبابة على طرف ذقنه وكأنه يفكر في الأمر .. إستخدام غيد لأسلوبه في إشعار الصغير بإنه صاحب الأمر والقرار كان أسلوباً صائباً..

جعل الصغير يشعر بالمسؤليه تجاه والده ونفسه ، فنظر حيال والده مرة أخرى وهتف

نيم : طالما هنجربها الأول ولو معجبتنيش هنمشيها يبقى موافق

غيد وقد شعر بالراحة تجتاح كيانه عقب تصريح ولده : كويس ، كده إحنا متفقين

_كور قبضته ورفعها ليضربها بقبضة نجم ، ثم تحركا سوياً ليهبطا الدرج متجهين لأسفل.

....

_خرجت " فجر " عن المطبخ وهي تحمل صينية معدنية بها أكواب من مشروب الشاي بالحليب ، ثم وضعتها على الطاولة وهي تهتف بصوت مرتفع

فجر : يلا ياملك انتي ومريم تعالو أشربو الشاي قبل ما تنزلو المدرسة

_خرجت الصغيرتان عن حجرتهما وقد أرتديا ملابس المدرسة الرسمية والمكونة من فستان

قصير من اللون الأزرق وبنطال من نفس خامة ولون الفستان ، بجانب قميص من اللون اللبني الفاتح..

أقتربتا من الطاولة لإرتشاف المشروب بينما توجهت فجر بكوب من هذا المشروب لتتوجه به نحو حجرة أخيها و....

فجر : أشرب الشاي قبل ما تنزل يامحمود

محمود وهو يعقد زر قميصة الأخير : قوليلي وصلتي لفين مع ابن البشوات؟

فجر وقد أصدرت تنهيدة باردة : البنت اللي مخليها مسؤلة عن تأهيلي زي ما بيقول بتكلمني كل يوم أكتر من ساعة ، بتقعد تشرح وترغي معايا

وتعرفني إزاي أتعامل مع عيلته ، أما أشوف أخرتها إيه!

محمود وهو يعلق ببصره على عينيها عسى أن يستشف نواياها : أنا مش عارف انتي ناوية على إيه ؟ وأشمعنا الراجل ده ؟

فجر وهي تخفض رأسها بتحسر على حالها : مفيش قدامي غيره ، منها جوازة أسكت بيها الناس ومنها شغله مرتبها هيتصرف عليكو ، وان شالله أطلق بعد كده ، بس أبقى خدت ورقة جواز وورقة طلاق

محمود وهو يلفت نظرها لوجود عائلة أرستقراطية ستنضم لها : شكلك مش واخدة بالك من اللي انتي داخلة عليه ، الراجل ده

عيلته كبيرة وناس تقيلة مش هتعرفي تسلكي معاهم ، دول من بتوع الشوكة والسكينة يابت

فجر وهي ترفع رأسها بشموخ : وماله ، ابقى زيهم وأحسن كمان ، ولا هو الفقر هيفضل ملازمني لحد ماأموت!

محمود وهو يضيق عينيه بعدم أقتناع : وأخوه ! هتقدري تبصي في وشه إزاي؟

فجر وهي تكز على أسنانها بقوة : ولا هعبرهُ ، ده هيولع لما يعرف إني هتجوز أخوه ، سيبك مني هعرف أتصرف ، بس اللي يهمني أكتر من أي حاجة لازم أعرف أبوك عمل إيه للناس دي ! في حاجة إحنا منعرفهاش

محمود وقد زاغت عينيه وشعر بقلة الحيلة :

وهنعرف إزاي؟

فجر وقد أرتفع أحد حاجبيها تلقائياً : أنا هعرف بنفسي

....

_كان يوسف يقوم ببعض التدريبات الخفيفة عقب أن صرح له الطبيب بذلك ، فقد شدد على ضرورة الإنتباة وعدم تعرض القفص الصدري لأي تفاعلات..

وقف يضرب هذا الجسم الأسفنجي بقوة ، بينما كانت رزان تمسك بهذا الجسم له لتثبيته ..

كان يلكمه بلكمة ترتد هي على أثرها ،

فيضحك بهيستريا على مشهدها وهي ضعيفة

أمام بنيته و.....

رزان : آه ، دراعي خلاص مش قادرة منه ، كفاية

تدريب النهاردة

يوسف وهو مستمر في تسديد اللكمات لهذا

الجسم الأسفنجي : لسه مخلصتش ياروزي ، أفرضي

كده إنك مكان الجسم ده وانتي اللي بتضربي

كنتي هتعملي إيه ؟

_بصورة تلقائية تركت هذا الجسم الأسفنجي

ولثمت وجهها بكلتا يديها كَتعبير للدفاع عن

النفس وهي تقول بإستغاثة

رزان : لأ أنا لأ

_أصطدم الجسم بها عقب أن أفلتته فجأة ،
فكادت تسقط للخلف ولكنه أسرع ليجذبها
نحوه حتى يحول بينها وبين السقوط .. فتركها
تسقط عليه ليسقط هو الأخر وينبسطا سوياً على
الأرضية وهو محاوطاً لخصرها ومُحكماً قبضته
عليها ،

تحمل الوغزة التي أصابت صدره عقب سقوطها
عليه لتكون أعلاه ، وقهقه بمرح عقب أن رأى
إبتسامتها تعلو محياها .. فهتف بنبرة مشاكسة

يوسف : حلو الوضع ده ، أثبتي على كده!

رزان وقد توردت وجنتيها بحياء منه : يلا نكمل تدريب

يوسف وهو يغمز لها بعينيه : هو في أحلى من كده تدريب ، ده انا هدرب كل يوم على أيدك

رزان بنبرة متعلثمة : آآ .. طب سيبني أقوم

يوسف وهو يتفرس النظر لشفتيها الورديتين : طب هاتي بوسة

_ضربت كتفه بخفة وهي تقول

رزان : لم نفسك عيب كده

يوسف وقد أرتفع حاجبيه بذهول : يابنتي انتي مراتي واللّه، ياناس دي مراتي واللّه العظيم

رزان وهي تقهقه بحيوية :خلاص مصدقاك ، بس سيبني

يوسف وهو يشير نحو صدغه لتطبع عليه قُبلة : طب هاتي بوسة وانا أسيبك

_تنهدت رزان قبل أن تقترب لتطبع قُبلة على صدغهُ ، ولكنه ألتفت فجأة ليُقبل شفتيها .. فأبتعدت على الفور وهي ترمقه بصدمة ، ثم نطقت ب......

رزان : دي كده سرقة ، واحنا متفقناش على كده!

يوسف وقد تحولت نظراته لنظرات عاشقة ذابت بين أحضان عينيها اللوزية : وهو في أحلى من البوسة المسروقة ياحياتي!

_في هذه اللحظة، أستمعا لصوت رنين الجرس ، فأنقلبت قسمات يوسف إنقلاباً شديداً وقد بدا عليه السخط..

فنطق بحدة.....

يوسف :لأ واللّه ما ينفع كده ! إحنا لازم نعزل من هنا .. ده انا لسه يدوب هدخل في) level مرحلة) الحضن

رزان وهي تضرب كتفهُ بخفة : قولنا أيه ! لم لسانك ده وسيبني أقوم ، وروح شوف الباب

_أفلت ساعده الذي كان محاوطاً لخصرها ، فنهضت مبتعدة عنه بسرعة ، بينما نهض هو وأتجه نحو باب الشُقة وما زال عالقاً ببصره عليها وهو يهتف

يوسف : أقفلي الباب عليكي ، كتك القرف في حلاوتك

_تقدمت في خطواتها لتختفي من أمامه ، بينما كاد هو أن يصطدم بالطاولة التي تتوسط ساحة

الصالة ، ولكنه تدارك الأمر سريعاً وأنتبه لخطواته..

قام بفتح الباب ليجد شقيقه يقف أمامه وبرفقته " نجم الدين " ، فتهللت أسارير يوسف عقب رؤيته للصغير وأنحنى يُقبل جبينه و.......

يوسف : جومي قلب عمو ، وحشتني ياغالي

نجم الدين وهو يبتسم له بسعادة : وانت كمان ياعمو

غيد وقد أنتبه للقفازات التي يرتديها شقيقه ، فتتغض جبينه وهو يتسائل : أنت رجعت تلعب تاني ولا إيه!

يوسف وهو يرفع ساعديه في الهواء متباهياً : آه الحمد للّه ، ده انا كنت حاسس إني عجزت ، تعالو أدخلو

_بدأ في نزع قفازته ولحق بهم للداخل ، جلس الجميع على الأريكة الوثيرة بينما وضع يوسف قفازته جانباً وهو يقول

يوسف : أنتو جايين منين؟

غيد وهو ينزع عنه معطفة الثقيل : كنا بنشتري جهاز بلايستيشن جديد للكابتن نجم عشان جاب full mark(درجات نهائية) في أمتحانات ال midterm

يوسف وهو يصفق بحرارة : اللّه ، أنت كده ليك عندي هدية

نجم الدين وهو يشير نحو القفازات الغليظة : هاتلي زي دول عشان بابا هيشتركلي في نادي وألعب زيك

يوسف وهو يشير نحو عينيه : من عنيا

_خرجت رزان وهي ترتدي ملابسها كاملة ، كما وضعت الحجاب على رأسها لتزداد وقاراً..

ثم أبتسمت وهي تهتف

رزان : مساء الخير

غيد وهو ينهض عن مكانه ليُصافحها : مساء الخير يارزان

_تأمل وجهها الذي زاد أشراقاً عن أخر مرة رآها بها ، ثم أسمعها إطراءً وهو يقول

غيد : أحلويتي عن أخر مرة شوفتك فيها يارزان

يوسف وقد تجهمت ملامحه فجأة ليقول : في إيه ياعم؟

إيه أحلويتي دي!

رزان وهي تضحك بخفة على ملامحه التي تغيرت فجأة : هو غيد كده بيحب يهزر

غيد وهو يجلس بمحله : يابني دي أختي الصغيرة

يوسف وقد أكلته الغيرة عليها : ولا أختي ولا أخويا

_تحرك نجم الدين من وسطهم ليجلس بالقرب من رزان و......

نجم الدين : طنط رزان ، فرجيني على العصافير اللي جيبتيها

رزان وهي تمسح بحنو على وجهه : بس كده !
تعالى نتفرج عليهم ونسيب بابا وعمو لوحدهم ، عن أذنكوا

غيد : أتفضلي

_تأكد من إنصرافهم ، ثم ألتفت بجسده لينظر إلى أخيه .. بدأت تقاسيم وجهه تأخذ شكل جادي وثابت وهو ينطق....

غيد : أنا قررت أتجوز

يوسف وقد بدأت السعادة تتشكل على ملامحه : بجد ! طب كويس واللّه إنك غيرت رأيك ، بس قولي هتعمل إيه مع نجم

غيد وهو يفرك أصابعه بتوتر ، وكأنه لا يعرف كيف يخبره : قدرت أخليه يتقبل الموضوع.. اللي ناقص هو انت

يوسف وقد تنغض جبينه بعدم فهم : أنا ! ناقص إيه بخصوصي مش فاهم !؟

غيد وهو يتعمق النظر لبؤبؤي عينيه : توافق

_قهقه يوسف بصوت خافت ، ثم أسترخى بظهره على الأريكة وهو يتابع بلهجة متحمسة

يوسف : ياحبيبي أنا اتمناها قبلك ، ربنا يتمملك على خير

غيد وقد أستصعب الأمر أكثر وهو يقول : بس مش تعرف العروسة الأول!

يوسف وهو يضيق عينيه محاولاً التخمين : أنا أعرفها ؟

غيد وهو يهز رأسه بالإيجاب : أيوة .. فجر

يوسف وهو يمط شفتيه بعدم أهتمام : متهيألي معرفش واحدة بالأس.........

_صمت فجأة ، وأحمرت سحابة عينيه البيضاء عقب أن أستطاع معرفة السر وراء إرتباك شقيقه وتوتره..

لقد نوى الإرتباط الرسمي بالفتاة التي كان سينقم منها بالأمس ، واليوم ستكون زوجة أخيه .. أنفعل بشدة وهو يتحرك بتشنج عن جلسته .. ونهض بإنفعال وهو يهتف

يوسف : فجر مين ! البت بنت الحواري؟ اللي أبوها أ....

_لم يستطع متابعة هذه الكلمة الثقيلة على شعوره قبل لسانه ، فقطمها وهو يبتلع ريقه ثم حدجه بغيظ شديد وهو يقول....

يوسف : أنت أكيد مش واعي لكلامك ، حتى لو فرضنا إنها ملهاش ذنب في عملة أبوها السودة .. إزاي ترتبط بواحدة على المستوي الأجتماعي ده ! حتة بت بيئة .. إنتوا مش راكبين على بعض شكلاً وموضوعاً!

_زاغت عينيه بذهول ثم هتف مستنكراً

يوسف : وانا ! مفكرتش فيا ياغيد ؟

غيد وهو ينهض ليكون موازياً له في وقفته ، ثم تابع بلهجة حكيمة وهو يمتص غضبه قائلاً : أنا مقدر موقفك ، لكن انت متعرفش أنا ناوي على إيه معاها

يوسف وهو يهز رأسه بتشنج رافضاً لأي مبررات : إزاي دي تكون مرات أخويا ! هنبص في وش بعض إزاي وانا عارف إنها بنت الراجل الو*** ده ! ولما أجيب راس أبوها تحت رجلي هي هتعمل إي؟ مفكرتش في كل ده ؟ طب إبنك إزاي هيعيش مع واحدة من المستوى ده!

غيد وهو يطلق تنهيدة ساخنة خرجت من أعماق صدره : الفقر مش عيب ، متنساش إن أبونا راجل عمل نفسه بنفسه ، وشاف الويل عشان يوصل للي هو فيه ، أنا متفق معاك إن أسلوب حياتها مش ماشي معايا ومع ابني، بس ده قبل ما تتغير .. أنا محتاج واحدة جمب نجم الدين الفترة الجاية يايوسف ، ومتكفل بتأهيلها تأهيل كامل

يوسف وهو يُحيد ببصره عنه : دي متنفعش ، أنا مش موافق إن البت دي تدخل عيلة السويفي

غيد : حتى لو قلتلك إني هسلمك أبوها تتصرف معاه زي ماانت عاوز!

_وكأنه قذف بالكرة لتكون في ملعبهُ ، كان هذا بمثابة العرض الذي لا يجوز رفضهُ بأي شكل ..

تبدلت ملامح يوسف عقب عرض أخيه والذي يقدمهُ له على طبق من ذهب .. فعلق ببصره عليه وهو يتسائل بفضول

يوسف : قصدك إيه؟

غيد بلهجة صادقة وكأنه الوعد : هسلمك أبوها تسليم أهالي ، تعمل فيه مابدالك

يوسف وقد أرتفع حاجبيه بذهول : هه!

غيد وهو يضع كفهُ على كتفه وهو يقول بثبات : وده وعد مني

الفصل الواحد والعشرون

_أحتاج الأمر بضع دقائق ليستوعب ما قالهُ شقيقهُ للتو ، رمش بعينيه وهو يحيد ببصره عنه ثم أقترب من الأريكة مرة أخرى ليجلس أعلاها.. فلحقه غيد وجلس بالقرب منه وهو يتطلع لتعابير وجهه عسى أن يفهم معناها .. وأخيراً خرج عن صمته ليهتف

يوسف : بس انا مجهز كل حاجة مع سيد ، يعني مش هتحتاج تورط نفسك في جوازة زي دي

غيد ساعياً للتأثير على قرارهُ : انا مش عايز أي ثغرة وراك ، عشان كده سيبلي الحكاية دي وانا هخلصهالك

يوسف وهو يتمسك برأيه أكثر ، ليهتف بصوت متعند : لأ ، انا مظبط أموري ومستني الوقت المناسب

_لحظات مرت عليه وهو ملتزم الصمت ، ثم ألتفت برأسه وهو يتعمق النظر إليه قائلاً

يوسف : عموماً أعمل اللي يريحك انا ماليش علاقة بحياتك ، لكن قصة إنتقامي مدخلش نفسك فيها

غيد وقد شعر بجفاف حلقهُ : مينفعش أعمل حاجة وانت مش معايا فيها ، أعتبرني داخل تجربة ، ولو فشلت إنها تاخد نجم الدين في صفها أنا مش هتمم الجوازة

يوسف وقد تقوست شفتيه بإستهجان : يعني مش هتتجوزها غير لما أبنك ياخد عليها!

_نهض عن مجلسه مرة أخرى وراح يتحرك بخطوات غير منتظمة وهو يتابع حديثه

يوسف : والّله أنا خايف تبهت على الولد بسلوكياتها!

غيد وهو يهز رأسه بالسلب : ساعتها مش هتردد إني أفسخ الإتفاق ، وفهمتها كده

يوسف وهو يدس يديه في جيب بنطالهُ القصير : وهتعمل إيه في أمك ؟ مدام دولت مش هتقبل بواحدة زي دي تكون مرات إبنها ، ده غير إنها كانت راسمة على نيڤين بنت الحسب والنسب

غيد وقد تجهمت تعابير وجهه : نيڤين إيه بس ؟ أنا مش بطيقها ودمها تقيل على قلبي ، ده غير إن مفيش كيميا بينها وبين نجم

يوسف وهو يتمتم لحاله بإمتعاض شديد : يعني هي بنت الشوارع دي اللي حلوة أوي ؟!

غيد وقد ضاقت عينيه وهو يتسائل : بتقول إيه ؟

يوسف وهو يذم على شفتيه بضيق :بكلم نفسي

غيد وهو يفرك أصابعهُ بعقل منشغل : أنا مش هقول لماما حاجة دلوقتي قبل ما تاخد عليها شوية ، وإلا كل حاجة هتبوظ

يوسف : عملت إيه مع طليقتك ؟

_قست ملامحهُ وتبدلت تبديلاً جذرياً عقب ذكر سيرتها ، أخفض بصره وهو يحاول كبح هذه الحالة التي أعترتهُ ثم ضغط على فكيه بقوة وهو يتابع بلهجة ساخطة

غيد : المحامي راح معاها إمبارح عشان يخلصو إجراءات التنازل عن الحضانة بتاعت نيم ،

وخلاص الموضوع خلص .. بس طبعاً مخلصتش من أتصالاتها وتليفوناتها طول الليل

يوسف وقد شعر بشئ من الشفقة على حالها : أنا عارف إنها غلطانة ، وأجرمت في حق إبنها وحقك ، لكن......

_لم يستكمل عبارته ، حيث قاطعه غيد وهو ينهض عن جلسته متشنجاً ، وقد بدا عليه الإنفعال الشديد و.....

غيد : يوسف ، مفيش لكن .. الموضوع ده منتهي بالنسبالي

يوسف وهو يضغط على شفتيه بحرج : على الأقل تشوفه كل فترة و....

غيد وقد تصلبت تعابير وجهه : مش هتشوف ضفرهُ حتى

يوسف وهو يطلق تنهيدة ساخنة : بس آ.....

غيد وقد أستشف سبب إصرار أخيه في إقناعهُ : هي كلمتك ولا إيه !؟

يوسف وقد فشل في تورية إرتباكهُ : لأ ، آآ.....

غيد وهو يضرب كفاً بكف وقد أستشاط عقله من الغيظ : بنت ال****

يوسف وهو يقترب ليوازيه : في الأول والأخر هي أم ياغيد ، ولما كلمتني فده عشان هي ملهاش غير إبنها برضو.. وحيات نجم عندك توافق

غيد بلهجة مقتضبة : بعدين أشوف الموضوع ده!

يوسف وهو يشير إليه للجلوس : طب أقعد وانا هشوف رزان عشان نتعشا سوا

غيد برفض شديد : لألأ ، إحنا لازم نروح عشان نجم عندهُ مدرسة الصبح و.....

يوسف وقد تبدلت ملامحه للإصرار : واللّه ما يحصل ، نتعشا وبعدين تنزلو على طول ، يلا أقعد

_أذعن لرغبة أخيه وجلس ، ولكن عقله لم ينصرف عن التفكير قط ، هل سيكون من الصحيح أن يحجب عن الصغير مجرد حتى رؤيتها ؟ أم سيكون لذلك تأثيراً سلبياً عليه ! هو مقتنع

بأنه ليس ظالماً لها .. ولكن هل سيكون ظالماً لطفلهُ ؟

....

_في هذا الصباح المُغيم ، حيث أنتشرت السُحب في السماء وبدت الأجواء مضطربة لتُنذر بتهطيل الأمطار عما قريب..

توقفت سيارة غيد أمام مدخل البيت الكبير وترجلت عنها " فجر " وهي تتأمل المكان بعينيها ، كانت منزلاً كبيراً أشبه ب (ڤيلا) صغيرة الحجم .. تتكون من طابقين وملحق بها حديقة صغيرة أنتشرت فيها الأشجار المُتساقط أوراقها..

شددت فجر على هذا المعطف الثقيل الذي ترتديه وضبطت وضعية حجابها الجديد ثم نظرت حولها بتوتر ،

وفجأة .. أنتبهت لصوت السائق الخاص ب " غيد " وهو يهتف

-غيد بيه مستنيكي جوه ياآنسة ، وسايب علم للبواب إنك جاية

فجر وهي تهز رأسها بالإيجاب : شكراً ياسطى

السائق وقد تنغض جبينه بذهول : أسطى ؟

فجر وقد تشكلت الدهشة على ملامحها : أمال أقولك إيه ياكابتن ؟

السائق وقد أرتفع حاجبيه بصورة لا إرادية :

وكابتن كمان ؟

لأ انتي ممكن تقوليلي حسن من غير ألقاب تانية

فجر وهو تومئ برأسها : ماشي ياسطى حسن

_تمتمت لحالها عقب أن أستدارت لتسير نحو البوابة الحديدية وهي تقول بإعتراض

فجر : قال حسن من غير ألقاب قال ! ليه أنت هتصاحبني ولا إيه ؟ تتشك في لسانك ياشيخ

_تابعها حسن بنظرات مُغزية ثم أخفض بصره وهو يغمغم بخفوت

حسن : البت دي مش هتعمر مع دولت هانم ، إستحالة توافق تشغلها مع البيه الصغير ، دي هتطردها من أول يوم انا عارفها كويس

_لوح بكفه في الهواء وهو يستقل السيارة مرة أخرى ثم نطق بتبرم

حسن : وانت مالك ياحسن ، خليك في شغلك أحسن

_سمح لها الحارس بالمرور عقب أن أرشدها على الطريق الصحيح .. بينما كانت هي تخطو للداخل بخطوات بطيئة ، كانت تدرس بعينيها المكان جيداَ وتحتفظ بشكله في ذهنها..

حتى توقفت أمام درجتين من السُلم الرخامي ، فأعتلتهم بهدوء لتتفاجئ بفتح الباب على حين غرة .. وظهر هو أمامها بطلته المهيبة ،

تفحصها جيداً من رأسها وحتى أخمص قدميها .. فأستطاع إستنباط ذوق " شذى " في إنتقاء الملابس الجديدة التي ترتديها ، حتى أن شكل حجابها قد تطور وأخذ شكلاً جذاباً عن ذي قبل ..

هز رأسه برضا وهو يهتف

غيد : كويس ، دلوقتي هتقابلي أمي بصفتك الدادة الجديدة لنچم ، تحافظي على طريقة كلامك زي ما شذى فهمتك ، ومتقوليش غير دولت هانم

فجر وقد تلوت بشفتيها مُبدية عدم الرضا : هانم ! إحنا متفقناش على كده!

غيد وقد بدت تقاسيم وجهه مكفهرة للغاية : والله لو مش عاجبك لفي وأرجعي مكان ما جيتي

_أشارت له فجر لكي يفسح المجال لها ، ثم نطقت بتذمر

فجر : طب وسع السكة كده

غيد وقد أرتفع حاجبيه بإندهاش : وسع!

_تجاوزته وعبرت للداخل ، وبلمحة واحدة أستطاعت أن تجوب المنزل بعينيها .. راق لها هذا التصميم المُبدع والديكورات الأنيقة ، وحتى أختيار الأثاث .. فأتسعت شفتيها بأعجاب شديد وهي تتأمل المكان جيدآ.. ولكنها أنتبهت أخيراً لصوت أنثوي صارم فألتفتت سريعاً لمصدر الصوت و....

دولت وهي تتأمل ثيابها وهيئتها : أنتي بقى المُربية الجديدة! ميبانش عليكي إنك مربية أبداً

فجر وهي تطرق رأسها محاولة إستخدام التهذيب كما أوصتها شذى : أهلا وسهلا يادولت هانم

دولت وهي تقترب منها لتكون أكثر دقة في إستكشافها : أنتي كنتي بتشتغلي فين قبل كده ؟

فجر وقد أصتدمت من هذا السؤال المباغت : هه!

غيد محاولاً إستدراك الموقف : دي أول مرة تشتغل فيها مُربية ياأمي

دولت وهي تعقد ذراعيها أمام صدرها بضجر : وجايبلنا واحدة تجرب في الولد ؟

غيد وهو يهز رأسه بالنفي : لأ ياماما متقلقيش ، لو فشلت في مهمتها أنا أتفقت معاها تمشي من هنا

دولت : وانتي ساكنة فين بقى ؟

فجر وقد أستعادت بذهنها ما قامت شذى بتلقينها إياه : أنا ساكنة في الحي السابع

_لاحظت دولت بخبرتها الطويلة في البشر بإنها " فجر " تتصنع بشدة في حديثها .. ربما تدعي الخجل أو ما شابه!

ضيقت دولت عينيها بمكر وهي تقول

دولت : أنا عايزاكي تتعاملي بطبيعتك ومن غير تصنُع

فجر وكأنها تنفست براحة أخيراً : واللّه قولت كده ياطنط ، مفيش أحسن من الطبيعة

دولت وقد حدقت عينيها بذهول : طنط!

غيد وقد حملقت عينينه بقوة : ماما ، سيبيها تتعامل برسمية أحسن اللّه يخليكي

دولت وقد بدأت تتذمر في حديثها : متقوليليش طنط دي تاني ، أنتي فكراني خالتك ولا إيه ؟

فجر وهي تبتلع ريقها بحنق شديد : مقصدتش

غيد وهو يشير لها لكي تتبعه حتى يقوم بإنقاذ الموقف : تعالي معايا عشان تشوفي نجم

فجر وهي تهز رأسها برضا : طيب

_أصطحبها حيث الطابق الأعلى ، بينما ظلت دولت عالقة ببصرها عليها تحاول بفطنتها فهم خبايا هذا الأمر..

شبكت أصابع يدها سوياً وراحت تفكر في الأمر بروية ، حتى أتاها صوت " عدنان " من داخل حجرة الطعام ، فألتفت لتذهب إليه.

_وقف في هذا الرواق ذي الضوء الخافت ، وحدجها بنظرات محتقنة وهو يقول

غيد : إنتي أتجننتي ! إيه الهبل اللي عملتيه ده ؟

فجر وقد أصابها الذعر من هذه النظرات اللامعة

وسط ضوء خافت جعل هذه النظرات أكثر شراسة

: أنا مقصدتش ، آآ.. هي قالتلي آ....

غيد وهو يضغط على قبضته المتكورة بقوة : هي

عايزة توقعك وانتي ذي المدب

فجر وهي تبتعد عنه خطوة للوراء : آ.. حاضر

_وقبل أن تبتعد خطوة أخرى ، قبض على ذراعها

وجذبها إليه عنوة .. ضغط على رسغها بقوة آلمتها

وهو ينطق من بين أسنانه بصوت أختلجه الحزم

غيد : أسمعيني كويس ، جوازنا صفقة رابحة ، صفقة متكاملة الأركان .. أنا هديلك اللي انتي عوزاه ، وانتي هتحققيلي الراحة ، المشاعر ملهاش وجود بينا ، ومتنتظريش مني في يوم أي حاجة إتجاهك ، الراحة اللي بتكلم عنها هي إن نجم يتعود عليكي وأمي تقبل بيكي

_تأوهت بتألم شديد وهي تنتزع ذراعه منها ، ثم فركت موضع قبضته لئلا يزول الألم .. ثم رفعت بصرها نحوه وهي تقول بتعلثم

وفجر : وإيه المقابل اللي بتتكلم عنه

غيد وقد تفهم مقصدها الطامع : أكيد فلوس

_أخرج من جيبه حفنة من النقود ووضعها بين يديها ، ثم نطق بسخرية

غيد : متهيألي كده كفاية كمقدم!

_شعرت بحقارتها عقب فعلته ، وكأنه يتعمد إذلالها .. وتذكيرها بحاجتها الماسة إليه..

فأطرقت رأسها بخزي بينما تابع هو

غيد : تعالى ورايا

فجر وهي تضع النقود في جيب معطفها : حاضر

_رافقها حتى حجرة الصغير ، طرق الباب قبل أن يدلف إليه فسمح له الأخير بالدخول..

ولج غيد للداخل ليجد " نچم الدين " يرتدي سُترته المدرسية الكُحلية .. فأبتسم له وهو يقول

غيد : صباح الخير يابطل

نچم وهو يبادله الإبتسامة : صباح النور يابابا

_لمح الصغير هذه الفتاة المجهولة تقف خلف والده ، فأنعقد ما بين حاجبيه بذهول وهو يتسائل

نچم : مين دي ؟

غيد وهو يغمز إليه : الدادة الجديدة يانچم

نچم وهو يتفحصها جيداً : هي دي اللي قولتلي عليها؟

فجر وهي تغمغم بخفوت ، وقد ظهر على ملامحها الضجر : شكلك تنك زي أبوك وهتقرفني!

غيد وهو يشير إليه ليتقدم منها : يلا سلم عليها

نچم الدين وهو يقترب منها باسطاً يدهُ ليصافحها : good morning miss faggr

فجر وهي تنحني إليه لترد التحية : good morning Mr Nagm elden

_تعجب غيد من إتقانها لهذه العبارة ونطقها الصحيح لها ، ولكن سريعاً ما تلاشى إندهاشهُ عندما تذكر تنبيه شذى له بضرورة تلقينها " فجر " بعض المصطلحات الإنجليزية البسيطة التي قد تحتاج إليها .. أشار لها الصغير بسابته معترضاً وهو يقول

نچم : أسمي نچم ، مش نجم ، يعني عطشي الجيم

فجر بعدم فهم : أعطشها أزاي يعني؟

نچم : يعني تقولي چا ، مش جا

فجر وقد تلوت شفتيها بضجر : أشمعنا ؟

نچم وهو يهز كتفيه : هو أسمي كده

غيد وهو ينظر لساعة يدهُ : ال bus بتاعك فاضل عليه دقايق وييجي يانجم ، خلص بسرعة

نجم وهو يشير لحاله : خلصت يابابا

فجر وهي تتأمل هيئته بإستغراب : هو بيروح المدرسة كده ؟

غيد بعدم فهم : آه، ده ال uniform (زي موحد) بتاعه

فجر وهي تتلوى بشفتيها ساخطة على حال أشقائها الصغار : بيروح المدرسة ببدلة ؟ ياعيني عليكي ياملك إنتي ومريم ! ييجوا يشوفو لبس المدراس العرة اللي عندنا

نجم وقد أنتبه لتمتمتها : بتقولي إيه!

فجر : ولا حاجة ، يلا هات شنطتك عشان ننزل نستنى الباص تحت

غيد : مفيش شنط ، هو بيروح المدرسة كده

فجر وهي ترفع بصرها نحوه بعدم تصديق : بيروح كده ! طب فين كتبه وكشاكيله ؟ والمقلمة و.....

غيد وهو يشير بكفها له لكي تصمت : مفيش كل ده ، كل تلميذ في المدرسة لي الدولاب بتاعه فيه كل أدواته ، دي مدرسة فرنسية

فجر وقد شعرت بإضمحلال حالها وحال أخواتها أكثر : فرنساوية ؟ ده أنا ضهري كان بيتقطم من شنطة المدرسة

نجم وهو يلفت إنتباه والده لهذا اللفظ الذي لم يتفهمه : يعني إيه يتقطم ؟

غيد وهو يحدجها بنظرات محتدة : إيه رأيك ؟ هيبتدي يلقط ألفاظك السوقية دي

فجر وهي تنحني لتوازي الصغير مُبدية عدم إهتمامها بقوله : يتقطم يعني يتكسر ، حاجة كده شبه آ....

_صمتت لحظة لتجد تفسيراً مناسباً ، ثم تابعت بثقة

فجر : يعني من كتر الوجع بحس إن ضهري أتكسر

نچم وهو يهز رأسه بفهم : فهمتك

فجر وهو تغمز له :أيوة خليك مركز معايا ، يلا بينا

_أعتدلت في وقفتها وسحبت كف الصغير ليتحرك خلفها ، ثم رمقته بإستخفاف قبل أن تعبر عتبة الحجرة ، فقد وجدت السبيل للنجاة منه..

طالما أن هذا الصغير بجانبها لن يستطيع هو الأقتراب منها حتى بمجرد القول .. بينما ضغط غيد أسنانه وهو يتعقب أثرهم متابعاً للموقف

....

_هطلت الأمطار المصاحبة لصوت الرعد بالخارج ، وبدأ الجو يأخذ شكلاً أكثر شتوية..

في هذا الآن من الليل ، تحرك يوسف داخل حجرة مكتبه .. حيث وضع حقيبة صغيرة على سطح المكتب وفتحها لتبرز محتوياتها .. أشار لداخل الحقيبة الجلدية وهو يقول

يوسف : دي بدلة جيبتها على مقاسك ياأمين زي ما أبوك قالي بالظبط ، معاها ساعة (silver فضية) وجزمة وبرفيوم ، كل حاجة هتحتاجها ، بس آ.....

سيد وهو يربت على كتف إبنه بتفاخر وقد تفهم مقصدهُ : مش عايزك تنعي (تشيل) هم يايوسف

باشا ، الواد أمين أبني يسلك في الحديد وهيخلص الموضوع على طول

أمين وهو يؤكد حديث والدهُ : سيبها على اللّه وعليا يابيه

يوسف وهو يفرك كفيه بتوتر : لو وقعت ياأمين أنا مش هقدر أسيبك وساعتها هضطر أكشف نفسي عشان ألحقك

سيد وهو يهز رأسه بالنفي : لالا ، أبني حرك (سريع الحركة، سريع التفكير(

يوسف وهو يطلق تنهيدة طويلة : أسمعني كويس ، بعد ما هتلبس وتتهندم ، هتطلع على الطريق اللي قولتلك عليه .. في نفس الوقت هيكون

سيد ماشي ورا حمودة عشان منفقدش أثره ، اللحظة اللي هديك فيها الإشارة تبدأ تنفذ فوراً

_أصبحت نظراته عدائية أكثر ، وصدر صوته مستزئراً مُتعطشاً للإنتقام .. هذه اللحظة التي أنتظرها طوال ثلاثة أشهر أو أقل ، سينال منهم واحداً تلو الآخر .. وسيسرق منهم الأنفاس كما سرقوا الدنيا من أسفل قدميها ، لقد أقسم على تلقينهم درساً قاسياً لن ينسوه طيلة حياتهم إن بقت..

وها قد بدأ بأولهم................................ !!

....

الفصل الثاني والعشرين

_أحكم يوسف إغلاق هذه الحقيبة ، ثم بسط يده بها نحو " أمين " وهو يتابع مُحذراً

يوسف : متنساش أي حاجة من اللي قولتلك عليها ياأمين

أمين وهو يلتقط الحقيبة منه : حاضر يابيه ، بس لازم يكون عندي خبر قبلها بكام يوم عشان أعمل حسابي

يوسف وهو يوجه أبصاره نحو سيد : هبلغ أبوك قبلها وهو هقولك

سيد وهو ينهض عن جلسته : أتفقنا ، نستأذن إحنا بقى

يوسف وهو يحرك رأسه بالإيجاب : مع السلامة

_سبق خطواتهم ليفتح لهم الباب ، ثم جعلهم يسبقونه للخارج ، وعقب أن أطمئن على إنصرافهم .. توجه لحجرة زوجته..

فتح الباب بحذر شديد وأطل برأسه ليجدها واقفة أمام الشرفة المفتوحة ترتشف من مشروبها الساخن وتتأمل حركة الأمطار وأصوات الرعد بالخارج.. لم تشعر ببرودة الهواء الذي لفح بشرتها ، بل إنها أشتاقت لهذه النسمات العليلة التي لم تنعم بها منذ بداية الشتاء..

أغمضت عينيها وتركت العنان لحالها لكي تسبح في هذه الأجواء الشتوية الرائعة .. بينما دلف يوسف للداخل وقد أقشعر بدنه وأستشعر بالبرد يضرب جسده ، فأنكمش على نفسه وهو يفرك كفيه ليدب فيهما الدفء وأقترب منها..

وضع كفيه على ذراعيها ففتحت عينيها فجأة لتنظر إليه من زاوية عينيها .. بينما أستطرد هو قائلاً

يوسف : مش بردانة ياحببتي ؟

رزان وهي تهز رأسها بالسلب : لأ ، الهوا وحشني

يوسف بلهجة قلقة : لا برضو ، أحسن تاخدي برد

_تجاوزها ليغلق زجاج الشرفة ، ثم عاد يقف جوارها وحاوطها بذراعه لتصبح هي أقل حجماً منه بكثير..

ألتقط الكوب من بين كفيها وبدأ يرتشف منه عدة رشفات قليلة ثم نظر إليها بدفء وهو يتابع

يوسف : حلو السحلب في الجو ده

رزان وهي تعقد ذراعيها أمام صدرها ثم أستندت برأسها على صدره : بيدفي

يوسف وهو يطبع قُبلة طويلة على رأسها : والحضن بيدفي كويس برضو في الساقعة دي

_ضحكت بخفوت على عبثه معها ، رفعت بصرها نحوه لتطيل النظر إليه وكأنها تود قول شيئاً ، أستشعر هو ترددها في ذلك وأرادها أن تفيض لهُ بكل ما بداخلها..

فمسح على جبهتها بكفه ثم سار بأصبعية السبابة والوسطى بداية من جبهتها وحتى طرف ذقنها..

نطق بترقب قائلاً

يوسف : شكلك عايز يقول حاجة!

رزان وهي تُخفض بصرها بإستحياء منه : أيوة

يوسف وهو يشد على ذراعه المحاوط لها راغباً في طمئنتها : طب أنا سامعك ، قولي اللي انتي عايزاه

رزان عقب أن أطلقت تنهيدة حارة أقشعر هو لها :

عايزة أروح أزور بابا

_لم يندهش ، ولم يُصبهُ الذهول ، بل إنه كان منتظراً رغبتها تلك منذ فترة ، ولكنها لم تكن تملك الجرأة لمواجهة أبيها مرة أخرى .. ولكنه لم يفكر في تبعات الأمر ورد الفعل المقابل لهما من السيد " مصطفى.. "

ظنت هي صمتهُ المفاجئ عدم الرضا عن رغبتها ، فأنعقد ما بين حاجبيها بذهول وهي تتسائل

رزان : سكت ليه ؟

يوسف : أكيد مش هرفض، أنا مقدرش أمنعك عن أهلك يارزان ، بس بفكر هتعامل إزاي مع الموقف

رزان وقد بدأت الدموع تتجمع في مقلتيها : مش عارفة إزاي ميسألش عني كل المدة دي ؟ للدرجة دي ما صدق يخلص مني

_كانت على وشك الإنفتاح في البكاء، فأراد هو إستدارك الموقف سريعاً قبل أن يخرج عن سيطرته..

أحتضن رأسها بين راحتيه وتعمق النظر لحدقتيها اللوزيتين ثم هتف مواسياً إياها

يوسف : لأ والنبي عياط لأ ، حببتي هو صعبان عليه اللي حصل وزعلان عليكي برضو ، بس كل واحد بيزعل بطريقته

رزان.......:

_أراد أن ينتقل بها لموضوع آخر قد يثير البهجة لديها ، فأبتسم إبتسامة مُغرية وهو يقول

يوسف : مش عايزة تعرفي المفاجأة اللي حضرتهالك

رزان وقد أنتبهت حواسها له وبشغف شديد هتفت : مفاجأة!

يوسف وهو يجذبها إليه : تعالي أوريكي

_جذبها نحو الفراش ثم أشار لها لتنحني بجسدها أسفله و.....

يوسف : أنزلي تحت السرير

رزان وقد أرتفع حاجبيها بذهول ثم نطقت بإستنكار : تحت السرير!

_ضيقت عينيها وهي تحدجه بنظرات ماكرة ، ثم هتفت بإستنكار

رزان : أنا مش مرتحالك!

يوسف وقد أقترب من وجهها مسافة تعدت المسموح : لو عايز حاجة هعملها على فكرة

_رفعت كفيها لتغطي وجهها وتحجبه عنه ، فأبتسم بعفوية وهو يدنو أكثر منها ليطبع قبلتين على كفيها .. ولمح أبتسامتها من خلف كفيها ، فهمس لها بصوت أخترق صميمها

يوسف : مش هتشوفي المفاجأة!

_شعرت بمدى قرب أنفاسهُ منها ، فسحبت شهيقاً مستمتعاً لصدرها وهي تقول

رزان : طب أبعد شوية

يوسف وهو يبتعد مسافة قليلة عنها : يامصبرني

_أبعدت كفيها وأخفضت بصرها لتنظر للأسفل ، ثم أنحنت بجسدها وأستندت على الأرضية..

وجدت صندوقاً مستطيلاً أسفل الفراش ، مغلف بقماش من الدانتيل الأبيض اللامع .. ومغلق بأنشوطة من الستان الأسود .. فأرتفع منسوب الشغف لديها لتعرف ما يحتويه هذا الصندوق..

قامت بتمديد جسدها أسفل الفراش ، بينما تبعها هو الآخر وتمدد جوارها بالأسفل .. قامت بنزع هذا الغلاف بصعوبة لضيق المكان بأسفل الفراش ، فتلوت شفتيه بسخرية وهو يقول

يوسف : طب كنتي طلعتيه بره أسهل بدل القعدة دي

رزان وقد تحمست بشدة لرؤية ما يحوية الصندوق : مش مشكلة بقى

_وأخيراً نزعت هذا الغلاف وقامت بفتح الصندوق ..

فوجدت ثوباً أبيض شديد اللمعان .. حتى أقترب لونه للفضى ، أستطاعت تخمين ماهية هذا الثوب بنظرة واحدة .. إنه ثوب زفاف ،

أجل ! أحضر إليها فستان للزفاف .. مُرفقاً معه الطرحة والحذاء المُرصع بالألئ والتاج الماسي الرقيق..

شهقت بعدم تصديق وهي تتأمل الثوب ، ثم أنتقلت ببصرها إليه و....

رزان : فستان فرح!

يوسف وقد تحولت نظراته لنظرات شغوفة : أحلى فستان لأحلى عروسة في الدنيا

رزان وقد أختلجها الإرتباك عقب نعتهُ لها بالعروس : عروسة!

يوسف وقد أحس بما تشعر به من إضطرابات نفسية : آه طبعاً عروسة ، ومش أي عروسة .. أنتي عروسة يوسف عدنان السويفي

_قالها بتفاخر شديد ولهجة مُغترة ، وكأنه يثيرها لتضحك .. ولكنها لم تستجيب له ، كان عقلها منشغلاً بأمر آخر .. إنها لم تتعافى بعد من أزمتها!

تشعر بإنها إن رفضت ذلك ستكون كَالظالمة له ، فقد أعانها كثيراً ووقف كَالظل لها .. كيف لها أن لا تحقق رغبته في إقامة حفل زفاف!

أنتشلها من تفكيرها وهو يهتف ب....

يوسف : رزان ، روحتي فين ؟

رزان وقد أنتبهت له : هه ، معاك

يوسف وقد أحس برجفة سارت في جسدها ، فأطبق على كفها يفركة وهو يهتف : أنتي خايفة مني ؟

رزان وكأنها وجدت المعنى الصحيح لما تشعر به : ها!

يوسف : أنا عايزك تنسي أي حاجة راحت ، أنتي أتولدتي من جديد معايا .. لو تعرفي أد إيه بحبك ، مش هترددي إنك تاخدي من حضني ملجأ

ليكي ، ثقي فيا وانا هفضل للنهاية راجل معاكي

_وكأن كلماته السحرية وصلت لفؤادها دون حواجز ، وضخت الإشتياق لشعور الحُب بداخلها..

هي تحتاج وجوده مُآزراً لها أكثر من أي وقت مضى ، ولكن شعورها بالخوف.. بالخزي.. بالحسرة على ما طالها ، يُضيع هذا الشعور ليبدله بالرغبة في تحاشي المُثيرات..

ولكنها ستجابه ذلك ، عليها التغلب على مخاوفها ، والقضاء على المعوقات التي ستحول بينها وبين تحقيق الراحة التي تستحقها ، ستبذل مجهوداً مُضنياً ، ولكنه يستحق العناء..

مالت برأها عليه لتستند على ذراعه ، ثم نطقت بصدق

رزان : وعايز تعمل الفرح أمتى؟

يوسف وقد أنفرجت أساريره : هروح الأوتيل بكرة وأحجز أقرب معاد فاضي ، وبعدها أرجعلك ونروح سوا لبابا

رزان : موافقة

_تحركت بتأوه وهي تهتف

رزان : يلا نطلع من هنا بطني وجعتني

يوسف بلهجة خبيثة : ما تخلينا هنا ، ده حتى الجو تحت السرير دافي

رزان وهي تقهقه بصوت مرتفع : يلا طلعني عشان أتفرج على الفستان براحتي

يوسف وهو يغمز لها بزاوية عينيه : صح ، وبالمرة نشوف المقاش لو عايز يتظبط ولا حاجة

رزان وقد تفهمت مغزى حديثه فضيقت عينيها وهي تقول : لأ هيطلع مظبوط ، أنا عارفة

يوسف وهو يمط شفتيه للأمام ، متحركاً للخارج : براحتك ، أنا كنت عايز أساعدك

رزان : لأ مش محتاجة مساعدة يابشمهندس

يوسف وهو يبتسم بعبث : ماشي ، بكرة تقعي تحت أيدي

....

_هذا المساء المعتدل في حرارته ، عقب ليلة عصفتها الأمطار الرعدية..

أنهى غيد مكالمته التليفونية مع يوسف ثم وضع هاتفه أعلى المنضدة الصغيرة وهو يهتف بحماسة

غيد : يوسف قرب يوصل هو ومراته

عدنان وقد أتسع محياه بإبتسامة عريضة : واللّه البت رزان وحشتني

دولت وقد تقوس فمها بإستهجان : طيب!

غيد وقد أستشعر إمتعاض والدته ، فأراد أن لا تنفسد الليلة أو أن تعكر صفو أخيه : ماما ، أرجوكي بلاش قلبة الوش دي قدام رزان ، يوسف قالي إنهم حددوا معاد الفرح وحجزوا في الفندق خلاص.. على الأقل عشان يوسف!

دولت وكأنها على وشك الإنفجار : مش شايف أخوك وعمايله ، برضو نفذ اللي في دماغه وأضرب انا دماغي فى الحيط

عدنان وقد أحتدت نبرته : دولت ، مرات إبنك دي ست البنات ، بنت ناس محترمين وعارفين أصلها والبت مقصرتش معاكي في يوم

دولت وقد تبدلت ملامحها للضجر : بس بقت آآ....

عدنان بصوت حازم جعلها تبتلع حديثها : مفيش بس ، أعتبري مفيش حاجة حصلت ، سعادة إبني عندي بالدنيا

دولت وهي تغمغم بخفوت : أوف ، بس لو مكانش اللي حصل ده حصل!

عدنان وهو يسترق السمع إليها : بتقولي حاجة ؟

دولت بلهجة مقتضبة وهي تشيح ببصرها عنه : خلاص ياعدنان

عدنان وهو يشير نحو الطابق العلوي : لو مش هتقابلي بنت الناس كويس وتضحكي في وشها أطلعي نامي في أوضتك ، عشان مش ناوي أتعكنن النهاردة أنا عايز أفرح بأبني

دولت وهي تضغط على فكيها : لأ قاعدة على قلبكم

_غمز غيد لأبيه تعبيراً عن إعجابه لهذا التصرف الجاد مع والدته ، فبادله التغامز وقد أتسع ثغره بإبتسامة واثقة..

وفجأة ، تذكر غيد وجود فجر بصحبة " نجم الدين " في حجرته .. فعبست ملامحه فجأة وقرر الصعود إليها حتى يشدد عليها ألا تحتك بأخيه ولو بالحديث..

ولكنه عدل عن تلك الخطوة عندما أستمع لصوت رنين الجرس ، فذم على شفتيه بضيق وهو يهتف

غيد : يادي الحظ ، ملحقتش أتصرف

_خرج غيد عن حجرة المعيشة ليقوم بإستقباله ، حيث رحب بهما ترحيباً مُبهجاً أدخل السرور لقلوبهم..

ثم دعاهم للدخول إلى الحجرة الداخلية ،

بينما لكز عدنان ذراع زوجته وهو يهتف بصوت مستتر

عدنان : أضحكي

دولت وهي ترسم إبتسامة مزيفة على محياها : أهو

_ولجت رزان أولاً وقد شعرت بالحرج من مواجهة حماتها ، ولكنها تفاجئت بها تضحك إليها وتقول

دولت : أهلاً وسهلاً ، نورتو ياحبايبي

رزان وقد أتسع فاهها ببلاهة غير مصدقة : هه ؟ منور بيكي ياماما

_صافحتها فبادرت دولت بإحتضانها على مضض إرضاء لزوجها وولدها .. بينما سعد يوسف كثيراً لهذا التغيير الذي أعترى والدته ، وبدا وجهه مشرقاً أكثر..

وعندما أنتهت من الترحيب بها أقترب منها ولدها ليقوم بتقبيل يديها ورأسها تعبيراً عن أمتنانه لها .. فشعرت هي الأخيرة بالسعادة عندما رأت تأثير فعلتها على إبنها..

في نفس الحين ، كان عدنان يرحب بها ترحيباً مميزاً..

حيث مسح على كتفها بحنو وهو يقول

عدنان : عاملة إيه يابنتي ؟ واللّه ليكي وحشة

رزان وهي تبتسم بعذوبة : الحمد للّه، وانت كمان يابابا واحشنا

عدنان وقد زقزق قلبه طرباً لنعتها له بالأب : اللّه على بابا وهي طالعة منك ، كان نفسي في خلفة البنات واللّه بس انتي جيتي عوض ياحببتي

يوسف وهو يتبادل النظرات مع شقيقه الأكبر : ليه كده يابابا ، مالها خلفة الرجالة بس!

غيد وقد رسم الضيق على ملامحه : هو احنا قصرنا في حاجة ياحج!

عدنان وقد ساد الهيام على وجهه : خلفة البنات حاجة تانية خالص

يوسف وهو يوجه أنظاره الحاقدة لزوجته : أديكي خدتي التورتة لوحدك وإحنا واقفين كده!

_قهقه الجميع قبل أن يأخذ كل منهم موضعه

في الجلوس ، ثم تسائل عدنان بتلهف

عدنان : الفرح أمتى ياولاد فرحوني

يوسف بلهجة متحمسة وهو يفرك أصابعه سوياً :

الأسبوع الجاي بأذن اللّه

غيد وقد أرتفع حاجبه بذهول : بسرعة كده؟

عدنان وقد عبست ملامحه : سرعة إيه ياغيد ،

إحنا بقالنا كتير مستنين يابني

دولت والبسمة المزيفة لا تفارق ثغرها : وأهلك

عرفوا ولا لسه يارزان ؟

رزان وقد تبدلت ملامحها ، وأزدادت حرارة وجهها من هذا السؤال : أصل.....

يوسف وهو ينوب عنها ليزيل هذا الحرج : أيوة ياماما ، كنا عندهم قبل ما نجيلكم بس للأسف عمي مصطفى مكنش موجود وهنروحله وقت تاني

غيد : على خيرة اللّه ، وتذاكر ال honey moon عليا ، هحجزلكوا في أحلى شالية في الجونة

يوسف وقد تبدلت ملامحهُ فجأة : سيب حكاية ال honey moon دي عليا ياغيد ، أنا مأجلها للوقت المناسب

عدنان عاقداً حاجبيه : ليه يابني ، لو على الشغل أخوك ها....

يوسف وهو يهز رأسه مقاطعاً له : لأ مش حكاية شغل ، بس في شوية حجات هظبطها الأول

_أستشعرت رزان وجود شيئاً مريباً في الأمر ، فنظرت نحو غيد وكأنها تستفسر منه ، ولكنه مط شفتيه للأمام كَتعبير عن عدم علمه .. فزاد قلقها ،

أراد يوسف الخروج عن هذه النقرة حتى لا يثير شكوك الجميع حوله ، فنظر حوله وهو يقول

يوسف : فين نچم ؟

غيد وهو يعض على شفتيه بحنق : بياخد درس ال France(فرنساوي) في المكتب فوق

رزان وقد أخذتها الحماسة لرؤية الصغير : طب انا هطلع أشوفه

غيد وقد حدقت عيناه بتخوف : أيوة بس....

عدنان : أيوة يابنتي شوفيه خلص ولا لأ

_أبتلع غيد ريقه وهو ينظر نحو شقيقه ، فشعر يوسف وجود أمراً ما بالأعلى لا يرغب غيد في رؤية " رزان " له..

فتسائل يوسف مدعياً صفو النية و.....

يوسف : هو نيم لوحده مع الميس بتاعته ولا معاه حد من أصحابه؟

عدنان : معاه المربية بتاعته بس ، مبياخدش الدرس مع حد

يوسف وقد حملقت عيناه لاإرادياً : المُربية ؟

طب انا هطلع أشوفه انا كمان

غيد متحمساً للفكرة : اه ياريت

_طرقت رزان باب الحجرة قبيل أن تدلف للداخل ، فوجدت المعلمة الخاصة بمادة الفرنساوي قد أنتهت للتو وحزمت حقيبتها الجلدية تأهباً للرحيل .. فحيتها رزان وهي تقول

رزان : Bonsoir (مساء الخير)

المُعلم : Bonsoir, Madame (مساء الخير سيدتي)، أستأذن أنا

رزان وهي تفسح لها المجال : أتفضلي

نيم وقد تهللت أساريره عند رؤيتها : طنط رزان ، وحشتيني

رزان وهي تنحني لتُقبل جبينه : وانت كمان ياچومي واحشني

_كانت فجر تعتلي المقعد المقابل للنافذة المفتوحة ، تتفحص أحد المجلات النسائية الشهيرة حتى يمضي وقت الدرس سريعاً .. ولكنها تركت ما بيدها عندما رأت هذه الفتاة الجميلة تهل عليهم بطلتها الراقية..

فتفحصتها جيداً ، بينما رمقتها رزان بإستغراب

وهي تتسائل

رزان : مين دي يانجم ؟

نجم بعفوية زائدة : دي هتبقى مرا..... قصدي

المربية بتاعتي الجديدة

رزان وقد أرتسمت إبتسامة مجاملة على محياها :

أهلا بيكي

فجر وهي تنهض عن مقعدها لترد عليها التحية

بالمصافحة : وبيكي

نجم وهو يشير نحو رزان : دي مرات عمو يوسف

فجر وقد أتسعت حدقتيها بعدم تصديق : أيه ؟

رزان وقد أعترتها الدهشة لرد الفعل الغريب هذا :

في حاجة؟

_شعرت فجر بأن الأمر سينفضح أمامها " رزان " ، فجاهدت بصعوبة لتواري هذا الغيظ الذي أشتعل بداخلها منه ومن خداعه لها لهذا الحد .. فنطقت مبررة رد فعلها المريب و.....

فجر : أصل شكلك صغير أوي ، ميبانش عليكي إنك زوجة

رزان بنية صافية وقد تفهمت مقصدها : لسه مبقتش زوجة ، إحنا كاتبين الكتاب بس

يوسف : رزان!

_أستمعت لصوته في الخارج فتأججت النيران بداخلها أكثر ، ودت لو تنقض عليه فتقبض على أنفاسه..

فقد سبب لها الفضيحة بينما هو يعيش في حياة وردية رغيدة مع تلك التي ستحمل أسمه .. أما هي فتركها لألسنة الناس يتهامزون عليها ،

عادت رزان برأسها للوراء وهي تجيبه و.....

رزان : أيوة ياحبيبي ، انا هنا!

يوسف وهو يتحاشى اللقاء معها تجنباً لعدم فضح الأمر أمام زوجته : طب هاتي نجم وتعالي ننزل

رزان وهى تومئ رأسها بالقبول : حاضر

_أصدر هاتفه إهتزازات عديدة بداخل جيبه ، فأخرجه لينظر لشاشتهُ وهو مشوش الذهن غير متزن التفكير..

ليجد إتصالات عديدة من " سيد " فأضطر للإيجاب عليه و.....

يوسف وهو يشير لرزان : أنزلو وانا هرد على التليفون وأجي

رزان وهي تعبر من جواره : حاضر

_سلط أنظاره عليها وهي تهبط الدرج حتى أنهته ، ثم ألتفت ليسير عبر الرواق متجهاً نحو حجرته

المغلقة منذ أن ترك المنزل .. ليجيب في سرية تامة على هذا الأتصال ،

وعندما أطمئن من مناسبة المكان له ضغط لمس هاتفه للرد و....

يوسف : أيوة ياسيد ، أيوة خلاص كل حاجة اتظبطت.. يوم التنفيذ هيكون يوم فرحي ، عشان الإحتفال يكون مزدوج ، الأسبوع الجاي هنكون خالصين منه ، يبقى تمام

_أغلق هاتفه ، ألتفت ليخرج عن حجرته ، ولكنه تفاجئ بها تظهر أمامه وعلى وجهها تعبيرات لا توحي بالخير..



رمقته بإحتداد قبل أن تلج لداخل الحجرة وتغلق الباب من خلفها ليصبحا منفردين و...............

....

الفصل الثالث والعشرين

_حل العبوس على وجهه عقب أن تجرأت هي على الأجتماع به منفردين ، فتنغض جبينه بسخط شديد ثم حدجها بإحتقار قبل أن يهتف بحزم

يوسف : إي اللي دخلك هنا ؟

فجر وقد أحتدت نظراتها : في بينا حساب ، لازم يتقفل دلوقتي

يوسف وقد عقد ساعديه أمام صدره وهو يرمقها بإستخفاف : حساب إيه ان شاءللّه؟

فجر بملامح ممتعضة : فضيحة عملتهالي وعمري ما هقدر أنساها ، أنا أذيتك في إيه عشان تعمل فيا كده!

يوسف وقد أرتفع صوته بإنفعال : أبقي أسألي أبوكي ، متسألنيش أنا

فجر وهي تهز رأسها بعدم تصديق : أبويا ميعرفكش وأول مرة شافك فيها كان في القسم

يوسف وهو يبتسم بسخرية من زاوية فمهُ : بجد! فعلاً هو ميعرفنيش ، والأذية اللي قدمهالي مكنتش مباشرة ، لكن هتفضل معلمة معايا لحد ما أموت

فجر وقد أتسعت حدقتيها بذهول : للدرجادي!

طب وانا ؟ أنا ذنبي إيه تعشمني بالجواز وتسيبني بفضيحة وسط الحتة كلها ، الرايح والجاي بيتكلم عليا

يوسف وقد تلوى ثغره بعدم أهتمام : الناس هتنسى ، لكن اللي حصلي ميتنسيش!

فجر وقد هدرت فيه بصوتها : ماليش دعوة باللي حصلك ، أنا ذنبي إيه ! تاخدني في سكته ليه .. ليه!

_أنتظر غيد هبوط أخيه في أعقاب زوجته ولكنه لم يحدث ، أستشعر وجود ما لا يُحمد عُقباه .. فحبذ التدخل السريع قبل أن تتفاقم الأمور ، فتحرك خلسة وصعد الدرج بخطوات

شبه راكضة .. ثم جاب الرواق بعينيه ليستنتج أين هما ، وإذ بصوتهما يأتي من حجرة يوسف ، فتحرك سريعاً و.......

فجر : أنا مش هتحرك من هنا قبل مااعرف أنت عملت معايا كده ليه

يوسف وهو يدفعها لتبتعد عن طريقه : أوعي من قدامي بدل ما أتصرف معاكي تصرف همجي مش هيعجبك

_ترنحت فجر ولكنها تماسكت جيداً ، ثم هتفت بعبارة مباغتة جعلته يتوقف بمحلهُ و...

فجر : يبقى هقول لمراتك على كل حاجة ،
وهي بقى تعرف السبب

_فتح غيد الباب على غفلة منهم ، فألتفت يوسف برأسه ليواجهه .. كز على أسنانه بغيظ شديد ثم هتف

يوسف : شايف بنت الحواري ! بتهددني أنا ؟

غيد وهو يذم على شفتيه بحنق : أنسى اللي حصل وانا هتصرف

يوسف وهو يضغط على قبضته المتكورة : البت دي مستحيل تفضل هنا ، يأما أنا اللي مش هعتب هنا تاني

_تركهم وأنصرف متعجلاً، بينما أشاحت فجر بصرها عنه لتتحاشى هذه النظرات المشتعلة التي كادت تقتلها..

أدعت الثبات ، بينما بداخلها يرتجف..

فأقترب منها غيد وهو ينطق بلهجة مزدرية

غيد : قسماً باللّه ، لو مبعدتيش عن يوسف ومراته لأكون قالب عليكي الدنيا ، ومش هيكفيني أرميكي انتي وأهلك في الشارع

فجر بصوت خالجه النشيج : أنا عايزة أعرف ليه وبعدها هسكت خالص ، أعرف بس!

غيد : لو جه الوقت المناسب ساعتها هبلغك ، غير كده .. لأ ، والمناقشة أنتهت

_أستدار وأغلق زر الإنارة ، وسار خارج الغرفة وأشار لها لتتبعه .. ثم أوصد الباب ، وتركها بمفردها في هذا الرواق.

....

_وقفت سيارة " يوسف " بالقرب من البناية التي تقطن بها أسرة رزان .. منتظرين حضور السيد " مصطفى " عقب أن ينهي أعماله..

حيث حضرت منذ قليل بصحبة زوجها ، ولكنه لم يكن موجوداً بالمنزل .. فعاودت الذهاب إليه مرة أخرى قبل أن تعود لمنزلها ، ظلت قابعة بالمقعد الأمامي ، تتفقد الماريين في الطرقات عسى أن تلمحه وسطهم..

فتفاجئت بكفه الدافئ يحوط بكفها البارد ، فألتفتت تنظر إليه ثم أبتسمت على أستحياء وهي تقول

رزان : أيدك دافية كالعادة

يوسف وهو يشدد قبضته على قبضتها برفق : وانتي أيدك متلجة كالعادة ، مش عارف هفضل أدفي في أيديكي لحد أمتى

رزان وقد أنعقد حاجبيها بإستنكار : حاسة إنك معترض!

يوسف بلهجة رسمية : وانا أقدر برضو يابشمهندسة

رزان وهي تتنهد بقوة وقد أصابها الحنين : وحشني الشغل ، ووحشني كلمة بشمهندسة

يوسف وهو يشبك أصابعه بين أصابعها : هانت ياحببتي ، شوية وهترجعي تنوري مكتبك وشغلك

_أنتبهت رزان لطيف والدها الذي ظهر عن بُعد ، فشهقت بصوت خفيض ثم نزعت كفها منه بعجلة وهي تقول

رزان : بابا جه

يوسف وهو يقبض على ساعدها ليحول بينها وبين الترجل عن السيارة : أستنني يارزان ، لما يطلع البيت على الأقل ، إحنا مش ضامنين رد فعله

رزان وهي تهز رأسها بموافقة : طيب

_ظل الصمت هو سيد الموقف ، ومرت الدقائق كَالساعات عليهم ، حتى هتف يوسف ب....

يوسف : متهيألي كده خلاص ، أنزلي

_ترجلت عن السيارة ولحق هو بها ، ضغط على جهاز التحكم لأغلاق السيارة ، ثم سار في أعقابها..

صعدا الدرج بخطوات ثابتة .. ثم توقفت رزان أما باب الشُقة قليلاً ، وكأنها تستعيد رباط قوتها حتى تستطيع مواجهته .. في حين وقف يوسف خلفها منتظراً لقدومها على الأمر ، لم ينبث بكلمة حتى لا يشتت تفكيرها ،

بينما سحبت هي شهيقاً عميقاً قبل أن تقرع على الباب بدقات خافتة..

ثوانٍ وكان أحمد يفتح لها الباب ، فنظر لها مذهولاً وهو يقول

أحمد : أنا أفتكرتك هتيجي بكرة ، مش ترجعي تاني في نفس اليوم!

رزان وهي تهز رأسها بالنفي : مكنش ينفع ياأحمد

_ألتفت أحمد ليستكشف محل والدهُ بالشُقة ..
ثم عاود النظر إليها وهو يردد بصوت خفيض

أحمد : طب أدخلي بسرعة

رزان وهي تخطو للداخل : حاضر

_تحرك يوسف في أعقابها ، فأغلق أحمد الباب بحذر ، بينما ألتفت يوسف ليرمقهُ بترقب هاتفاً

يوسف : ناوي على إيه ياأحمد ؟

أحمد وهو يقترب من شقيقته ، ويهمس بصوت لا يسمعه غيرهم : ماما دلوقتي في المطبخ ، وبابا

في الأوضة لوحده .. أدخلي عليه لوحدك ،

والباقي عليكي

يوسف وهو يبتلع ريقه بشئ من القلق : لوحدها؟

أحمد وقد أنعقد حاجبيه بعدم رضا : أيوة

لوحدها يايوسف ، متخافش عليها ده مهما كان

أبوها برضو

_سحبت رزان ذرات من الهواء لصدرها ثم زفرتها

بتمهل ثم أعادت العملية أكثر من مرة متتالية..

تحركت بخطوات مرتبكة نحو غرفة والدها ،

دقت على الباب بخفوت وقد علت دقات قلبها مع

كل قرعة تقرعها على الباب .. حتى أستمعت

لصوت والدها الذي أشتاقت إليه كثيراً وهو يسمح

بالدخول و....

مصطفى : تعالى ياأحمد ، أنا لست منمتش

_ولجت رزان للداخل وأشارت ليوسف بالتوقف

حتى لا يتبعها ، ثم أغلقت الباب بتوتر شديد..

وقفت بمحلها عدة لحظات لا تجرؤ على الحديث ،

حتى أتاها صوت والدها من خلف مقعده الخاص

والقديم الطراز..

مصطفى : في حاجة ياأحمد ؟

_لم تجبه ، بل ظلت في صمتها بعض الوقت ..

فأعتراه التعجب لهذا الصمت المريب ،

فألتفت برأسه ليرى ما الذي يحدث خلفه ،

ليتفاجئ بها تقف منكمشة على نفسها تهاب رد فعله .. فنهض متشنجاً عن المقعد وحدجها بغضب وهو يردف

مصطفى : أنتي إيه اللي جابك هنا! وأزاي تدخلي من غير ما أسمحلك

رزان بصوت خالجه الحنين الممزوج بالبكاء :

وحشتني يابابا ، بقالي كتير نفسي أشوفك

مصطفى وهو يغالب هذا الشوق الجارف إليها :
متقوليش يابابا ، جاية ليه وعايزة إيه ؟ مش
خلاص بقالك بيت وجوز ، عايزة إيه ؟!

_بدأت شجاعتها تقودها للحديث ، فتخلت عن
خوفها وتقدمت منه خطوة وهي تقول

رزان : ليه أتخليت عني في عز ضعفي ، أنا كنت
محتجاك في ضهري أكتر من جوزي! ليه
حملتني الذنب وانا المدبوحة!

مصطفى بصوت حازم : أنتي جيبتيلي العار !
كسرتيني أنا واخوكي

رزان وهي تهز رأسها بإنفعال رافضة إتهامه لها : مش ذنبي ، أنا اللي أتغدر بيها وأتجنى عليها ، وفي الآخر كنت عايز تداريني تحت التراب ! كنت عايز تقتلني وتخلص مني..

ده ربنا قال ((ولا تقتلوا النفس التي حرم اللّه إلا بالحق))

_أرتبك مصطفى عقب أن ضعفت حُجتهُ أمام هذه الآية القرآنية ، ولكنه تستر على هذا الشعور وهو يغالب قلبه قائلاً

مصطفى : أنتي السبب في اللي حصل مش حد تاني ، لو كنتي متربية مكنش خرج منك أي تصرف يلفت نظرهم ليكي

رزان وقد أرتفع حاجبيها بعدم تصديق وأنفرجت شفتيها بصدمة وهي تتابع : أنا!!

ده انا تربية إيديك ! كل الناس بتحلف بيا وبتربيتك فيا ، عمر الغلط ما طلع مني .. بس إحنا وسط ديابة

_تذكرت حادث تلك الطفلة التي لاقت مصرعها عقب إغتصابها بطريقة وحشية ، فأقشعر بدنها وضمت ذراعيها لصدرها وهي تقول

رزان : والبت اللي عندها ١٢ سنة كمان مش متربية ولفتت نظرهم!

مصطفى وهو يتحرك ليبتعد عنها : أطلعي بره مش عايز أسمع حاجة

رزان وهي تشدد على معتقدها : ليه على طول إحنا اللي غلط ! لو البنت أتحرشو بيها تقولو لبسها وحش ، ولو واحدة أغتُصبت تقولو لفتت النظر!

ليه مش معترفين إن اللي بيحصل برة عننا وملناش يد فيه ! زمان كانت البنات بتمشي في الشارع بالفساتين على الركبة والچيب القصيرة ، ليه مكنش في أغتصاب رغم إن الحجاب مكنش منتشر ساعتها واللبس مكشوف أكتر من دلوقتي

مصطفى وقد نفذ صبره وعجز أمام حديثها المقنع

: زمان غير دلوقتي

رزان وهي تهز رأسها بالإيجاب : صح ، زمان كان في أخلاق ، كان في دين أكتر من دلوقتي .. زمان كان في أمان ، أقولك على حاجة!

_ولاها إهتمامه ونظر نحوها لتنطق هي ب....

رزان بلهجة آسفة : زمان كان في رجالة ، دلوقتي بقينا بنستغرب لو شفنا راجل

_حاد ببصره عنها ثم أعتلى مقعده مرة أخرى ، بينما تحركت هي بخطوات متأنية نحوه وجلست في وضع القرفصاء أمام قدميه .. نظرت إليه مليًّا حيث سقطت عبرة خائنة من طرف جفنها وهي تقول

رزان : أنا محتجاك

مصطفى وهو يشيح ببصره عنها : روحي لجوزك ، هو أحن عليكي

رزان وقد شعرت بغصة تقتحم حلقها : طب وفرحي ! هتسيبني في ليلة زي دي بدل ما تسلمني لجوزي ؟

مصطفى بلهجة مذهولة : فرحك!

رزان وهي تومئ رأسها بالإيجاب : فرحي الأسبوع الجاي

مصطفى بنبرة جافة متبلدة : مبروك ، افرحي انتي أنا ماليش في الأفراح

رزان : فرحتي مش هتكمل من غيرك

مصطفى وهو يرمقها بجدية :وانا مش بروح أفراح حد

_دفعها لتبتعد عن ساقيه ، ثم أتجه نحو فراشه..

دثر نفسه أسفل الغطاء مدعياً النوم حتى يتخلص من مطاردتها .. بينما نهضت هي لتقف بمحلها ، علقت ببصرها عليه لحظات قبل أن تنكس رأسها للأسفل بخزي وتتحرك نحو الخارج..

كان شقيقها وزوجها بإنتظارها وأنضمت إليهم السيدة إلهام أيضاً ، وعندما لمحها شقيقها تحرك سريعاً وهو يتسائل

أحمد : وصلتي لأيه يارزان ؟

رزان : ولا حاجة

_أجهشت بالبكاء وهي تلقي برأسها بين أحضان شقيقها ، فضمها الأخير وهو يربت على ظهرها بعاطفة أخوية صادقة .. بينما تحركت والدتها نحوها وأنتزعتها من أحضان شقيقها وضمتها هي إليها وهي تقول

إلهام : متزعليش نفسك ياضنايا ، بكرة يروق وربنا يصلح ما بينكو قادر ياكريم

_رغب يوسف بعدم التدخل أو حتى مواستها ، فهي تحتاج لأحضان أسرتها الآن وليس هو..

فأحتفظ بالصمت وتركها حتى أفرغت تلك الطاقة السلبية ثم أصطحبها للعودة إلى منزلهم..

وأثناء الطريق ، ألحت هي في طلبها بالرغبة في مقابلة الطبيبة الخاصة بها .. فأستجاب لها سريعاً و....

رزان بصوت أصابه الوهن : أنا عايزة أروح لدكتورة بتول

يوسف وهو يوزع نظراته بينها وبين الطريق أمامه :

حالاً هوديكي العيادة عندها ، مش هستنى هي تجيلك ، بس ممكن تهدي

رزان وهي تستند برأسها على ظهر المقعد الأمامي :

حاضر

_وبالفعل أصطحبها لتلك السيدة التي أجادت فن التعامل مع حالتها وأستطاعت الإنتقال بها بحرفية بين مراحل العلاج .. والآن هي تحتاج إليها حاجة ماسة ، عقب أن شارفت على الإنهيار من جديد.

....

_عقب أن أنهى " نجم الدين " وجبة الغداء الخاصة به ، شعر بالرغبة الشديدة في النعاس..

تثائب بأرهاق ونهض عن مكانه وهو يهتف

نجم : أنا هنام شوية يافجر ، لما بابا ييجي ممكن تصحيني؟

فجر وهي تنظر لساعة يدها : بس بابا لسه بدري على المعاد بتاعه يانجم ، هتنام كل ده!

نجم وقد عبست ملامحهُ فجأة : قولتلك أسمي نجم ، نجم مش نجم .. أنتي ترضي أغلط في أسمك

فجر وقد تلوت شفتيها بسخط : أسمي مش محتاج ولا أعطشه ولا أجوعه حتى

نيم بلهجة فضولية شديدة : هو انتي أسمك فجر ليه ؟

فجر وقد تزين ثغرها بإبتسامة حيوية : عشان أمي جالها الطلق فيا لما كان الفجر بيأذن

نيم وقد تنغض جبينه بعدم فهم : طلاق إيه ؟

_تأففت فجر من عدم فهم الصغير لها ، فتجهمت ملامحها وهي تتابع

فجر : يعني أنا أتولدت وقت الفجرية ، فاسموني فجر

_أستمعت لرنين هاتفها المنخفض ، فأسترقت السمع إليه لتكتشف مكانه ، وتحركت من مكانها لتلتقطه من أعلى الكومود ،

نظرت للشاشة بتركيز لتجد أسم شقيقها ينير الشاشة .. فشعرت بالقلق وهي تضغط عليه للرد و.....

فجر : أيوة يامحمود ، حصل حاجة ولا إيه!

محمود : لأ متتقلقيش ، بس عايز أسئلك أنتي نسيتي تسيبي فلوس الكتب بتاعت معهد الواد عمر ؟

فجر وهي تضرب ببطن كفها على جبهتها : يالهوي ، نسيت خالص .. لما أرجع بالليل ها.....

محمود مقاطعاً إياها : مينفعش يافجر ، المكتبة بتقفل بدري والواد لازم يروح المعهد بكرة بالكتب دي!

فجر وهي تذم على شفتيها بضجر : طب أدفعله انت لحد ما أجي

محمود وقد أصابه الحرج الشديد : مفيش في جيبي غير ٦٠ جنية ياأختي ، وهو عايز ٢٤٠ جنيه

فجر وهي تنظر نحو الصغير بحيرة شديدة : بس انا قاعدة مع الولد مقدرش أسيبه وامشي ! أبوه محذر عليا

_تفهم الصغير ما يحدث من حوله ، فأراد بطفولته البريئة أن يساعدها .. لذا أقترح عليها وهو يهمس بخفوت

نجم : انتي ممكن تاخديني معاكي وساعتها مش هتسيبيني لوحدي!

فجر وقد أضاء عقلها بهذه الفكرة المُرضية :

تصدق فكرة!

محمود بعدم فهم : فكرة إيه ؟ أنتي بتتكلمي مع حد!

فجر وقد أنتبهت لأخيها : ولا حاجة ، أنا هجيلك في السكة أهو

محمود : طب متتأخريش

_أستغلت فجر فرصة غياب " دولت " وقررت أصطحاب الصغير معها لهذا الحي الشعبي..

حيث فرضت عليها الضرورة ذلك ، فألبسته ثيابه المنمقة وأستعدت هي الأخرى لمغادرة المنزل سريعاً قبل أن يحضر أحدهم ، حيث أستقلت سيارة للأجرة حتى تذهب سريعاً وتعود سريعاً..

_في هذا الحي الشعبي ، وعلى وجه التحديد بداخل أحد المباني العتيقة والتي ولّى عليها الزمن..

صعب نجم الدين درجات السلم بصعوبة بالغة لعدم تساوي الدرجات وإنكسار بعضهم وتشقق البعض الأخر..

حتى وصلا للشُقة المطلوبة .. ولجت فجر للداخل عقب أن أجلسته بالخارج وشددت عليه عدم التحرك و....

فجر وهي تشير بسبابتها : خليك هنا أوعى تتحرك!

نجم الدين : حاضر

_أختفت فجر بداخل أحد الغرف ، بينما راح الصغير يستكشف معالم هذه الشُقة التي لم يرى مثيلها من قبل .. لفت أنتباهه وجود الكثير من الشروخ العميقة بالحوائط ، وألوان المنزل الباهتة والتي أضفت على نفسه الضيق..

وأثناء تمعنه في النظر لهذا الأثاث القديم الذي يحاوطه لاحظ حركة غريبة بالقرب منه .. فألتفت ليجد طفلاً صغيراً بملابس أقل من المستوى العادي ، في بداية الأمر شعر بالإشمئزاز من هيئته .. ولكنه تجاوز هذا الشعور وهو يتسائل

نجم : أنت أسمك إيه؟

محمد وهو يحك صدغه بأطراف أصابعه المتسخة : محمد

نجم وهو يبتسم له بعذوبة : وانا نجم

_أستمع الطفلين لصوت قرعات على الباب، فتحرك محمد راكضاً نحو الباب ثم فتحه ليجد

شقيقته الصغرى وهي تحمل بعض الشطائر الجاهزة و......

ملك : انا جيبت سندوتشات فول من عم عبدو

محمد وقد أبتسم لها بشهية مفتوحة : طب هاتي واحد انا جعان أوي

_جلس الصغار على الأرضية يتناولون الشطائر ، ولكن أنتبه محمد ل " نيم"

فنهض سريعاً وهو يمسك بأحد الشطائر ومد يده بها وهو يهتف

محمد : خد كُل ده

نجم الدين وهو يهز رأسه بالرفض : لأ مش عاوز

محمد وقد تذمرت نبرته وهو يرجوه : عشان خاطري عشان خاطري

نجم الدين وقد راقت له هذه الرائحة الذكية : طيب هاخد حتة صغيرة

_قطع نجم قطعة من الشطيرة وتناولها متلذذاً بهذا المذاق الجديد الذي لم يتذوقه من قبل .. تقوم جدته بنفسها بطهي وجبة " الفول " ولكنها لم تكن يوماً بهذه اللذة..

فقام بإلتقاط ما تبقى من الشطيرة وراح يلتهمها بشراهة.

_جلست فجر على حافة الفراش الذي تعتليه والدتها ، ثم بدأت تتحدث إليها و.....

فجر : كده انا سيبالك ٦٠٠ جنيه للضرورة ياماما ، لو حصلت حاجة وانا مش موجودة أتصرفي

أمينة وهو تطوي النقود لتخبئها بداخل ملابسها : ماشي يابنتي ، وانا مش هجيب سيرة لأبوكي خالص أحسن يحط عينه الفارغة عليهم

محمود وهو يجاورهم في جلستهم : سيبتي أبن الباشا فين يابت يافجر؟

فجر وقد تذكرت أمر الصغير الجالس بمفردهُ في الخارج، فنهضت سريعاً عن مجلسها وهي تقول : يالهوي ، الواد بره لوحده أنا هطلع أشوفه

_خرجت فجر عن الحجرة الصغيرة فتفاجئت به يجلس مع أشقائها الصغار ويتسامرون سوياً بأحاديث طفولية غير مهمة بالنسبة لها .. فتنهدت وهي تقترب منهم و....

فجر : مش يلا بينا يانجم!

نجم وهو يبتلع اللقيمة الصغيرة : حاضر

فجر وهي تنحني بجسدها عليه، ثم حدجته بدهشة وهي تهتف : أنت بتاكل إيه؟

محمد وهو يقف عن جلسته : أنا أديته سندوتش فول وخلصه كله

فجر وقد أنفرج ثغرها بعدم تصديق : فول !
وعجبك الفول اللي عندنا ؟

نجم الدين بلهجة متحمسة : أوي يافجر ، أحلى من بتاع نينة

محمود وهو يغمغم بإمتعاض : صحيح الكحكة في أيد اليتيم عجبه

فجر وهي تشير لشقيقتها الصغرى : يلا ياملك خلصي وأدخلي ذاكري مع مريم جوه

نجم الدين وقد حملقت عينيه بعدم تصديق : هو في أخوات تاني ليكي جوه؟

محمد وهو يرفع أصابعه الستة للأعلى : إحنا ستة ، أبله فجر وأبيه محمود وانا وعمر ومريم وملك

نجم الدين وقد أرتفع حاجبيه بإندهاش : كل ده!

محمود وقد أكفهرت ملامحه : قول اللّه أكبر

_أنفتخ باب الشُقة ليعبر " حمودة " من خلالها ، كانت ملابسه ملوثة بالشحم الأسود وقد تلوث وجهه أيضاً..

وعندما رأه الصغير تحرك سريعاً ليحتمي بفجر عقب أن أصابه الذعر من هيئة هذا الرجل و.....

نيم بلهجة فزعة : مين ده؟

محمد وهو يشير صوب والده : ده بابا

حمودة وهو يتفحص هيئة الصغير جيداً : إيه الحجات النضيفة اللي عندنا دي! مين العيل ده؟

فجر بلهجة مقتضبة : ده تبعي ، ابن صحاب الشغل

محمود : شكلها كده العربية عملتها معاك!

حمودة وهو يتأمل حاله بتأفف : آه ، بقت حاجة بنت****

_شهق الصغير وهو يغطي فمه بكفيه ، فأنتبهت فجر لوجوده أثناء تلفظ والدها بالسباب اللاذع .. فأضطربت ملامحها وهي تقول

فجر : إيه اللي بتقوله ده! الولد واقف

حمودة وقد تقوست شفتيه بحنق : وماله

_أطبقت فجر على حقيبتها ثم أمسكت بكف الصغير وسحبته خلفها وهي تقول بسخط

فجر : انا نازلة يامحمود

محمود بلهجة متحسرة : حقك برضو ، بدل ما نبهت على العيل بالكلام

حمودة وهو يدقق النظر لملابسها : واللّه ولبستي نضيف يافجر

فجر وهي ترمقه من زاوية عينيها بإحتقار : أعيش شوية من نفسي

_سحبت الصغير وتركت المنزل سريعاً حتى تتفادى تكرار العديد من المواقف المخزية أمامه ..

سارت به في شوارع الحي الضيقة حتى تصل للطريق العمومي وتستقل سيارة للأجرة من خلاله .. ولكن أستوقفها الصغير وهو يقول

نجم : فجر ، انا عايز أشرب حاجة مسكرة ، ينفع تجيبلي عصير جهينة بالمانجا

فجر وهي تنظر حولها للبحث عن المتاجر الخاصة ببيع بالحلوى : بس مفيش هنا أكشاك ولا حتى سوبر ماركات

_ألتفتت لتجد عربة صغيرة تحمل العديد من " البراميل " الزرقاء والتي تحوي مشروبات باردة (

تمر هندي - سوبيا - عرقسوس) .. فألتفتت إليه وهتفت

فجر : تشرب عصير تمر من عند الراجل ده ؟

نجم الدين وقد تلوت شفتيه متقززاً : بس ده مش نضيف وشكله مش حلو ، أنا عايز عصير معلب

فجر محاولة إقناعه ليعدل عن رغبته : ده بيغسل الكوبيات بالميا والصابون أنا شوفته

نجم وهو يحك طرف ذقنه بتفكير : متأكدة؟

فجر : طبعاً

نجم الدين وهو يهز رأسه بموافقة : ماشي

....

_وقفت " سلوى " أمام خزانة الملابس الخاصة بأبنتها تنتقي منها بعض المناشف القطنية..

ثم سحبت الملابس الداخلية الخاصة بأبنتها وأتجهت لخارج الغرفة متجهة نحو المرحاض ، لم تطرق باب المرحاض بل فتحته فجأة وولجت عبره ..

فشهقت أبنتها شهقة عالية وهي تضم ذراعيها لصدرها لتواري جسدها العاري و..........

هنا : ماما ! قولتلك متدخليش عليا تاني وانا بستحمى!

سلوى وهي تلوي شفتيها بتهكم : يابت انا أمك ، متكسفيش مني

_قامت سلوى بتعليق المناشف والملابس الداخلية خلف الباب وهي تنطق ب......

سلوى : نشفي جسمك كويس قبل ما تلبسي وانا هجيبلك باقي الهدوم ، الجو برد النهاردة ولازم تتقلي في اللبس

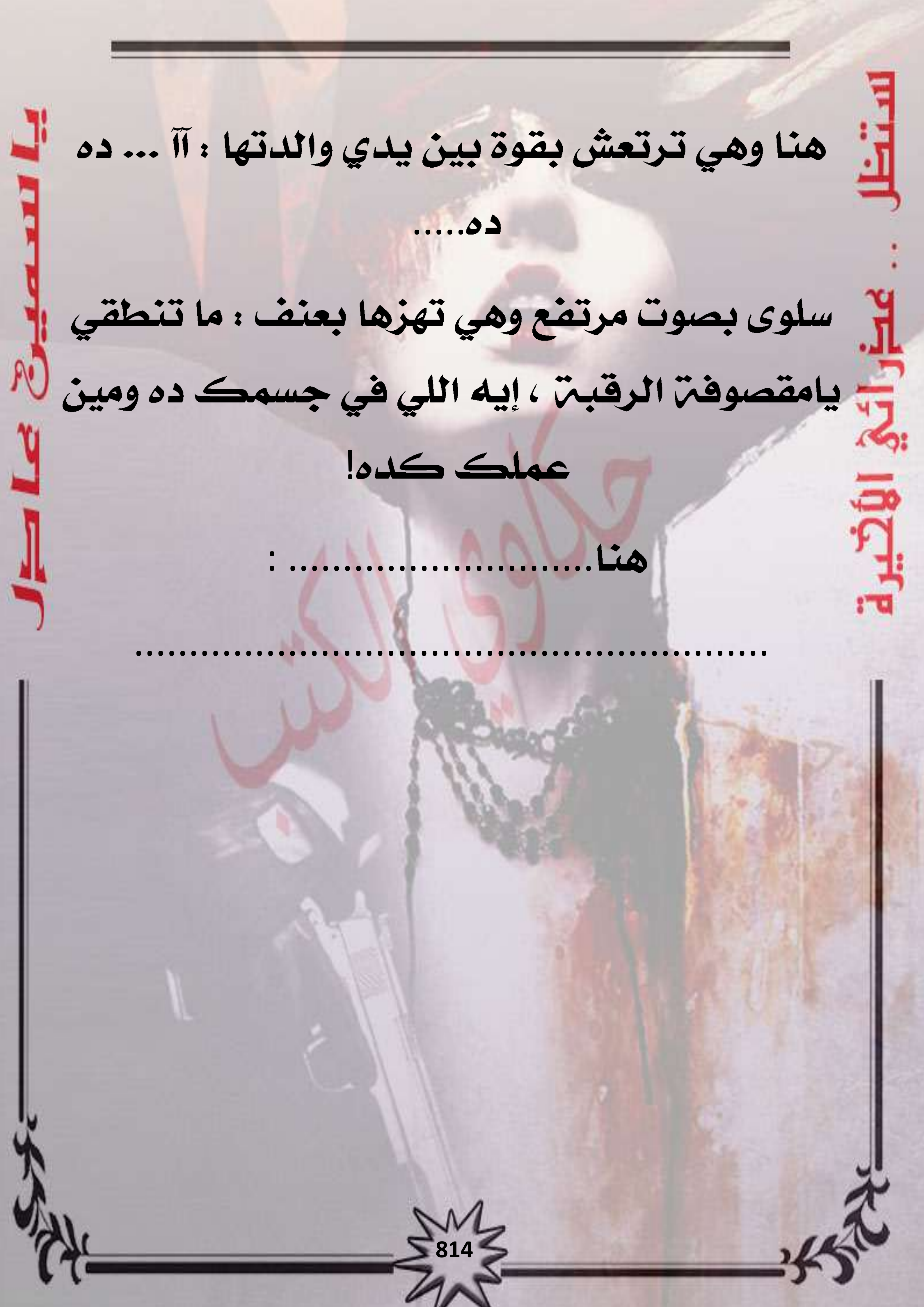
هنا : حاضر

_ألتفتت سلوى لتنظر نحو أبنتها ، فلمحت شيئاً مريباً ،

رأت على جسدها علامات متعددة في أماكن متفرقة من الجسم ، وكأنها تكتلات دموية أسفل طبقات الجلد .. فدققت النظر بجسد أبنتها حتى أُصيبت " هنا " برجفة في جسدها وسرت برودة جعلتها تقشعر بتخوف..

فعادت خطوات للخلف لتهرب من نظرات والدتها المتفحصة ، ولكنها تفاجئت بأطباق والدتها على رسغها وهي تسأل بلهجة غير طبيعية

سلوى : إيه ده يابت ! إيه العلامات اللي في جسمك دي!؟



هنا وهي ترتعش بقوة بين يدي والدتها : آآ ... ده ده.....

سلوى بصوت مرتفع وهي تهزها بعنف : ما تنطقي يامقصوفة الرقبة ، إيه اللي في جسمك ده ومين عملك كده!

هنا............................ :

....

الفصل الرابع والعشرين

الجزء الأول

_أرتجفت الصغيرة من فرط الخوف وهي تطالع نظرات والدتها المحتدة .. وأرتعشت وهي تحاول تخليص رسغها من بين كفي والدتها ، بينما صرخت فيها والدتها للمرة الثالثة وهي تقول

سلوى : يابت أنطقي ، إيه اللي عمل فيكي كده!

هنا وهي ترتجف داخلها وخارجها : آ... اصل....

سلوى وقد نفذ صبرها : أصل إيه؟

_هداها تفكيرها المحدود لفكرة مُقنعة تقولها لوالدتها حتى تبتعد عنها ، وبنفس الآن لا تُفشي الشر لئلا يقوم هو بأذيتها من جديد .. فأبتلعت ريقها المُرّ الذي أصبح علقماً في حلقها ونطقت بنبرة متعلثمة

هنا : أصل عمو.. حسان ضربني

سلوى وقد أتسعت حدقتيها عن آخرها : حسان! وضربك ليه انتي عملتي إيه؟

هنا وهي تمسح قطرات الماء الممزوجة بالعرق عن جبينها : عشان مرضيتش أعمله شاي!

_تأجج الغيظ بداخلها وأستقامت في وقفتها وقد أنتوت له شراً .. ضيقت عينيها وهي تضرب فخذها وتهتف بتوعد

سلوى : واللّه لأوريك ياحسان ، عشان متمدش إيدك على بنتي تاني ، انشاللّه تتشل في دراعك يابعيد

_نظرت لأبنتها مرة أخرى ، ثم تابعت بصرامة

سلوى : بعد كده متخبيش عليا ، وتقوليلي كل حاجة .. فاهمة!

هنا وهي تهز رأسها بتشنج : حاضر

سلوى : كملي حموم

_ألتفتت وتركت المرحاض حتى تأتي بثياب أبنتها المتبقية .. وظلت تُغمغم بخفوت وتلحق السباب اللاذع به عقب أن علمت بضربهُ لها..

وقفت أمام الخزانة تنتقي الملابس وهي تهتف بسخط شديد

سلوى : ده انا هطلع **** أهلك لما أشوفك ياحسان ، إلا بناتي .. خط أحمر

....

_عادت فجر للمنزل سريعاً ، كان التوتر قد أعتراها خشيةً أن يكون " غيد " قد وصل للمنزل قبلها فيوبخها توبيخاً حاداً كَعادته..

ولكنها حمدت اللّه كثيراً عقب أن تأكدت من عدم وجود سيارته الخاصة أمام المنزل ..

فتحركت للداخل سريعاً لتجد من هي أشد من " غيد.. "

وجدت " دولت " تقف قبالتها وقد توسطت بيدها منتصف خصرها ، حدجتها بإحتقار قبيل أن تردف بلهجة محتدة

دولت : كنتي فين وأخدتي الولد معاكي ليه ؟

فجر وقد زاغت نظراتها وهي تفكر في مبرر مُقنع : أصل كان في شوية حجات ناقصة وروحت أجيبها

دولت وقد أرتفع صوتها : حجات إيه ! وأزاي تاخدي الولد من غير ما تستأذنيني

_أستشعر " نيم" تأزم الموقف بين جدته وبين " فجر " فأراد بغريزتهُ الطفولية أن يحل الموقف قبل أن يحضر والده .. لذا أسرع بالقول

نيم : أصل ال) color الألوان) بتاعتي في المدرسة يانينة وانا عايز أكمل الرسم بتاعي، فقولت لفجر تشتريلي غيرهم

دولت وهي توجه حديثها نحو فجر : ده مش مبرر يخليكي تاخدي الولد وتروحي بيه أي حته ، وده أخر تحذير ليكي

فجر وهي تذم على شفتيها بضيق : ماشي

دولت وهي تشير للداخل : الساعة ٨ ونص ، روحي هاتي اللبن بتاع نجم عشان يشربهُ قبل ما ينام

_تحركت فجر من أمامها سريعاً لتبتعد عن وجهها المثير للأستفزاز بالنسبة لها ، وراحت تُتمتم بخفوت وقد ضجرت من هذه المعاملة المُغترة..

بينما سحبت " دولت " كف الصغير وأصطحبته لداخل غرفة المعيشة لتُجلسه أعلى حجرها..

مسحت على ظهرهُ برفق ثم هتفت بحنو

دولت : قولي يانچم ، إيه رأيك في طنط نيڤين ؟

نچم وقد عبست ملامحه فجأة وهو يرمق جدته بضيق : مش بحبها يانينة ، هي مش حلوة

دولت وقد أرتفع حاجبيها بإندهاش : ليه كده ! دي بتحبك أوي

نچم لاوياً ثغره بتهكم : هي مش بتحبني ، دي عايزة تتجوز بابا بس ، لكن انا مش هسيبه ليها

دولت وقد أتسعت عينيها بذهول : مش هتسيبه ليها! هي لعبة يابني!

نچم وهو يعقد ساعديه أمام صدره متذمراً : آه مش هسيبه

_نهض نچم عن ساقيها ووقف يقول

نچم : انا هطلع فوق لحد ما فجر تجيب اللبن بتاعي ، عشان مش عايز أتكلم عن طنط دي

_تحرك بإنفعال طفولي من أمام جدته ، بينما زاد ذلك من إندهاشها ، فحتى الصغير لا يرغب بوجودها .. وهي بكل الأحوال لا ترضى بعدم رضاه ، تقوست شفتيها بإستهجان وهي تهتف بخفوت

دولت : حتى الولد الصغير مش راضي بيها!

بس انا مش هيأس

....

_جلست على الأريكة الصغيرة منتظرة حضوره ، حيث إنها قررت ألا يرف جفنها قبل أن تتحدث إليه بشأن ضربهُ لأبنتها..

كانت عيناها من الحين للآخر تنظر تلقائياً نحو ساعة الحائط القديمة ، حتى شعرت بالملل يصيبها..

وعلى حين غُرة .. أستمعت لصوت فتح الباب ليظهر هو من خلفه ، فضيقت عينيها المُسلطة عليه ونهضت تستقبله إستقبالاً يليق بفعلته ، ولكنها

تفاجئت به يترنح على أثر المواد المُخدرة التي تعاطاها..

فأنفرجت شفتيها وهي تشهق بصوت مسموع وصرخت فيه

سلوى : ينيلك ، أنت داخل عليا نص الليل وكمان شارب ! ياراجل عيب عليك لما عيالك يشوفوك وانت بتطوح قدامهم

حسان وهو يمسح لعاب فمه بكُم قميصه : ما يشوفو ، هو انا داخل والكاس في أيدي ياولية ، دول شوية حشيش على برشامتين بس

سلوى وهي ترفع كفيها للسماء مستغيثة بالله :

ربنا يريحني منك ، كانت جوازة مهببة يوم ما

وافقت عليك

_صفق الباب بقوة وأقترب منها إقتراباً جائعاً ،

تفرس النظر لجسدها ومد يده يتحسس مُنحنيات

جسمها .. ولكنها أبتعدت للوراء وهي تهتف

سلوى : متلمسنيش وتعالى هنا كلمني، أنت أزاي

تمد إيدك ناحية بنتي!

حسان وقد أنتبه لعبارتها رغم هذيان عقله : هه !

آآ...

انتي بتتكلمي على إيه ؟ انا مجيتش جنبها و....

سلوى : كداب ، البت جسمها معلم في كُل حتة ، وانا بحذرك لو مديت إيدك عليها تاني ولا ضربتها مرة تانية أنا هفرج عليك الدنيا وألم عليك أمة لا إله إلا اللّه ، بنتي متجيش يمتها (ناحيتها(

حسان وقد شعر بالراحة عقب تفهمه بأن الطفلة قد كذبت بشأن ما حدث ، فأبتسم بظفر وهو يتابع : أنا عايزها تسمع الكلام بس ، وبعدين ماهي بنتي برضو ياسلوى

سلوى وهي تهز رأسها بإنفعال : لأ دي بنتي انا ، وملكش دعوة بيها من هنا وطالع

_ترنح بخطوته وهو يدنو منها ، ثم حاوطها بذراعيه لتستنشق هي هذه الرائحة الكريهة التي تسربت لأنفها ، فقد علق به رائحة نبات الحشيش بجانب رائحة السجائر الكريهة التي أمتزجت مع رائحة العرق..

فدفعته ليبتعد عنها ولكن دون فائدة ، حيث تشبث بها وهو يردف بلهجة ثقيلة

حسان : انتي محلوة النهاردة ليه يابت؟

سلوى وهي تدفعه بقوة : سيبني دلوقتي ، مش عايزة

حسان وهو يلثم وجهها تقبيلاً عنيفاً : بس انا عايز

سلوى وقد أصابتها الرغبة في التقيؤ : ياحسان ريحتك كلها زفت حشيش ، سيبني دلوقتي

_ترنح جسده وهو يبتعد عنها ، ولكنها قبض على مرفقها ليجذبها بعنف خلفه ، جاهدت للتخلص منه ولكن دون فائدة .. فقد زادت قوته عليها وهو يجذبها نحو حجرتهما ولم يهتم لحديثها الرافض له..

ثم دفعها داخل غرفتهم وصفق الباب لينفرد بها..

_كانت الصغيرة تتابع كل ذلك من هذا الباب الذي تركته موارباً ووقفت هي خلفه تحتمي به..

حيث شاهدت وأستمعت لكل ذلك على مرئى من عينيها..

فأرتجف جسدها وسارت به رجفة قوية ، ولم تنتبه إنها قد تبولت على حالها لاإرادياً..

وعندما سحب هذا الدنيئ والدتها للداخل ، ضربت رأسها ذكرى إغتصابهُ المميت لها لمرتين متتاليتين..

فأغلقت الباب سريعاً وجلست خلفه على الأرضية وهي ترتعش بقوة ، أنكمشت على حالها وهي تضم ذراعيها لصدرها وقد تسرب البرد الشديد لجسدها و.......

....

الفصل الرابع والعشرون

الجزء الثاني

_جلست شذى بجواره على الطاولة الدائرية التي تطل على النيل بأحد اليخوت المشهورة بتقديم الطعام البحري..

أبتسم لها غيد بعذوبة وهي يهتف بلهجة مُجاملة

غيد : الأسبوع اللي غيبتي فيه عن الشركة حسيت إني فاشل

_قهقه بخفوت وهو يتابع

غيد : لدرجة إني أكتشفت حجات بتعمليها في الشغل أنا نفسي معرفش أعملها

شذى وقد أصابتها هيستريا من الضحك : للدرجة دي!

انا أعتقدت إنك هتسافر معايا عشان تحضر المؤتمر السياحي ، لكن أتفاجئت يوم السفر إني هكون مندوبة عن شركاتنا

غيد وهو يتنهد بعمق : مكنتش هقدر أسافر الفترة دي ، مشاكلي مع ريهام أجبرتني أكون موجود في القاهرة

شذى بلهجة مفعمة بالحيوية : أنا فرحت إن الحضانة أتنقلت ليك

_عاد غيد بظهرهُ للوراء وجلس بأريحية ثم تابع

غيد : حاسس إن همّ تقيل أتشال من على ضهري ، دلوقتي بس أقدر أفكر في شغلي وأبني وبس

شذى بنبرة مُترددة : طب وفكرة جوازك من فجر!

غيد وهو يضغط على شفتيه بسخط : لحد دلوقتي مخدتش قرار ، في حاجة غلط بتحصل بس مش عارف هي إيه

شذى وهي تشبك أصابعها سوياً : إزاي؟

غيد بملامح متقلصة ، حيث برزت الثنيات حول عينيه : مش عارف ، في حاجة مسكاني مخلياني عايزها موجودة عشان نجم ، وفي حاجة بتقولي

مينفعش والقصة دي لازم تتقفل، تفتكري إيه السبب!

_أعتلت بسمتها إلى البشوشة طرفي محياها وهي تتابع

شذى : مفيش غير تفسير واحد ، إن ربنا جعلك سبب للبنت دي .. يعني هي اللي محتجاك أكتر منك ، يمكن ربنا حطك في سكتها عشان تكون ساعد ليها

غيد وقد راق له هذا التحليل : وبعدين!

شذى : وبعدين دي عندك انت

غيد وهو يحك مؤخرة رأسه بتفكير جمّ : هي مستنية إعلان الجواز عشان ال.....

شذى وهي تقاطعه بتبرم : مستر غيد ، أنا عارفة إنك مش هتقدر تشوف حد محتاج مساعدتك وترفض وتديله ضهرك ، بس الموقف دلوقتي فيه مستقبلك ومستقبل إبنك ، please تفكر كويس

_دفن غيد وجهه بين راحتيه ثم أطلق تنهيدة ثقيلة وهو يفركهُ بقوة .. أزاح كفيه عن وجهه ثم تابع

غيد : طب أنا جعان دلوقتي ، ينفع ناكل ونأجل الكلام بعدين ، ده انا حاجز التربيزة دي من يومين

شذى بإبتسامة عريضة : حاضر ، هاتلي سي فود من فضلك

غيد وقد أنفرج ثغره بإبتسامة متحمسة : طيب يافندم ، انتي تؤمري بس

....

_فتحت عينيها في هذا الصباح المشرق وقد شعرت براحة نفسية عجيبة تجتاح نفسها عقب

هذه الليلة التي قضتها مع الطبيبة النفسية " بتول " منذ أيام وقد ظهرت نتيجتها اليوم..

وكأنها قررت أن تولد من جديد..

حدقت في سقفية الحجرة وهي تتذكر عبارات الطبيبة التشجيعية لمرور هذه الأزمة ، وما علق في ذهنها هي تلك العبارة التي أشارت فيها الطبيبة بأن ما يسمى (الشرف) ماهو إلا شيئاً معنوياً وليس مادياً ملموساً كما يظن الكثير ، أي إنه لاوجود له في عالم المحسوسات..

فركت جفنيها وهي تتمطع بجسدها ثم أزاحت عنها الغطاء ونهضت عن الفراش لتتفقد " يوسف " ..

خطت نحو حجرته بخطوات حذرة ، ثم طرقت الباب بخفة ودلفت للداخل .. ولكنها لم تجده ، فقط لفت أنتباهها هذه الزهرة البيضاء التي وضعت أعلى الفراش بجانب ورقة مطوية .. فأقتربت لتلتقطهم ثم بدأت في قراءة ما تحمله الورقة من عبارة واحدة

))هغيب عنك يومين لحد الفرح ، عايز أشتاق لريحتك .. بس متحرمنيش من صوتك .. أفتحي التليفون الجديد وكلميني ، وانا هابقى معاكي في كل مكان((

_أبتسمت بسعادة وهي تقرأ هذه الحروف التي خطها بيده .. ثم قربت الزهرة من أنفهُ لتستنشقها ، أغمضت عينيها لتغيب في عالم آخر مع هذا العبير الزهري ولكنها تفاجئت بصوت رنين الجرس .. فتركت ما بيدها ، وأنطلقت مسرعة لتفتح الباب..

أختلست النظر لمن بالخارج لتتفاجئ بصديقاتها اللواتي حضرن أليها .. ففتحت الباب على مصرعه وقد أصابتها الصدمة لرؤيتهم عقب كل هذه الغيبة..

بينما راح جميعهن يحتضونها بقوة عقب ليالٍ وشهور عديدة لم يرونها فيها..

أفاقت من ذهولها وهي تهتف بصوت فرح

رزان : أنتو عرفتو العنوان إزاي ؟ وأتلميتو كلكو أمتى

نور وهي تغمز لها بنصف عين : العريس هو اللي جمعنا كلنا وبلغنا ، بقى كنتي هتعملي فرح من غيرنا ياوحشة!

رزان وهي تبتسم بحياء : غصب عني والله كل حاجة جت فجأة

ريم وهي تصفق بنشاط : طب يلا ورانا حجات كتير النهاردة ، الست بتاعة الحنة زمانها جاية وهنعمل) program برنامج) هايل

رزان وقد أنفرج ثغرها بعدم تصديق : الحنة!

مروة وهي تحتضنها بقوة : أمال هتعملي فرح من غير ليلة حنة ، ده إحنا النهاردة هنولعها

ريم وهي تتمايل بجسدها يميناً ويساراً : أيوة بقى هنخربها النهاردة ، أنا أتفقت مع الحنانة (رسامة الحنة) هتجيب معاها لبس بدوي وساري هندي وبدلة صعيدي وأيييييه

نور وهي تشير لصديقاتها : يلا يابنات أدخلوا ، شكل العروسة لسه مصدومة ومش هتفوق دلوقتي

_كانت هذه هي الفرحة الحقيقية .. لم تشعر قط بأن زواجها بعد يوم واحد فقط إلا عقب هذه المفاجأة التي أعدها يوسف من أجلها..

فقد قام بتجميع صديقاتها من أجل قضاء ليلة الحنة التي تتمناها كل فتاة ، أو ما يطلق عليها (

حفل توديع العزوبية) .. ستكون ذات مذاق مختلف ومبهج وسط رفيقاتها من الفتيات ، وستنعم بجو لم تعيشه منذ فترة طويلة .. فقط اليوم.

....

_ جلس يوسف خلف مكتبهُ يتأمل صور زوجته عبر هاتفه المحمول ، حيث أرسلت له صديقتها ريم بعض الصور التي ألتقطتها لها بزي الحنة حتى يتمكن من رؤيتها في هذه الليلة .. كان يتمعن النظر فيها بعشق وكأنها ولدت لأجلهُ ، يبتسم لمشهدها الطفولي وهي ترقص على ألحان الأغاني المُبهجة ، وفجأة .. وجد غيد يطل برأسه من باب المكتب وهو يقول

غيد : خلاص بقيت عريس وهتشوف نفسك علينا

يوسف وهو يقهقه بمرح : ليه كده بس ياأبو نچم

غيد وهو يخطو نحوه بخطوات ثابتة : نچم هيموت ويفرح بعمه، وهو قاعد في المكتب ولا على باله

_تصافحا ثم تبادلا القُبل والأحضان .. كاد يوسف يجلس مرة أخرى على مقعدهُ ولكن أستوقفه صوت غيد وهو يتابع

غيد : أستنى عندك ، ورانا معاد لازم نلحقة

يوسف وقد تنغض جبينه بإستغراب : معاد إيه ده!

غيد وهو يجذبه نحوه : ناس كده مستنيانا ولازم نروحلها ، متقلقش المكان قريب من هنا

_تحرك يوسف معه ، ولكنه لم يكف عن تساؤلاته طوال الطريق ، حتى وصل به غيد لحيث المكان المنشود..

فوجد يوسف مقهى راقي شبه خاوي من الزبائن .. نظر له وهو يخمن ما يقوم به شقيقه ، ولكنه لم يجد الوقت لذلك ، حيث جذبه غيد ليدخل معه إلى هذا المقهى.. ليجد أصدقائه ورفاقه منذ أيام الجامعة والعاملين لديه في المكتب ينتظرونه وقد أعدوا فقرات كثيرة لحفل توديع العزوبية..

أنشرح صدره " يوسف " وتناسى كمّ الهموم التي تُثقل عاتقه .. فنظر نحو شقيقه بإمتنان وهو يهتف

يوسف : أنا مش عارف أقولك إيه؟

غيد وهو يغمز له بخبث : تقولي يلا نغير هدومنا عشان الحفلة تبدأ بقى ، أنا مشتاق للرقص والمسخرة ونفسي أنسى الرسمية وشغل المكاتب والوقار ده

يوسف بقهقهه مرتفعة : أنت جاي تولعها!

غيد وهو يؤكد عبارته : قصدك نولعها

_أندمج معهم عقب أن أرتدى هذا القفطان الهندي القصير وأسفله بنطال من نفس اللون والخامة ، وقد وضع على رأسه عمامة هندية في منتصفها فص فيروزي كبير..

وقد أشبه الهنود في مناسباتهم الخاصة ، أشتعل المكان بالأغاني الصاخبة والمهرجانات التي رقص عليها الشباب بصحبة بعضهم البعض .. ولم يتناسى يوسف إلتقاط بعض الصور ليقوم بإرسالها لزوجته حتى يتشاركا الفرحة..

كانت هذه من أفضل الليالي التي مرت عليه منذ أكثر من ثلاثة أشهر كاملة ذاق فيها العذاب والألم .. الخيبة والتحسر ، ولكن يبدو أن عصر الإزدهار سيبدأ للتو..

_على الجانب الآخر .. أنشغلت رزان بالرقص مع صديقاتها بهذا الزي البدوي الذي أرتدته..

وما زاد من فرحتها وجود والدتها وخالاتها وعماتها ، حيث بررت لهم " إلهام " ضيق الشُقة لديهم وإنها قررت الأحتفال بليلة الحناء في أحد الشُقق التابعة لزوج " رزان"

فأصبحت الزيجة أكثر رسمية من ذي قبل ، كما تفاجئت رزان بحضور حماتها برفقة " نجم " .. حيث قامت بمباركة الزواج هذه المرة برضا شديد من أجل سعادة إبنها و.....

دولت وهي تضمها بعطف لصدرها : ربنا يسعدكم يابنتي ويهدي سركم

رزان وهي تُقبل رأسها بعاطفة صادقة : ربنا يخليكي لينا ياماما

نيم وهو يتأمل هذا الثوب الرائع : شكلك حلو أوي ياطنط رزان ، زي اللي بيطلعوا في ال) T. V تليفزيون(

رزان وهي تنحني لتطبع قُبلاتها على وجنتيه : وانت النهاردة زي القمر ياچومي

نيم وهو يهمس لها بأذنها : عمو بيقولك أفتحي التليفون

رزان وهي تهز رأسها بالإيجاب : حاضر

_أقتربت دولت من " إلهام " وهي تقول

دولت : عقبال أحمد يامدام إلهام

إلهام على مضض : تسلمي ياحببتي

دولت وهي تضغط على كتفها ، حيث تعلم ما سببته لها من ضيق في أخر مقابلة بينهم : عارفة إنك زعلانة ، بس خلاص اللي فات فات وخلص ، وأهم حاجة سعادة الولاد

إلهام وقد شعرت بالرضا من هذه الكلمات البسيطة : ماشي ياست دولت ، ربنا يسعدهم يارب ويهنيهم ببعض

_تبادلا القُبلات عقب أن تراضى الطرفين ، بينما أنسحبت رزان لتدخل إلى غرفتها بعيداً عن هذه الضجة التي سببتها الأغاني .. ثم بدأت في

تشغيل حسابها على موقع (الواتساب)

للمحادثات.. فوجدت العديد من الرسائل المرسلة

من زوجها ، وقد بعث لها صور فوتغرافية أثناء

أحتفاله وأصدقائهُ بهذه الليلة .. أصابتها هيستريا

من الضحك وهي تطالع الصور التي ظهر فيها

بمشاهد مضحكة ، كأن يُظهر لسانه أو يصيب

عينيه بالتحول .. ثم طلب منها إرسال صورة لحالها

الآن..

فقامت بإلتقاط صورة عن طريق الكاميرا

الأمامية وأرسلتها على الفور ليبدأ هو بمغازلتها

غزلاً صريحاً أستحت له..

وفجأة .. تواجدت صديقاتها وهن يقولون بصوت

واحد

-يلا يارزان

ريم وهي تشير لها للأسراع : يلا عشان تلبسي الساري الهندي ونكمل الحفلة

_أغلقت هاتفها ودسته أسفل الوسادة ثم نهضت عن مكانها لكي تصاحبهم للخارج .. وأنشغل كلاهما بالحفل المُقام له .. ليسرقوا من الحياة لحظات لن تُعوض.

....

_هذه هي الليلة التي أنتظرها الجميع..

الكُل يتأهب ويستعد لهذا الحفل الكبير الذي سيُقام بأحد أكبر الفنادق في القاهرة..

وفي هذه الساعة الصباحية ، قامت فجر بإستلام الملابس من عامل المركز المسؤل بمهام الكيّ والبخار نيابة عن الخادمة التي لم تحضر اليوم لظروف مرضها .. حيث تكونت الملابس من بذلتين لغيد ونجم ،

مصمصت فجر بشفتيها وهي تقول بسخط

فجر : البيه هيتجوز النهاردة وكلهم مشغولين من صباحية ربنا ! يارب خدلي حقي منهم يارب

_تحركت لتصعد الدرج ، ثم ولجت لحجرة غيد أولاً مُعتقدة إنه بالخارج كَعادته .. ولكنها تفاجئت به أمام المرآة بملابس النوم وكأنه

أستيقظ للتو ، عكر صفو مزاجه وجود بُقعة حمراء بجوار أذنه فوقف يتفحص ماهيتها .. ولكنه تفاجئ بدخولها الغير مُسبق الإعلان عنه .. فألتفت لمواجهتها و.....

غيد : أيوة يافجر ، في حاجة؟

فجر وهي تطرق رأسها بحرج شديد : مكنتش أعرف إنك هنا ، كنت جايبة البدلة بتاعتك عشان أسيبهالك

غيد وهو يقترب منها ليلتقط بذلتهُ : طيب ، شكراً

_هذه المرة الأولى التي تنظر له فيها عن قرب شديد هكذا .. كم جذبها ملامحه الوسيمة والتي أختفت لفترات خلف قناع القسوة والهيبة .. فلاحظ هو تعلق بصرها به ، فرفع بصره لينظر مباشرة لعينيها وهو يقول

غيد : في حاجة يافجر ! نجم الدين كويس ؟

فجر وهي تهز رأسها بالسلب : مفيش ، بس في حاجة حمرا جمب ودنك

غيد وهو يذم على شفتيه بضيق : أيوة عارف ، بس معرفش من إيه!

_أقتربت برأسها لتتفحص هذه البُقعة ، ثم مدت طرف أصبعها لتتحسسها برفق ، أستشعر هو أقترابها الشديد والمحظور منه .. فأبتعد برأسه ليحدجها بغرابة ، وقبيل أن ينطق بلهجة مستنكرة قالت هي

فجر : أنت كلت حاجة فيها شكولاته أمبارح ؟

غيد وقد تذكر تناوله لقطعة من الحلوى أثناء حفل توديع العزوبية بالأمس : أه ، كلت كيك بالشيكولاتة وتورتة بالنوتيلا

فجر وهي تمط شفتيها بتهكم : يبقى هي اللي عملت كده ، عندك حساسية منها

_ألتفتت لتوليه ظهرها وتنصرف من أمامه ، بينما حدق هو بها حتى أختفت .. وراح يتفحص الحُلة التي سيحضر بها زفاف أخيه.

_بينما كان عقل فجر هو المنشغل ، راحت تفكر بين خلجات نفسها فيه ، فلما لا يكون زوجاً شرعياً لها!

هل ينقصها الكثير حتى تصل أليه ! أم أن شيئاً ما يعيبها ويجعله لا يفكر بها!؟..

حدثت حالها بصوت داخلي وهي تقول

-ليه لأ ! أنا مستعدة أعمل كل حاجة عشان أكون معاه .. هتغيير وأبقى شبههم

وشكلهم ، هعيش حياتهم وتفاصيلهم .. مش يمكن يكون ربنا بيعوضني عن أيام الغُلب اللي شوفتها وعوضني بيه عن أبويا ؟

أكيد أنا واخواتي نستاهل حياة أنضف من اللي عايشينها ، ويمكن تكون دي فرصتي!

ولازم يكون في طريقة أستغل بيها الفرصة دي ، انا مش بس مستعدة أعيش خدامة لأبنه ، أنا هكون أخلص واحدة ليه وعمري ما هزعله ، بس هو يوافق بيا!

_ولجت لحجرة الصغير بعقل منشغل وتفكير مشوش ، بينما قام نجم بهز كفها وهو يهتف متذمراً

نچم : فجر انتي مش سمعاني!

فجر وهي توليه إهتمامها : هه ، نعم يانچم

نچم وهو يسحب الطقم الخاص به من يديها : هاتي بدلتي عشان أشوفها

_حل نچم الدين الغلاف عن البدلة ، ثم تفحصها جيداً .. كانت بدلة رمادية اللون تميل للدرجة الفضية اللامعة ، مرفق معها القميص الأبيض ذي الأزرار السوداء والأنشوطة (البيبيونة) الصغيرة السوداء..

تفحصت فجر البدلة بإعجاب ثم هتفت بتحمس

فجر : دي حلوة أوي ، أنت هتكون أحلى من العريس ذات نفسه

نجم وهو يتفاخر بعمه : هو في حد زي عمي چو ، دي بدلته حلوة أوي أوي ، بدلة بيضا كلها والقميص فيه زراير سودا زي دي ، ومعاه فيونكة سودا زي دي ، والبليزر أبيض كمان

فجر بلهجة ساخرة : والجزمة بيضا ولا حمرا؟

نجم وقد أصاب وجهه العبوس : لأ سودا

فجر وهي تمسح على وجهه برفق : خلاص متزعلش أوي كده ، مكنتش أعرف أن عمك عزيز عليك للدرجة دي

نجم وقد أنفرجت أساريره وتحمس بشدة وهو يتابع : أنا عايز أبقى زيه لما أكبر وأخد ميدالية دهب زي بتاعته

فجر وهي تغمغم بخفوت : ميدالية في النصب والضحك على الناس؟! ، يلا ربنا ما يسهلهُ!

....

_وقف أمين في هذه الساعة التي قاربت على المغرب ، متأنقاً بحُلة أنيقة باهظة الثمن .. وقد أرتدى ساعته الفضية وصفف شعره بشكل جذاب يليق بهذه الهيئة..

بدا عليه وكأنه رجل مهم ، أو أحد صفوة المجتمع..

كان ينظر لساعته بين الحين والآخر ، حتى آتاه أتصال هاتفي من والده و......

سيد : خلي بالك ياأمين ، الراجل النجس ده داخل عليك بالتاكس بتاعه ، أرقام العربية بتاعته ****** ركز يابني وأوعى تفلته

أمين وهو يضبط وضعية ملابسه : حاضر يابابا ، سلام دلوقتي

_تحرك أمين للأمام بخطوات متعجلة ، وتفحص السيارات الأجرة التي تمر من أمامه وكل منهم

ينتظر إشارته .. حتى لمح سيارة " حمودة "
وتأكد من أرقامها ، فتحكم بملامحه وجعلها
أكثر جدية وهو يتمتم لنفسه

أمين : أستعنا على الشقى باللّه

_وما أن لمح حمودة هذا الشاب الأنيق الذي يلوح
له لكي يتوقف حتى أنفرج ثغره وهو يطالع
هيئته .. أستشعر بإنه رجلاً مهماً فتوقف له على
الفور و......

حمودة وهو يتفحص هيئته جيداً : أؤمرني ياباشا

أمين وهو يطل برأسه لداخل السيارة عبر النافذة الزجاجية : لو سمحت ياسطى ، مراتي تاهت وعربيتها عطلت في السكة وشكلها كده دخلت منطقة غلط ، ينفع توصلني ليها وبعدين ترجعنا إحنا الأتنين وليك مني مبلغ محترم

حمودة وهو يفرك صدغهُ بتفكير : طب لمؤخذة المكان فين بالظبط؟

_فتح أمين هذا الهاتف الباهظ الذي أعطاه يوسف إياه ثم أطلع على الموقع المراد الوصول إليه وقام بعد ذلك بتوجيه الهاتف نحو حمودة وهو يهتف

أمين : أنا مش عارف المكان فين تحديداً وإلا كنت روحت بعربيتي ، بس هي بعتتلي الموقع بتاعها أهو

حمودة وهو يتفحص الخريطة عبر الهاتف ، فتلوى ثغره بإستنكار وهو يقول : بس دي حتة مقطوعة إيه اللي ودى المدام عندها ، وبعدين انا لمؤخذة يعني آ.....

_وقبل أن يتمم عبارته، كان أمين قد أشهر أمام عينيه عدة ورقات نقدية فئة المائة جنيه ، وهتف بجدية

أمين : أنا لازم أوصل لمراتي في أسرع وقت عشان عندنا فرح ، وده مقدم للمشوار اللي هتعمله وهديك كمان

_قام حمودة بجذب النقود من يديه بصورة فجة ، ثم أبتلع ريقه وهو يقول متعجلاً

حمودة : أركب ياباشا ، أنا تحت أمرك

_قام بإسترداد هاتفه ، ثم قام بإستقلال المقعد الخلفي بشئ من الراحة عقب أن قطع شوطاً كبيراً من الخطة المُراد تنفيذها..

تابع الطريق بعين والأخرى سُلطت على الهاتف وهو يرسل رسالة نصية تتضمن نجاح الجزء الأول من الخطة ، فرد عليه يوسف برسالة نصية أخبرهُ فيها بأنه منتظراً له في المكان المُتفق عليه.

....

_لم تشعر رزان بالوقت في هذا الصرح الكبير المتخصص لتجميل العرائس .. حيث كانت رفيقاتها ووالدتها بجوارها طيلة اليوم .. وكلما أضفت المتخصصة لوناً أو شكلاً جديداً لمظهرها تنظر هي للمرآة بسعادة كبيرة وهي تتخيل هيئتها كَملكة متوجة..

أندهشت من عدم تواصل يوسف معها طوال اليوم ولكنها بررت ذلك بأنه أراد الإشتياق إليها .. فتغاضت عن ذلك،

وأخيراً وضعت المتخصصة تاجاً أعلى حجابها الأبيض من الماس المتلألئ والذي أنتشرت فيه فصوص صغيرة من الزمرد الأحمر (مزيف.. (

وعقب أن أنتهت من تثبيت التاج فوق رأسها نهضت رزان لتكتشف هيئتها بالكامل .. وقفت أمام المرآة الكبيرة تتأمل ثوب زفافها الأبيض الذي مال للفضي قليلاً ببهجة كبيرة ، فأندفعت ذكرى قياسها لثوب زفافها الأول تضرب رأسها بعنف .. فضغطت على رأسها بكفيها لتمنع تسرب

مشاهد هذه الليلة إليها ، كابدت العناء للتخلص من هذه اللحظات الحرجة التي عايشتها..

وأثناء ذلك أستمعت لصوت أبواق السيارات لتعلن عن وصول العريس .. فتأهبت بملامح غير طبيعية وأنفاس غير منتظمة منتظرة دخوله إليها..

ولكنها تفاجئت بأخيها يلج للداخل وهو يرتدي حُلة سوداء رسمية وعلى محياه إبتسامة عريضة .. فأقترب منها وهو يردف

أحمد : أنا بقى جيبتلك هدية أحلى من العريس ، هدية مش هتنسيهالي طول العمر

رزان بحماسة لم تصل لذروتها : هدية إيه ياحمد!

_أشار أحمد نحو الباب منتظراً ظهور المفاجأة ، بينما سلطت هي أنظارها على الباب لتجد والدها يدلف من الباب وهو في أبهى طلة..

أنشرح صدرها وكأن السعادة خُلقت لهذه اللحظة فقط..

أزدادت ضربات قلبها وهي ترفع ثوب زفافها لتتحرك بعجالة نحوه .. وعندما أقتربت منه كادت تتعثر في ثوب زفافها الطويل ولكنه لحق بساعدها قبل أن تسقط ونطق

مصطفى : على مهلك يابنتي ، أنا مش هطير

رزان وهي ترتمي بين ذراعيه ليحتويها بدفء أبوي جارف : آآآه يابابا ، أسندني قبل ما أقع ، أسندني

مصطفى وهو يربت على كتفها بحنو : عمرك ما تقعي وانا جمبك يابنتي

_فيض من الدموع أنسال على وجنتيها وهي تستشعر دفئ أحضانه الذي لم تنعم به منذ فترة ..

بينما تعالت الزغاريد وأصوات التصفيق على هذا المشهد الذي لامس أوتار الجميع ، في حين دمعت عيني إلهام حتى خرج صوتها متحشرجاً وهي تقول

إلهام : الحمد للّه رب العالمين

أحمد : كفاية عياط عشان ال make up بتاعك يارزان

المتخصصة وهي تشبك أصابع كفيها بسخرية :

make upإيه بقى ، ده محتاج إعادة تأهيل

_قهقه الجميع بضحكات حيوية ، بينما نظر أحمد لساعة يده وهتف متعجباً

أحمد : هو يوسف أتأخر ليه ، انا أفتكرت هنيجي نلاقيكو مشيتوا!

رزان وهي تستقيم في وقفتها بعيداً عن والدها لتتسائل عن الساعة : هي الساعة كام ؟

أحمد : الساعة ٩ وربع

رزان وقد أصاب قلبها وغزة خفيفة : إيه اللي أخره كده!

_قام أحمد بالأتصال به وأنتظر رده ، ولكن كانت المفاجأة أن هاتفه مُغلق .. وتكررت نفس العبارة في كل مرة يتصل فيها أحمد (الهاتف المطلوب مغلق أو غير متاح(

_أنعقد ما بين حاجبيه بذهول وهو يقول

أحمد : تليفونه مقفول

رزان وهي تبتلع ريقها بتوجس : ها !

....

الفصل الخامس والعشرين

_توترت وهي تفرك أصابع كفيها سوياً ، وأخفضت رأسها وهي تحني بصرها للأسفل..

راحت تفكر في العديد من الإجابات لهذه التساؤلات التي ضربت رأسها .. رجحت أن مكروه ما أصابهُ ، ولكنها عدلت عن هذه الفكرة وجعلتها أخر ترجيحاتها ،

فكسر أحمد حاجز القلق وهو يقول

أحمد : الموضوع بدأ يقلقني ، هو مكلمكيش النهاردة؟

رزان وهي تهز رأسها بالرفض : لأ

_رفعت ثوب زفافها وتحركت للخلف ، كانت تبحث عن هاتفها بعينيها ، حتى وقعت عينيها عليه في يد أحد رفيقاتها .. فمدت يدها نحوها وهي تقول

رزان : هاتي تليفوني يانور

نور وهي تتقدم نحوها : متقلقيش ، خير إن شاء اللّه

_بحثت عن رقمه في سجلاتها وضغطت عليه ، كادت تتصل لولا أن أنفتح باب المركز فجأة وظهر هو حاملاً لباقة زهور حمراء .. وكأن الدواء قد وضع على جرحها فطاب وسكن ، تنهدت براحة عجيبة أجتاحت نفسها وهي تقول بلهجة مذعورة

رزان : أنت كنت فين؟

يوسف وهو يرفع باقة الزهور أمام عينيها : كنت بجيب ده

_أقترب منها بينما ظلت هي بمحلها ، ركع بساقيه أمامها وهو يبسط يده بباقة الورود لها ..

فشهقت بفرحة غامرة وهي تُلثم فمها بكفيها ، كان هذا المشهد خياليًا فقط بعقلها لم تصدق يومًا إنه سيتحقق ، ولكنه الآن أصبح حقيقة تعيشها..

عبس بوجهه متصنعًا ثم هتف

يوسف : هتسيبيني قاعد كتير ولا إيه ، البدلة بيضا!

إلهام وهي تدمع فرحًا لأبنتها : يارب تمم ليلتها على خير

_ألتقطت باقة الزهور التي أشتبكت معًا بفصوص لؤلؤية أحاطت سيقان الورود .. فأمسك

بكفها وقربه من شفتيه ليطبع عليه قُبلة عميقة ، ثم نهض ليحاوطها بذراعه..

وخرج بها وسط زغاريد والدتها ورفيقاتها التي صاحبتهم..

ليستقلا السيارة التي صمم الديكور الخاص بها خصيصًا من أجلها .. راق لها هذا التصميم الداخلي والخارجي للسيارة ، وجلست في مقعدها الخلفي بأريحية شديدة عقب أن أطمئنت من وجوده..

في حين جاورها هو في جلستها والسعادة لا تختفي عن ملامح وجهه ، كان الجميع يعتقد أن هذه الفرحة ترجع إلى حفل زفافه الذي يحتفل به ، ولكن كان الأمر يحمل بين طيّاته شيئًا آخر ..

فكان شعوره بالإنتشاء يسيطر على حاله بقوة عقب أن نفذ أنتقامه من أولهم ،

نظر أمامه وقد أتسع ثغره بإبتسامة سعيدة وهو يسترجع بعقله تفاصيل ما حدث و.......

))عودة بالوقت للسابق((

_سار حمودة بسيارته بالإتجاه الذي أرشدهُ إليه أمين ، لم يشعر بالريبة ولم تراوده الشكوك حول الأمر بتاتًا ، بل إنه شعر بالسعادة لهذا المبلغ المالي الذي سيكون بحوزته عقب قضاء هذا الموضوع..

سار في عدة شوارع وطرقات هادئة شبه خالية من المّارة ، وعندما أقترب من العنوان المنشود .. توقف بسيارته ثم نظر في المرآة ليبصر به وهو يهتف

حمودة : معلش يابيه وريني المكان تاني كده عشان أتأكد من الشارع

_تصنع أمين عبثهُ في هاتفه للبحث عن الخريطة ، ولكنه كان يقوم بإرسال رسالة نصية مضمونها إنه وصل بالقرب من الموقع المطلوب..

ألتفت حمودة برأسه عقب أن سئم الإنتظار ثم هتف بتبرم

حمودة : فين يابيه المكان عشان نخلص

أمين وقد تسرب بعض التوتر لداخله ، خشية من تأخر يوسف : ثواني بدور عليها عشان تاهت مني

حمودة وهو يتأفف بشئ من الضجر : ماشي

_ظل حمودة ناظراً نحوه منتظراً لنتيجة هذا البحث الذي طال وقته..

وعلى غفلة منه ، وجد من يُشهر على رأسه السلاح ويصيح فيه بصوت صدح في الأركان...

يوسف : أنزل يا****

حمودة وقد أرتعدت فرائصه من هذا الصوت الذي بدا مألوفاً إليه ، فألتفت برأسه ببطء : في إيه!

_وما أن وقعت عيني حمودة على يوسف حتى تعرف على هويته سريعاً .. أزدرد ريقه بتخوف وهو ينطق بصوت متعلثم......

حمودة وقد علق بصره على هذا السلاح الناري : آآ... انت!

يوسف وهو يشير برأسه لكي ينفذ تعليماته : أنزل حالاً

حمودة وهو يحاول مراوغته : أنزل فين ؟

_لكزه أمين بعنف في كتفه وهو ينطق بغلظة

أمين : أنزل من غير غلبة

حمودة وقد تفهم المخطط أخيرًا : أنتوا مطبخينها بقى؟

يوسف وهو يفتح باب السيارة لكي يهبط عنها : يلا بقولك مش هنفضل واقفين كتير ، ده لسه الحساب طويل بينا

_يأس يوسف من عدم إنصياعه له ، فقبض على ياقته وجذبه بعنف وهو يسبّهُ بأقظع الألفاظ .. حتى أوقفهُ قبالته ثم ضربهُ ضربة قوية بمؤخرة

سلاحهُ على أنفهُ حتى أصابه بالدوار وأنحنى بجسده للأمام ليتفادي أية ضربة أخرى..

ولكن باغته ضربة أخرى وأعنف من التي سبقتها بمؤخرة رأسه جعلته يغيب عن الوعي وينبطح على الأرضية..

فقام يوسف بدس سلاحهُ خلف ظهره وأنحنى ليجذبه عن طريق الجر .. بينما تحرك أمين من المقعد الخلفي للسيارة للمقعد الأمامي وبدأ في قيادتها لينتقل بها أمام أحد المخازن المهجورة..

في نفس اللحظة ، كان يوسف قد وصل به " حمودة " لداخل هذا المخزن الذي أنتشر فيه الغبار والأتربة وبقايا المصانع التالفة .. بجانب العديد من المقاعد الخشبية المكسورة وأسطح

المكاتب المُهشمة وبعض القطع الخشبية القديمة..

دفعه يوسف على الأرضية ، ثم جذب هذه الزجاجة المملؤة بالمياة وقام بسكب محتواها على وجهه حتى يفيق من غيبوبته المؤقته .. فأنتفض حمودة فزعاً وظل يحرك رأسه بهستريا وهو يستكشف ماهية هذا المكان المجهول .. حتى لمح طيفه " يوسف " فحك أنفه التي تنزف وهتف بصوت مرتعش

حمودة : أنت عايز ايه مني ؟ مفيش بينا حاجة عشان تعمل معايا كده

يوسف وقد برزت أسنانه خلف شبح إبتسامة

ساخرة : ياريتك كنت عملتلي حاجة ! يمكن

كنت سامحتك ، بس اللي صدر منك في حقي

أكبر بكتير من الأذية..

أنت دبحت مراتي بالبطئ ، يعني دبحتني أنا

_وقف سيد ، أمين .. على مقربة منهم يتابعون

الموقف بصمت ، حيث شدد يوسف عليهم بضرورة

عدم تدخل أحدهم حتى لا يصيبه بالأذى في

لحظة غضب أعمى منه..

بينما كشف يوسف عن صورة لزوجته ورفعها في

وجه " حمودة " وهو يهتف بلهجة مُرعبة

يوسف : فاكر دي!

بصلها كويس عشان تعرفها

حمودة وهو يدقق نظره المشوش في الصورة : مش شايف يابيه ، بس انا والنعمة ما جيت جمب أي حُرمة " ست " ولا آ......

_صفعة قوية هوى بها يوسف على صدغه بكل عنف وهو يردد بصوت أشبه للصراخ

يوسف : قولتلك بص كويس يا***

ركز في ملامح العروسة اللي أغتصبتها أنت وال *** اللي معاك قبل فرحها بأسبوع ، بصلها

_وما أن أستمع لهذه العبارة حتى تذكر هذا الجُرم المُشين الذي أرتكبه وأصحابه لتلك الفتاة .. فسرت إرتعاشه بمفترق أنحاء جسدهُ عقب أن تأكد من إنتهاء مصيرهُ

على يد يوسف وبأبشع الطرق .. فأسلوبه المحترف في إستدراجه جعله يؤمن بإنه لن يفلت من قبضة هذا الثائر الجاسور .. هز رأسه بتشنج وهو يحاول إنفاء هذا الإتهام وإبعاد دنسهُ عنه ، ولكنه لم يحظى سوى بلكمة عنيفة جعلت خيط من الدماء ينسال من زاوية شفتيه و....

حمودة : مش أنا ، آآ .. معرفش حاجة

يوسف عقب أن دس هذه الصورة في جيبه : يبقى انت اللي طلبت كده

_تحرك خطوتان للخلف وأحضر صفيحة معدنية متوسطة الحجم ، ثم أخذ بسكب محتواها عليه وحوله .. وعندما أشتم حمودة رائحة هذا السائل القابل للإشتعال (بنزين) حتى أرتجف داخله من فرط الخوف وتحرك سريعاً ليبتعد عنه .. ولكن أسرع يوسف بإلقاء هذه الصفيحة ولحق به ليضربه بركبتيه في مقتله..

أصابه بعدة ركلات ولكمات موجعة أفقدته القدرة على الهرب ، ولم يهدأ إلا بعد أن سقط على الأرضية غير قادراً على النهوض من جديد ..

فأخرج يوسف قداحة من جيب بنطاله وسحب غطائها لتظهر هذه الشُعلة النارية منها و....

حمودة وقد أنسدلت خيوط طويلة من الدموع على صدغيه وعنقه : أرجوك يابيه ، وربنا المعبود ما لمستها ولا جيت يمتها (ناحيتها) واللّه مش انا ، ده ده ، حسان .. حسان هو اللي عملها ورضا ، مش انا أقسم باللّه

_أنحنى يوسف ليسمك بتلابيه وهو يهتف بإنفعال شديد

يوسف : ليه ، ليه

ليه سرقتو فرحتي ، ليه خذتوها مني ياولاد ال **** ليه

حمودة وقد نهج صدره من فرط الذعر : وربنا ما كان في نيتي يابيه ، انا كنت عايز أقلبها (أسرقها) بس واللّه ، وهما اللي عملو كده مش انا وحياة ربنا

يوسف وهو يبصق عليه بإشمئزاز : ليك عين تجيب سيرة ربنا على لسانك النجس ده يا *** خلق اللّه ، ده مش هرحمك .. هدهسك تحت رجلي يا **** و*****

حمودة وهو يلصق بفمه على نعل " يوسف " يُقبله حتى يُنزل عليه رحمته : أبوس رجلك وأعيش

خدامك لو عايز ، بس سيبني لوجه اللّه ، عشان عيالي و....

يوسف وهو يسحب نفسه من جواره ، ثم ردد بصوت حازم : ربنا فوق ، هو اللي بيرحم مش انا ، أدعيله ياخدك قبل ما تشوف العذاب على أيدي

_أخرج يوسف صورة أخرى من جيب بنطالهُ الخلفي ثم أشار للشخص الظاهر فيها وهو يهتف

يوسف : ده من اللي كانو معاك ياعرة الرجالة ؟

حمودة وهو يرمش بعينيه عده مرات : أيوة ، ده رضا

يوسف مقوساً شفتيه بإزدراء : أنا هخليه يرضى كمان وكمان

_أعتقد حمودة إنه ربما يشتري صمت يوسف عنه إذا أعترف على من كانوا بصحبته حينها .. ولكن هيهات لن يفعل ، أنتظر بتوجس الخطوة القادمة منه ، ولكن ظهر صوت سيد وهو يهتف

سيد بصوت مرتفع : عايزك في كلمة يايوسف بيه

_بصق يوسف على الأرضية ، بينما أجفل حمودة بصره وقد شعر بحقارة نفسه .. أنتقل يوسف

للخارج بصحبة سيد ، ولحظات معدودة حتى برز صوت يوسف العنيف وهو يهتف بشراسة أرتعدت لها أطراف " حمودة"

(هنخلص منه النهاردة يعني هنخلص منه النهاردة)

_شعر بأقتراب أجله ، وأن الطريق للمفر من هذا الذي سقط في قٌعرهُ غير موجود .. لم يشعر بالندم قدر خوفهُ من الإفتراق عن الحياة ، وكأنه لم يشعر بملذاتها بعد حتى يلقى حتفهُ..

حاول الحراك من وسط هذه الهالة التي تحاوطه من المادة المشتعلة ولكن أستوقفه وجود أمين ،

بينما أدعى الأخر عدم الأكتراث به .. ثم خرج

من المخزن لينضم إلى والده ويوسف..

هذه هي الفرصة الوحيدة التي أمامه ليستطيع

فعل شيئًا ما لنفسه! وإن لم يتخذ خطوة لن

يتمكن من مغادرة هذا المكان إلا بعد الموت ..

هكذا هداه تفكيره ،

فتحامل على نفسه وتحمل هذه الآلام المتفرقة

في أنحاء جسده ونهض متعرجاً ليسير نحو باب

المخزن خلسة..

في هذه اللحظة ، كان يوسف ينظر من زاوية

عينيه مترقباً لخروجه .. إذاً هذه هي الخطة!

تعمد يوسف الأختفاء عن المكان وأنسحب رجُليه

معه ليتركوا له الفرصة لكي يهرب .. فتحقق

مخططه دون إية عناء ، حيث لمح طيف رأسه وهي يطل خارج المخزن ، وعندما وجد سيارته على بُعد أمتار عديدة منه .. تحرك سريعًا ولو كان بإمكانه الركض لركض ، واصل سيره السريع حتى وصل أمام سيارته ، فوجد مفاتيحه داخلها..

تنفس بشئ من الراحة وهو يفتح بابها ليستقلها سريعًا ،

أبتسم يوسف بظفر وهو يهتف

يوسف : مش قولتلكوا هيطلع ابن ال *** ده!

سيد وهو يختلس النظرات لسيد : وبعدين يابيه! ناوي على إيه ؟

يوسف : هطلع وراه

_بمجرد تشغيل السيارة ، أنتبه يوسف لها وركض نحو سيارته التي كانت بالقرب منه .. في حين قاد حمودة سيارته سريعًا للفرار من هذا المكان ، ولكنه لا يعلم ما خبئهُ يوسف لأجله..

تسارع الأثنين بسيارتهم ، في حين كان حمودة مراقبً للمرآة ليتابع سير يوسف ، غير مهتم سوى بضرورة عدم ملاحقته له حتى لا ينتهي أمرهُ..

ظل يلقي سبابًا لاذعاً وهو يشعر بإقترابه منه فيزيد من سرعة سيارته .. بينما كان يوسف في قمة إنتشائهُ لتحقيق هذه الخطوات التي رسمها بحرفية .. كان يتطلع لسيارته " حمودة " التي تسير بسرعة البرق أمامه وبداخله شعور غامر بالسعادة..

_في حين أفاق حمودة للتو ، هذا الطريق الذي سار منه لا عودة منه ، طريقًا مفتوحاً لن يصل به لشئ سوى منحدر جبلي شديد العمق .. فضرب مقدمة رأسه بتخوف شديد ، ها هو ينتصر عليه من جديد .. يوسف خلفه والمنحدر يتبقى عليه عدة أمتار ، فكر في التوقف بسيارته ثم الإلتفاف بها للطريق المعاكس ، ولكن كانت المفاجأة عدم وجود " فرامل " بالسيارة ، لقد تفهم المخطط وأستطاع إستنباط إنه راح ضحية فخ من إخراج " يوسف"

فسبّ ولعن حظه العثر و.....

حمودة : يابن ال و**** بقى بتسيبني أمشي عشان توقعني من هنا يا *** ياسوادك ياحمودة ، روحت بلاش ياحمودة

_لحظات عسيرة مرت عليه وهو يفكر في مصيره الذي أنتهى بالفعل .. بينما كان يوسف يعد اللحظات حتى يرى نهايته أمام عينيه ، وفجأة .. وبلمح البصر ، كانت سيارة حمودة تهوى من أعلى الطريق إلى هذا المنحدر الجبلي المتعرج بفعل الصخور الصغيرة..

حاول حمودة فتح الباب ليقفذ منه فينقذ حاله ، ولكنه تفاجئ بأن الباب قد علق معه ولم ينفتح .. لحظة واحدة ، وأنفجرت السيارة وهي تحمله

بداخلها ليموت محترقًا بألسنة من النيران المشتعلة التي أمسكت بجسده المُشبع بسائل (البنزين.. (

وقف يوسف من الأعلى يتابع ظلال النيران التي تشكلت في بؤبؤي عينيه وكأنه وُلد من جديد ، ضاقت عينيه وهو يتابع تفحم السيارة ويتخيل مدى العذاب الذي لاقاه " حمودة " وهو يحترق حيًّا .. فتسلل شعور الفرحة داخله وهو ينطق بخفوت

يوسف : ولسه الأنجاس التانين ، عذابهم هيكون ضعف عذابك .. هيدفعو تمن كل دمعة من عيون مراتي دم

_أهتز هاتفه الموضوع بجيب سُترته ، فمد يده ليلتقطه ثم ضغط عليه للرد و.....

يوسف : أيوة ياسيد ، خلاص خلصت .. انا راجع لعندك حضرلي هدومي عشان ألبس وألحق الفرح

_نظر لساعة يده ثم ضغط على شفتيه وهو يتابع

يوسف : إن شاء اللّه ألحق ومتأخرش عليها ، لسه معايا وقت .. سلام

_ضغط على هاتفه قبل أن يدسهُ مرة أخرى في جيب بنطالهُ ، ثم تلوى بثغره وهو يقول

يوسف : باي باي ياحمودة ، ربنا ما يرحمك

_ألتفت ليعود نحو سيارته ، ثم أستقلها وعاد مرة أخرى ليعد حاله من أجل حفل زفافهُ..

((عودة للوقت الحالي))

_ظهر على وجهه إبتسامة سعيدة ، فألتفتت تنظر نحوه وهي تتسائل

رزان : بتضحك على إيه ؟

يوسف وهو يطالع تفاصيل وجهها : فرحان عشان أتولدتي ليا ، ياأغلى وأحلى وأعز مخلوقة أتخلقت عشاني

_قُبلتين عميقتين على ظهر الكف وبطنهُ ، ثم عناق دافئ كاد يُلصقها به .. وهتف بصوت خافت تخلل حواسها بسهولة شديدة

يوسف : بحبك ياحياة قلبي

_شدت قبضتها على كفهُ المتشابك بكفها ، وأسندت رأسها على صدرهُ بإطمئنان وهي تردد بنبرة فرحة

رزان : كلنا عندنا الهدية اللي ربنا بعتها لينا في الدنيا دي ، وانت كنت هديتي .. ربنا يجعلك منور حياتي دايمًا

يوسف وهو يمسح على ذراعها بحنو : هتنور طول ماأنتي بتضحكي.......................

....

الفصل السادس والعشرين

_تميز حفل زفافهم برُقي شديد ، حيث أحياه أحد المطربين المشاهير..

تعمد يوسف إضافة الفقرات التفاعلية في الحفل حتى لا يترك لها الفرصة للتفكير أو التشوش .. فقام بإهداء أحد الأغاني الرومانسية لها وبصوته ، وقامت هي بمبادلته هذا الإهداء بصوت عذب..

بجانب فقرات الرقص مع رفيقاتها من البنات واللاتي أرتدين نفس لون الفستان الأرجواني ليصبح فريقًا موحدًا..

أبهجها وأدخل الفرحة لقلبها بحق ، وأستمتع جميع من في الحفل وأشادوا به..

وعندما أنتهى الحفل وقادها إلى عش الزوجية السعيد..

وجدت مفاجأة أخرى بإنتظارها ، حيث تفاجئت بغرفة نومهم التي تغير ترتيب أثاثها لشكل جديد .. وتم تزيينها بحرفية شديدة عن طريق البالونات المطاطية البيضاء والحمراء .. ونُثرت أوراق الزهور المُفرطة على الفراش وشكلت شكل (قلب) وفي منتصفهُ أول حروف أسمها(R)

وأعلى المنضدة وجدت أدوات جديدة للتجميل مزورع بينها شموع صغيرة ذات رائحة ذكية .. إذا لامستها النار أشاعت رائحتها في المكان..

ودت لو تبكي فرحًا من فرط سعادتها ، ولكنه لم يُعطيها الفرصة تُظهر إمتنانها له .. حيث

أحتضن ظهرها وهو يضمها إليه بحدة لطيفة ، ثم همس بالقرب من أذنها

يوسف : تحبي أساعدك تغيري هدومك ولا....

_قطع عبارته العابثة ، بينما توهجت وجنتيها بحياء قبيل أن تردف بصوت خفيض

رزان : لأ ، مش لازم

يوسف : طيب هسيبك خمس دقايق بس تغيري هدومك ، خمسة بس

_أفلتها ليُديرها نحوه ، أستطاع مواجهة عينيها .. فأبتسم بهيام قبل أن يضع قُبلة مُلامسة لطرف شفتيها ونطق ب....

يوسف : وهرجع أخدك عشان نتوضى سوا ، ونبدأ حياتنا بركعتين شكر للّه

_لم تتوقع منه ذلك ، بل إنه حقق مُعدلاً عاليًا في إسعادها اليوم وإبهارها .. تعمقت النظر لبؤبؤي عينيه الصادقين .. وهتفت

رزان : حاضر

_شعرت بحماسة وحيوية شديدتين ، تعجلت في الإنتهاء من نزع ثوب الزفاف عنها ، وأزالة هذه المستحضرات التجميلية التي زينت وجهها.. أستغرق الأمر منها الكثير ، ولكنها لم تشعر سوى بوجفة في قلبها وهو يتراقص طربًا .. ظنت إنها ستكون أكثر الليالي توترًا وقلقًا ، ولكنه نجح في جعلها ليلة لن تنساها مهما حيِّت..

توضأت وأرتدت " إسدال " الصلاة المحتشم ، وحكمت الحجاب على رأسها قبل أن تدلف خارج المرحاض..

بينما أكل يوسف الغرفة ذهابًا وجيئة .. منتظرًا خروجها إليه بفارغ الصبر ، حتى أطلت عليه بطلتها الجذابة في هذا الثوب المحتشم..

رمقها بنظرات إعجاب من رأسها وحتى أخمص قدميها وأعتلى ثغره بسمة عريضة وهو يهتف

يوسف : ياحتة من القمر

رزان وهي تتمسك بطرف إسدالها بحياء : مش هنصلي!

يوسف وهو يشير بأنملة واحدة من سبابتة : ثانية واحدة بس ، هتوضى وأجيلك هوا

_لم يستغرق في وضوئهِ سوى دقائق معدودة.. ثم خرج على الفور وأرتدى سروالاً طويلاً من اللون الرصاصي و (تيشرت) من القطن المُبطن الأزرق..

فرش سجادتين للصلاة ثم تقدمها ليكون أمامًا لها..

أراد أن يسرق نظرة واحدة إليها ، ولكنه كبح رغبته تلك حتى يستقيم في صلاته دون تشويش ..

رفع كفيه ليُكبر بدءً للصلاة و....

يوسف : اللّهُ أكبر

_صوت قرائته للقرآن .. الخشوع الذي خالج نبرات صوته العذبة ، وسحر الكلمات الآلهية التي تلاها..

جعلها تدمع فرحًا وهي تعيش هذه اللحظات الخالية من الهموم .. خشعت في صلاتها وتوددت للّه وهي تناجيه..

فكانت عيونها وحدها رسائل شكر للّه..

قام يوسف بالتسليم .. ثم رفع كفيه ليدعو اللّه بصوتًا مسموعًا وهي تردد من خلفه ، وعندما أنتهى .. مسح على وجهه قبل أن يلتفت إليها..

وكأنه وقع ببصره على هالة من النور ، أبتسم بسعادة وهو يقترب منها .. ثم بدأ حديثًا جديًا وهو يهتف

يوسف : عايز أقولك على حاجة ، قبل ما نبدأ حياة جديدة مفيهاش غيرنا

رزان وقد أصابها الفضول : إيه؟

_ألتقط كفيها المسنودتين على فخذيها .. ثم حكهما بيده وكأنه يُثير فيها الدفء ، و رفع بصره نحوها وهو يتابع

يوسف : كل اللي فات حاجة ، واللي جاي حاجة تانية .. أنا مش عايزك تفتكري من حياتك غير إني موجود فيها وهفضل موجود طول ما ربنا مديني عمر ، يعني مش من حقك تفكري في أي حاجة تانية

_تفهمت إلآم يرمي ، فشعرت بالخجل من حالها لأنها جعلته يعايش هذه الضغوط والحياة النفسية الكئيبة بهذه الفترة من حياتها .. ولكنه قطع صمتها عندما تابع قائلاً

يوسف : صدقيني بكرة يستاهل نفكر فيه وليه ، مش عايزك تشغلي بالك بحاجة

_صمت لحظة ثم أستطرد بمزاح قائلاً

يوسف : غيري طبعًا

_أبتسمت بهدوء قبل أن تتفاجأ به وهو ينهض جاذبًا لها .. ضمها نحوه وهو يهمس بنبرة ماكرة

يوسف : في حاجة كنت مخبيها عنك من زمان ولازم تعرفيها

رزان وقد أنعقد ما بين حاجبيها بذهول : حاجة إيه!

يوسف وهو يغمز لها بنصف عين : هقولك بس تحت البطانية

_قهقهت بصوت رنان أثار رغبته فيها أكثر فنطق بلهجة حماسية تفعمت بالحيوية

يوسف : اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا

_ولم تشعر سوى بتسرب بيداه نحوها ليسحبها برفق نحو فراشهما السعيد و............

(حلّ الصباح .. وسكتت شهرزاد عن الكلام الغير مباح)

....

_في هذا الصباح المُشمس ، هبط " نچم الدين " على درجات السلم ببطء شديد ، وكأنه لا يقوَ على الحراك..

جسده ثقيل وحركته غير متزنة..

فرك عينيه بقوة وهو يتجه بخطواته الهادئة نحو حجرة الطعام .. ثم نظر لجدته وهو يهتف

نجم : Good morning يانينة

دولت وهي تضع قدح الشاي جانبًا لتستقبله بترحاب : good morning ياقلب نينة ، تعالى أقعد عشان تفطر

_لاحظت شحوب وجهه ، وكأنه على وشك الإعياء..

فجذبته برفق نحوها وهي تهتف بتساؤل

دولت : مالك ياحبيبي ؟ حاسس إنك تعبان؟

نجم وهو يهز رأسه بالنفي : لأ يانينة ، بس عايز أنام تاني وماليش نفس أكل

دولت وهي تربت على ظهره ثم تابعت بهدوء : معلش ياحبيبي ، أكيد من المجهود اللي عملته في فرح عمك أمبارح ، وكويس إن عندك أجازة يومين ترتاح فيهم ، يلا أقعد

_جلس نجم الدين بجوارها وتفحص أطباق الطعام العديدة بدقة لينتقي بما سيبدأ به ، فوجد أنواعًا عديدة من الجُبن متراصة في الأطباق ، بجانب شرائح اللحم البارد (لانشون) وقطع

مُثلثية من الجُبن المطبوخ ، وبالجهة الأخرى وجد الخبز .. فتلوى ثغرهُ بعدم رضا وهو يهتف

نجم : نينة ، أنا نفسي في فول ، مش عايز جبن النهاردة

دولت وقد أرتفع حاجبيها بإندهاش : فول! غريبة يانجم!

أنت عمرك ما طلبت فول

_كانت فجر في هذه اللحظة، تُعد كوبًا من الحليب الدافئ من أجل نجم .. وعندما وصلت لأعتاب المطبخ ، أستمعت لحديث الصغير عن

وجبة الفول التي يشتهيها ، فشهقت بتخوف وهي تهتف

فجر : يالهوي ، ربنا يستر وميقعش بلسانه!

_مسحت دولت على جبينه برفق ثم قالت بصوت عذب

دولت : حاضر يانجم ، هعملك فول بنفسي بكرة

نجم وهو يهز رأسه بالرفض : لأ يانينة ، عايز فول من بتاع عمو عبدو

دولت وقد أتسعت حدقتيها بذهول : مين عبدو ده ! وعرفته إزاي؟

نجم بتلقائية وعفوية شديدة دون حساب العواقب : اللي عند فجر ، هي تعرفه كويس والفول بتاعه جميل

_ضربت دولت بقبضتها سطح المائدة .. ثم نهضت بإنفعال وهي تهتف بتبرم

دولت : واللّه عال أوي ! هو انا نايمة على وداني هنا ولا إيه؟

_تحركت دولت لتغادر حجرة الطعام، بينما ولجت فجر لداخل المطبخ مرة أخرى وكأنها لا تعي شيئًا .. ثم هتفت بسخط شديد وقد أكفهرت معالم وجهها

فجر : يخرب بيتك واد! مش بتستر أبدًا ولا بيتبل في بوءك فولة .. وديتني في داهية مع البومة الكبيرة

دولت : فجر!

_أبتلعت ريقها بتوتر وهي تستمع لصوت دولت المنفعل ، فأمسكت بكوب الحليب وتصنعت إنها أنهتهُ للتو وخطت نحو الخارج وهي تقول

فجر : أيوة جاية يامدام دولت

_وقف دولت خارج المطبخ وقد توسطت خصرها بيدها ، نظرت لها شزرًا ثم تابعت بلهجة عنيفة

دولت : إزاي تأكلي الولد برة البيت ! انتي متعرفيش أكل الشارع مليان ملوثات وميكروبات أد إيه!

أفرضي الولد جراله حاجة!

فجر وهي ترمش بعينيها عدة مرات : آ... واللّه ياست هانم الراجل اللي كل من عنده نضيف وزي الفل ، وكل أكله نضيف

دولت وقد عبست ملامحها على الفور عقب أن ظهرت طريقة فجر العفوية في الحديث : زي إيه !؟ فل ؟

فجر وقد أستعادت بذهنها بعض التعليمات التي تخص أسلوبها مع دولت ، فنطقت محاولة ضبط الأمور i'm sorry : ، أقصد إنه محل مضمون وأكله على مستوى عالي متقلقيش حضرتك

_أشارت لها دولت بيدها مُحذرة ، ثم نطقت بلهجة متوعدة وهي تحدجها بقسوة

دولت : أخر مرة أسمع إن الولد أكل أو شرب من برة ! انتي سمعاني!

فجر وهي تومئ رأسها بموافقة : حاضر

دولت وهي تلتفت لتتركها ، مع إستمرار غمغمتها بخفوت : واللّه شكلك مش هتعمري هنا!

فجر وهي تتنفس بأريحية أخيرًا : آآه ، الحمد للّه إن أبوه مخدش خبر ، ده كان بهدل الدنيا أكتر من أمه .. انا فعلاً لازم أخد بالي أحسن الواد يجراله حاجة ، المرة دي عدت على خير لكن المرة الجاية مضمنش!

_تنهدت بثقل ثم تابعت بتذمر

فجر : ده انت واد مصيبة ، لسانك مبيسكتش أبدًا!

....

_طالت فترة نومها عقب أن حضرت من مدرستها..

فتركتها والدتها تنعم ببعض ساعات النوم الطويلة عقب أن لاحظت شحوب وجهها وذبوله بالآونة الأخيرة..

أعتقدت بين طيّات نفسها بأن أقتراب الأمتحانات ورهابها هي السبب في هذا الإعياء الذي أصابها.

ولذلك لم تهتم بالأمر ، ولكن..

طالت ساعات نومها عن المُعتاد ، فقررت أن توقظها حتى تُنهي واجباتها المدرسية وتستعد لليوم التالي..

هزتها لتنهض عن الفراش وهي تهتف

سلوى : هنا ، أومي يابت شوفي الواجب بتاعك ، أومي متغلبنيش

هنا بصوت ضعيف وهي تدثر جسدها بالغطاء جيدًا : سيبيني شوية ياماما ، جسمي واجعني أوي

سلوى وهي تهتف بضجر : يابت أومي عشان تشوفي اللي وراكي

_أزاحت عنها الغطاء على حين غرة .. وأنحنت لتوقظها ، ولكنها توقفت محلها وأعترتها الصدمة الشديدة..

شحب لون بشرتها فجأة وفرت الدماء من وجهها ، عقب أن وجدت هذه البُقعة الكبيرة من الدماء أسفل أبنتها..

فصرخت بصوت صادح وهي تضرب على صدرها وتقول

سلوى : يانصيبتي ! إيه ده يابت ؟

_فزعت الصغيرة " هنا " من صوت والدتها وضربها على صدرها ، فأجبرت حالها لكي تعتدل في جلستها ثم نظرت صوب والدتها بتركيز وهي تسأل بنبرة مرتعشة

هنا : في إيه ياماما ؟

سلوى وهي تشير بعينيها نحو الفراش : إيه كل الدم ده ! انتي عملتي إيه ليلتك سودة

هنا......:

_ضرب جسدها الذعر ، وسرت به إرتعاشة قوية عقب رؤيتها لهذه الهالة من الدماء أسفلها ، فبدأت تبكي بشدة وهي تُلقي على مسامع والدتها عبارة واحدة من فرط الخوف

هنا : واللّه ما عملت حاجة ياماما ، واللّه ما عملت حاجة

سلوى بحركات تشنجية : لأ أكيد في حاجة ، ده مش طبيعي ، انا مينفعش أسكت

_ركضت سلوى للخارج ، سحبت خمارها ووضعته على رأسها سريعاً ، ثم خرجت من شُقتها لتستغيث بجارتها الحاجة " صفاء " .. فهي أحترفت مهنة التمريض لسنوات طويلة قبل أن تُحال على المعاش..

بينما أنزوت " هنا " على نفسها وهي تبكي بشدة ، لا تدري ماهو مصيرها الذي ينتظرها..

لم تستطع كتم شهقاتها العالية أو منع هذا الفيضان الذي أنسال من عينيها .. وفجأة أستمعت لصوت جارتهم الطيبة " صفاء " وهي تقول

صفاء : متقلقيش ياسلوى تلاقي البت كبرت وبقت عروسة

سلوى بلهجة غير مصدقة وهي تهز رأسها بإنفعال :

لأ مش ممكن ، في حاجة تانية!

صفاء وهي تقهقه بأريحية دون إكتراث : هتشوفي ، دلوقتي أشوفها وأعرفك إنها الدورة الشهرية والبت كبرت ومفيهاش أي حاجة ، وساعتها تعمليلي طبق قرع بالعسل من إيدك الحلوة

_ولجت صفاء لداخل الحجرة الصغيرة عقب أن قادتها سلوى .. أبتسمت إبتسامة عريضة وهي تنظر نحو " هنا " ثم هتفت بمزاح ثقيل

صفاء : أمك قلبها رهيف خالص يابت ياهنا

سلوى وهي تفرك أصابع يديها بتوتر : يارب جيب العواقب سليمة

_أقتربت صفاء من الفراش لتقع عينيها على هذه البُقعة الكبيرة ، فأختفت البسمة عن ثغرها .. وتشكل الإرتباك وهي تطلع لهذه البقعة..

فكان لون الدماء ليس قاتمًا ليدُل على إنها دماء العادة الشهرية ، كما كانت كميته تُثير الفزع ، مما يدل على وجود خطب ما .. فأقتربت صفاء منها وهي تهتف

صفاء : بسم اللّه الرحمن الرحيم ! إيه ده ؟ انتي أتعورتي يابت ياهنا وخايفة تقولي لأمك ؟

هنا وهي تهز رأسها بتخوف........:

_جلست صفاء على طرف الفراش وجذبتها نحوها وهي تهتف

صفاء : وريني كده يابت!

هنا وهي تتملص من بين يديها بفزع : لأ متجيش جمبي ، ألحقيني ياماما!

سلوى : يابنتي هتكشف عليكى بس وتطمني

هنا وقد أصابها هيستريا من البكاء : لأ ياماما!

صفاء وقد تأكد حدسها بوجود شيئًا ما : يابت متخافيش ، ثانية واحدة بس والحكاية تخلص .. ساعديني ياسلوى

_سحبتها صفاء من قدميها بينما قبضت سلوى على رسغها وجعلتها تنام على ظهرها قسرًا حتى تستطيع صفاء تفحصها.. ظلت تتحرك بتشنج ، ولكن بأحترافية معهودة من هذه الممرضة القديرة أستطاعت أن تتغلب على هذه التشنجات وتكشف عن عورتها لكي تستكشف سبب هذه الدماء..

ومع كل لمسة منها كانت الصغيرة ترتجف بقوة ، لحظات تليها لحظات ، والعُسر يزيد ويُشبع الأجواء بصعوبته..

حتى فرغت صفاء مما تقوم به ، فوارت جسدها بعجلة وهي تهتف

صفاء : البت دي لازم تتعرض على حكيم ياسلوى ، البت دي فيها حاجة

سلوى وهي تشهق بصوت مرتفع : يالهوي ، حاجة إية ؟

صفاء وهي ترفع يديها في الهواء : معرفش ، أنا قولتلك وانتي حرة .. لازم توديها لحكيم يشوفها ودلوقتي

سلوى وهي تنهض عن مكانها بإنفعال شديد :

حالاً أحط العباية عليا وأنزل بيها المشتشفى

_وكانت هذه العبارة هي الصاروخ الذي ضرب رأس الصغيرة .. سينفضح أمرها ، وربما ينفذ زوج أمها الحكم فيها بالقتل كما هددها وتوعدها من قبل.. وربما تفعل بها والدتها فعلاً قاسيًا عقب أن تعلم ، لا تعلم!

ما تعرفه هو إنها تعيش أسوأ لحظات طفولتها البائسة ، والتي لن تُمحى من ذاكرتها أبد الدهر.

....

_كان يومًا شاقًا مر به غيد في عمله .. العديد من الإجتماعات المتتالية والتي أفقدته قدرته على التركيز .. بجانب اللقاءات والتعاملات اليومية .. كل ذلك أستهلك طاقته اليومية ، فعاد لمنزله مُرهقًا..

نزع عنه معطفه وبدأ بإنتزاع رابطة العنق ، ثم جلس على طرف فراشه .. تذكر طفلهُ فأبتسم بعفوية قبل أن يتحرك من حجرته لحجرة الصغير حتى يطمئن عليه..

وجد فجر تعد حقيبتها من أجل مغادرة المنزل ، حتى يستطيع السائق توصيلها للحي الشعبي الخاص بها..

ولكنها تفاجئت بوجود غيد ، فأنتظرت إنصرافه و......

غيد : مساء الخير

فجر : مساء النور

غيد وهو يقترب من فراش نجم : نجم عامل إيه ؟

نجم وهو يرفع عنه الغطاء : أنا كويس يابابا ، وانت عامل إيه ؟

غيد وهو يدنو منه ليُقبله : كويس طول ماانت كويس ياحبيبي ، طمني عملت إيه في يومك النهاردة!

نجم وهو يهز كتفيه : ولا حاجة ، نمت كتير

غيد وقد أنعقد حاجبيه بتعجب : ليه مكنش عندك home work ؟ (واجب مدرسي)

نجم وقد شعر بالضيق من نفسه : كان عندي ، بس مقدرتش أعمله وجسمي واجعني عشان كده نمت

_قام غيد بالضغط على زر الإنارة الجانبي حتى يُضئ الأباجورة المجاورة للفراش حتى يُزيد إضاءة الغرفة فيتمكن من رؤيته بوضوح .. فلاحظ هذه الصُفرة القاتمة التي تحيط بشرته ، وعينيه الذابلتين واللاتي أحاطهما السواد .. بجانب تحول سحابة عينيه البيضاء لسحابة مُصفرة ، فراودته

الشكوك ودب القلق بداخله .. أحتضن وجهه بين كفيه وهو يقول بتوتر

غيد : نجم ! انت فيك حاجة مش مظبوطة ؟

نجم وهو يهز رأسه بالإيجاب : آه ، بس معرفش إيه هي ؟

_أنتقل غيد ببصره نحو فجر التي كانت تراقبهم عن كثب ، ثم تسائل بصوت محتد...

غيد : هو كل إيه النهاردة !؟

فجر وقد بدا عليها القلق هي الأخرى : شرب اللبن بتاعه وأكل سندوتشات جبنة الصبح ، وعلى الغدا مكالش كتير ، شوية سلطة ورز ومعاهم حتة ستيك ، لكن مكملش أكل

غيد وهو يقبض على شفتيه بحنق : بس!

نجم : متزعلش يابابا ، انا ماليش نفس

_نهض غيد عن مكانه ثم رفع الغطاء كليًا عن الصغير وردد بلهجة قلقة

غيد : طيب أوم معايا هنروح مشوار للدكتور نطمن ونرجع

نچم وقد عبس وجهه : يابابا مش قادر ، حاسس إني هقع لو جيت أمشي!

غيد وهو يهز رأسه بعنف : معلش يانچم ، لازم تقوم معايا عشان نطمن فيك إيه!

فجر بإندهاش خالج صوتها : الموضوع مش مستاهل ، هو هينام ويصحى كويس إن شاء اللّه ، أكيد ده من مجهود اللعب والرقص في الفرح

غيد وهو يشير إليها محذرًا : أسكتي انتي ، يلا يانچم

_نهض نچم عن فراشه ببطء شديد فتشوشت رؤيته وأصاب رأسه الدوار ، وكأنه يجر جسده جرًا .. ولكنه لم يستطع الصمود أمام سطوة المرض ..

حيث سقط فاقدًا للوعي ، فصرخ والده وهو يضمه لصدره بذعر شديد و.......

غيد : نچم!

فجر وهي تركض نحوه : يالهوي!

_تحدث إليها بعصبية مفرطة وهو يقود سيارته بسرعة جنونية ، زعق فيها وهو يقول بصوت مرتفع

غيد : بقولك متجيش ، أنا هطمن في إيه وراجع وهابقى أبلغك

شذى وقد تمسكت برأيها أكثر : لأ ياغيد ، انا خلاص نزلت من البيت ١٠ دقايق وأكون في المستشفى ، سلام

غيد : بقولك.......

_أغلقت الهاتف سريعًا حتى تبتعد عن رفضه المُشدد ، بينما ألقى هو بهاتفه وهو يصرخ ب....

غيد : يووه ، مفيش معاكي أي فايدة

_نظر نحو ولده الذي يسكن بالخلف على حجر " فجر " ثم نطق بصوت خافت

غيد : يارب أسترها!

_وصل أمام المشفى ، ليجد شذى تقف أمام سيارتها في إنتظاره .. وعندما وقعت عينيها عليه تقدمت بخطواتها نحو سيارته وعاونت فجر في حمل الصغير خارج السيارة حتى يهبط هو عنها .. ثم ألتقطه منهن وركض به للداخل حتى لحق به أطباء قسم الطوارئ وبسرعة لفحص الطفل..

وقف أمام غرفة الطوارئ غير ثابتًا ، يتحرك بتشنج واضح ويضرب كفًا بكف وهو يتوقع ما أصاب طفله .. حقًا وصل معه الخوف لذروته ، وما زاد من الطين بله أن.....

الطبيب وهو ينظر لجميعهم واحدًا تلو الأخر : مين والدتهُ؟

غيد وهو يشير لحاله : أنا أبوه ، أبني ماله ؟

الطبيب وهو يطلق زفيرًا متوترًا : للأسف الطفل مُصاب بڤيروس A و........

_لم يستمع لباقي حديثه ، فقط توقفت حواسه مع هذا الخبر الذي كان كَدلو مثلج سقط على رأسه ليصيبه بالتجمد و..............................

الفصل السابع والعشرين

_حدق " غيد " بنقطة ما في الفراغ ، وكأنه يستوعب ما قيل له .. رفع بصره مرة أخرى ليتابع حديث الطبيب وفي صدرهُ وغزة آلمته و.......

الطبيب : مفيش غير طريقتين بس هما اللي بيسببوا ڤيروس A ، يأما الأكل والشرب الملوث ، يأما العدوى من شخص حامل للڤيروس والتانية دي بتكون أخطر .. وانا أعتقد إنه من الأكل والشرب

شذى : بس الولد مش بياكل أي أكل ، يعني أكل البيت الصحي والنضافة مضمونة فيه

الطبيب وقد تلوت شفتيه بعدم تصديق : مش معقول!

ممكن يكون أكل حاجة وأنتم متعرفوش

_عضت فجر على شفتيها بضيق بالغ ، وعاتبت نفسها عتابًا شديدًا لما أصاب الطفل بسبب حماقتها..

شعرت الأسف وهي تستمع لحديث الطبيب .. فهو طفل صغير وما يؤذيه بالكاد يؤذيها ،

رفعت رأسها المحنية لتتفاجئ بغيد وهو يحدجها بنظرات قاسية .. وكأنه أستشف تورطها في هذه الكارثة..

كبح رغبته في القبض علي رقبتها حتى ينتهي الطبيب من حديثه و.....

شذى وهي تشبك أصابع كفيها بتوتر : طب إيه التعليمات اللي نمشي عليها مع الولد ، والعلاج هيكون إزاي ؟

الطبيب وهو يدس كفيه في معطفهُ الطبي الأبيض : أهم حاجة في العلاج هو التغذية السليمة والبعد عن أي حد مصاب بنفس المرض ، بجانب اللقاح اللي هياخده وده عبارة عن كورس حقن

شذى : طيب في أكل معين ياكله ؟

الطبيب وهو يومئ برأسه إيجابًا : أكيد ، أبعدو عن المسبكات وأي حاجة فيها صلصة أو دهون ، ياكل سلطة كتير ويفضل لو فيها أنواع خضار كتيرة ، مع شوربة خضار من غير دهون اللحم أو الفراخ ، ومهم جدًا جدًا العسل الأسود ، كل يوم لازم معلقتين عسل أسود الصبح ومعلقتين بالليل على الأقل

شذى وهي ترمق الطبيب بتوجس : طب ينفع أدخل أشوفه؟

الطبيب وهو يمط شفتيه للأمام : ممكن ، بس خلي بالك التعامل لازم يكون بحذر ، لأن إنتقال العدوى سهل ومُعدي .. وكمان يفضل أنه ينام

لوحده محدش معاه في الأوضة ، والأدوات اللي هياكل فيها محدش ياكل منها

شذى : ماشي

الطبيب وهو يشير إليها : أتفضلي معايا

_نظرت شذى نحو غيد وكأنها تستأذنه بالأنصراف، فحرك رأسه بإيماءة خفيفة لتتحرك من أمامه خلف الطبيب .. بينما وقف غيد متسمرًا بمكانه مُسلط أنظارهُ الفتاكة عليها ، وقبل أن تبدأ بالحديث كان هو قد قطع حبل المسافات ليقف قبالتها مباشرة .. أطبق بأصابعه الغليظة على رسغها وهدر فيها بلهجة متوعدة

غيد : أنا متأكد إنك السبب في اللي حصل !
وليلتك سودا معايا

فجر وهي تتلوى بذراعها ليتركها : آآه ، طب سيب دراعي

غيد وهو يهزها بعنف : لو نطقتي كلمة زيادة غير اللي انا عاوزه أنا هعمل معاكي اللي مفيش راجل يعمله ، هتضطريني أمد أيدي ولأول مرة على بنت

فجر وهي تضع كفها على فمها من هول المفاجأة ، ثم شهقت بقوة وهي تردد بخوف : هااا ! آ.....

غيد وهو يصيح فيها لترتجف هي على أثر ذلك :أتكلمي وقولي اللي حصل!

فجر وهي تهز رأسها بتشنج : أ.. آ... حاضر

_ولجت شذى لداخل الحجرة الموجودة بقسم الطوارئ ، فوجدته ساكنًا على الفراش مُدثر بالغطاء الأبيض الخفيف .. فتقدمت نحوه لتتمعن النظر إليه ، وجدته مستفيقًا .. فدنت منه وهي تبتسم بتصنع ثم هتفت

شذى : كده تخضني عليك يانچم!

نچم وقد تقلصت ملامح وجهه بضيق : طنط شذى روحيني البيت ، الجو هنا برد أوي وساقعة وانا عايز أنام في البيت

شذى : بردان!

_قالتها وهي تقترب منه أكثر ، ثم جلست بجواره لكي تُغطي جسده بين أحضانها .. فدفئته بمعطفها الصوفي الثقيل.. أخذت تمسح بيدها على ظهرهُ حتى تثير فيه الدفء .. بينما نعِم الطفل بجرعة حانية داخل أحضانها ، فتشبث بمعطفها حتى لا تبتعد..

فهمست هي بأذنيه لتتعرف منه على سبب ما أصابه و...

شذى : قولي الصراحة يانجم ! انت أكلت حاجة مش حلوة من برة؟

نجم وهو يهز رأسه بالرفض : لأ ياطنط ، نينة قايلالي متاكلش من عند الجائلين

شذى وهي تستدرجه إليها ليستكمل : شاطر يانچم ، طب شربت حاجة من الشارع ياحبيببي!

نچم : لأ!

_تذكر أخيرًا ذلك المشروب الذي تجرعه أثناء وجوده بهذا الحي الشعبي أثناء وجوده مع فجر .. فأرتفع حاجبيه فجأة وهو يردد

نچم : آه شربت ، تمر هندي

_أبتعدت شذى عنه قليلاً ثم حدقت فيه وهي تنطق بذهول

شذى : تمر ! وده شربته فين وأمتى ؟

نجم وهو يهز كتفيه : مش فاكر أمتى ، بس كنت مع فجر وهي شربتني منه عشان كنت عايز عصير

_أطبقت شذى على جفنيها بضجر ، ثم نطقت بغيظ جلي

شذى : تمر هندي!

_حدق فيها غير مصدقًا ما روته عليه للتو ، وتحولت عينيه لجمرتي من النار وهو ينطق من بين أسنانه بغضب

غيد : تمر هندي وفول بالخلطة ! ده انا هطين عيشتك ؟

إزاي تاخدي أبني معاكي من غير ما تقوليلي!

وكمان تأكليه وتشربيه بره ! ده لو هيموت قدامك من الجوع مكنتيش تأكليه ولا تشربيه !

فجر وهي ترجوه ليلتمس إليها العذر : واللّه أنا.....

غيد بلهجة مستحقرة : انتي تخرسي خالص ، انتي أستنفذتي فرصك عندي ومتنفعيش تعيشي مع ابني ولا تخلي بالك منه ! أنا حذرتك قبل كده وانتي مفيش منك فايدة

_دفعها لترتد إلى الخلف ثم صاح بها بعنف

غيد : انتي متنفعيش لأي حاجة ، ومش عاوز أشوف وشك مرة تانية .. السواق جاي في الطريق هيوصلك وخلصت على كده

_تركها بمفردها وتحرك نحو قسم الطوارئ ليطمئن على صغيرهُ .. بينما وقفت هي بمحلها تعاني مرارة الأهانة..

هي أضاعت فرصة ثمينة من بين يديها بغبائها ، أخطأت ولكن ليس إلى هذا الحد .. ولكنها أيقنت بأن ولدهُ لديه قبل الدنيا وما عليها..

جرت ذيول الخيبة خلفها وهي تتحرك لتغادر المشفى ، فقررت عدم إنتظار السائق الخاص به .. بل ستتجه نحو منزلها وبمفردها..

طوال الطريق وشاغلها واحد ، كيف ستجد عملاً جديدًا تنفق منه على حالها وعلى أخواتها .. لن تهتم بهذه الأحاديث المزعومة على ألسنة العامة من قاطني الحي الشعبي .. فليتحدث من يرغب بذلك ، لن تهتم بعد الآن..

صعدت الدرج المتهالك وهي تتأمل الدرجات المكسورة .. والتي كثيرًا ما تتعثر بها ، فتحت باب الشُقة وولجت للداخل .. وجدت شقيقها جالسًا بالزاوية وقد بدا عليه القلق ، فتقدمت منه وجاورته في جلسته .. تنهدت بثقل وهي تهتف بصوت مختنق

فجر : الجوازة مش هتم ، وحتى الشغل مش ريحاه تاني

محمود وهي يشاركها همهُ : أبوكي بقاله يومين مختفي يافجر ، عمره ما عملها في حياته!

فجر وقد تنغض جبينها بذهول : يومين! وده راح فين !محمود مقوسًا فمه بإزدراء : معرفش ! حتى الموبايل بتاعه مقفول

فجر وهي تزفر أنفاسها بضجر : انا هقوم أنام ، مش عايزة أفكر في حاجة

محمود وقد تبدلت ملامحه للضيق : بقولك أبوكي مختفي ، انا قلبي مش مستريح

فجر وهي تقهقه بسخرية : فيك الخير يامحمود ، والله انا عندي وجوده زي عدمه الأتنين واحد

_تركته ودلفت لحجرتها .. بينما بقى محمود مدهوشًا مما سمعه منها للتو ، هي على حق!

فلم تشعر به يومًا كأب يحنو عليها وعلى أشقائها ، لم تستشعره سندًا لها ولم تجده في أحلك الظروف والمواقف ! بل كان دائمًا عاقًا بها .. فجعلها هي أيضًا أبنه عاقة له..

نكس محمود رأسه بحزن وهو يهتف

محمود : ربنا يسامحك يابا ! انت السبب في اللي هي شيفاه

....

_جلست " سلوى " على المقعد المقابل لمكتب الطبيب ، تنتظرهُ ريثما ينتهي من فحص أبنتها .. أستندت بمرفقها على سطح المكتب وهي تفكر في أمور بيتها وما حدث مع أبنتها ، تفكر في زوجها الذي ينحدر حاله أكثر وأكثر ، وعدم تحمله لمسؤلية أطفاله منها .. تنهدت وهي تفكر في الإنفصال عنه ولكن ماذا ستفعل بعد ذلك بدون رجل يُسند حياتها..

هذا المفهوم العقيم الذي أنتشر لدى سيدات كثيرات .. وهو الأعتقاد بأن (ظل رجل أهون من حائط يحاوطها) .. زفرت أنفاسها بضيق ، ولكنها أنتفضت فجأة على صوت إنفعال الطبيب وهو يدنو منها ويقول مستنكرًا

الطبيب : انتي أم انتي ! ده انا هوديكي انتي واللي عمل كده في ستين داهية

سلوى وهي تبتلع ريقها بخوف شديد : في ايه يادكتور ! إيه اللي حصل؟

الطبيب وهو يصيح فيها منفعلاً : انتي بتستعبطي عليا ياست انتي! .. انا مش هسكت عن الجريمة دي! البت كان ممكن تموت فيها

سلوى وهي تضرب على صدرها بفزع بيّن : يالهوي ! تموت؟ باللّه تفهمني ياشيخ ، أنا مش فاهمة حاجة وحياة عيالي

_أستشعر الطبيب صدق عينيها التي تنطق بالخوف ، وأحس بأنها بالكاد لا تدري شيئًا عن

الأمر .. فحدجها بنظرات محتقنة وهو يقول بصوت مرتفع

الطبيب : البت دي في حد أغتصبها ، وأكتر من مرة .. عملها تهتك في غشاء المهبل وسببلها نزيف داخلي وتورم ، انتي نايمة على ودانك ومعندكيش مسؤلية

_لطمت على وجهها ورأسها عدة مرات .. وذرفت من الدموع سيولًا ، صرخت وهي تقول

سلوى : يامصيبتي ! يالهوي عليا وعلى سنيني السودا!

البت راحت مني خلاص ؟ ولا ليها جواز ولا هترفع عينيها في الناس ، يالهووي

الطبيب وهو يوبخها بصرامة وقد تبدل أسلوبه للفجاجة والغلظة : انتي مبتفهميش ياست انتي ؟ بقولك البت كانت هتموت وانتي تقوليلي مش هتجوز!

_تحركت سلوى من أمامه وتحركت نحو الفراش المعدني الذي تسكن هي أعلاه .. وجدتها تقف في الزاوية منكمشة على نفسها وهي تخشى بطش والدتها..

حيث تحركت نحوها بإنفعال وجذبتها بعنف وهي تهزها بقسوة هادرة فيها

سلوى : مين يابت اللي عمل كده ! مين أنطقي يابنت ال ** ده هدفنك بالحيا لو منطقتيش

_لم تستجب لها الفتاة ، فجذبتها من خصلات شعرها بقسوة وهي تصرخ فيها

سلوى : قوليلي مين ال* اللي عمل كده ، أنطقي بدل ما أموتك في أيدي

_وقف الطبيب الشاب بينهما حائلاً .. وعنف سلوى على سلوكها الهمجي مع تلك الصغيرة التي لا تفقه شيئًا ، و....

الطبيب : انتي عايزة تموتي البت بدل ما تجيبي حقها ! انتي لازم تطلعي على القسم وتعملي بلاغ وهي تقول مين عمل كده عشان يتجازى

سلوى وهي تشهق بقوة : قسم ! يادي الفضايح ؟ أتفضحتي ياسلوى انتي وبناتك ؟ أتفضحتي

الطبيب وهو يحذرها مشيرًا بيده : أسمعي ياست انتي ، لو معملتيش بلاغ انا هعمل بلاغ بالواقعة اللي قدامي ، عشان الوساخة اللي في البلد لازم تنضف ، مش هنحط راسنا في التراب زي النعام ونقول فضايح..

دي طفلة أنتهك حقها بأنها تعيش سنها زي البنات ! وانتي بتتكلمي عن الفضايح ! انتي وكل اللي

زيك ودتونا في داهية وخليتوا الكلاب اللي بيعملو كده يتمادوا في أفعالهم

سلوى وهي تهدر في الصغيرة لكي تتكلم : يابت أنطقي مين عمل كده ! أنطقي بدل ما....

هنا وقد خالج صوتها البكاء الشديد : لو قولت هيموتني!

الطبيب وهو يمسح على رأسها بشفقة : يابنتي متخافيش ! لازم تقولي مين

سلوى وقد ظهرت شراستها في صوتها الصادح : ده انا هاكله بسناني ، هطلع حبابي عنيه ومش هخليه يمسك بس أعرف مين النجس ابن ال * اللي عمل فيكي كده

هنا وقد أرتفعت شهقاتها عاليًا : عع عمو ، حس ان حسان جوزك!

_لطمت على وجهها قبل أن تترك جسدها لتسقط على الأرضية .. ظلت تضرب حالها وهي تهتف بنواح شديد

سلوى : يالهوي ! يالهوي!

حسان اللي عمل معاكي كده ! أمتى وإزاي ؟ وانا كنت فين!

هنا وهي تحتمي بالطبيب لئلا تتعرض لها بالأذى : لما كنتي بتروحي لتيتة ، وقالي هموتك لو قلتي

_شعر الطبيب بإرتعاش الصغيرة من خلفه .. فربت عليها وهو يهتف بضيق

الطبيب : متخافيش ، أمك هتعمل بلاغ وهيتقبض عليه في الحال

سلوى وهي تضرب على فخذيها وقد سالت دموعها بغزارة : مينفعش ، لو بلغت عليه ده بتاع برشام وحشاش ، هيقولو مكانش في وعيه وياخدله سنة ويطلع ، وبنتي هي اللي هتتفضح

الطبيب وقد سئم أسلوبها السلبي : تاني هتقوليلي الفضايح!

_أستندت سلوى على حافة الفراش المعدني ونهضت بثقل شديد .. وكأن جسدها قد أصبح ضعف وزنه ،

رمقت الصغيرة بنظرات متحسرة مقهورة ثم نكست رأسها بخزي وهي تهتف

سلوى : أنا هتصرف يادكتور ، بس سيبني أنا وبنتي وانا هتصرف

الطبيب وقد شعر بالإرتياب : لأ مقدرش أشوف جريمة زي دي وأسكت!

سلوى وهي تنحني لتقبيل يده برجاء : أبوس أيدك تسيبني اتصرف انا مع جوزي ! وهعرف أحمي بنتي منه إزاي؟

_سحب الطبيب يده سريعًا ثم حدجها بتوجس ..
يخشى أن تترك حقها وحق أبنتها ويكون هو
بذلك شريك في هذا الجُرم .. ولكن ليس بيدهُ
حيلة أمام إلحاحها ورجائها المتكرر ، فأنصاع
لرغبتها وتركها تذهب بأبنتها تاركة المكان..

....

_دثرته شذى جيدًا بالغطاء السميك الناعم ..
ثم أنحنت تطبع قبلة على جبينه وهي تهتف

شذى : أنت كده حاسس بالدفى؟

نجم وهو يهز رأسه عدة مرات : آه ياطنط

غيد وهو يوزع نظراته بينهم : أبعدي عنه ياشذى ، الدكتور قال أن الڤيروس معدي وسهل يتنقل ليكي

شذى وهي تهز رأسها بعدم إكتراث : مش مهم

غيد وقد أنعقد حاجبيه بعدم رضا ، فهتف مستنكرًا : لأ مهم ، انا من الصبح هكلم الدكتور يبعتلي ممرضة ترافقه لحد ما فترة العلاج والنقاهة تخلص

شذى بلهجة متشددة : مش هتحتاج لممرضة ، أنا هفضل موجودة جمبه طالما مشيت فجر

نجم وقد أرتفع حاجبيه بتعجب : انت مشيت فجر يابابا ! ليه دي طيبة أوي ؟

غيد وهو يكز على أسنانه بضيق : لما تخف

يانچم هنتناقش سوا ، وهنتكلم بخصوص إنك

خبيت عليا موضوع زيارتك لبيت فجر

نچم وهو يعض على شفتيه بحرج من والده :

مكنتش عايزك تضايق وتزعقلها

غيد وقد تلوت شفتيه بإستهجان : ده مش مبرر!

_تردد نچم في إخبار والده بما يدور في خلدهُ ،

ولكنه قرر فتح الموضوع أمام والده طالما إنه

علم بذهابه لمنزل فجر .. فرك الصغير صدغه

بحيرة وهو يتابع

نجم : طالما عرفت يابابا انا عايز أطلب منك

حاجة ، بس مش ترفضها

غيد وهو يدس يديه في جيب بنطاله : حاجة إيه

؟

نجم : عندي هدوم كتير أوي مش عايزها وصغرت

عليا ، ينفع أديها لأخو فجر عشان معندوش هدوم

؟

غيد وقد أرتفع حاجبيه بعدم تصديق لتفكير

ولده الحكيم : أخوها ! وانت عرفت إزاي؟

نجم وقد ظهرت ملامح الشفقة على وجهه المُتعب :

لما كنت عندهم كانت هدومه مش حلوة وفيها

قطع ، فعرفت لوحدي

_أبتسم غيد بعفوية لهذه الميزة الحانية التي يتمتع بها طفلهُ .. فأقترب منه وأراد ضمه إليه بشغف..

ولكنه وجد شذى تجذب الصغير نحوها وتخبئ وجهه بين أحضانها وهي تقول بحذر

شذى : أبعد عن الولد

غيد مقوسًا شفتيه بحنق : على أساس إنك بعيد!

شذى : انا غيرك ، وياريت تروح تنام عشان في meetingالصبح بدري هتضطر تحضره لوحدك ، عشان انا هفضل مع نجم

غيد وقد تحولت ملامحه للجدية : شذى ، مينفعش تفضلي هنا مع نجم ، انا هجيبله ممرضة

شذى وقد أرتفع حاجبيها بتذمر : انت بتطردني!

غيد وقد شعر بالحرج منها : لأ طبعًا انتي عارفة إن ده بيتك ، لكن مش هجازف وأسيبك معاه وتتنقلك العدوى يبقى الحل إيه ساعتها ؟

_أبتعدت شذى عن " نجم " قليلاً، ثم نزعت عنها معطفها الشتوي وهي تهتف بسخط

شذى : أنا مش صغيرة يامستر غيد ، ممكن تطلع بره عشان أغير هدومي وانام انا ونجم ولا هنفضل سهرانين

_رمش بعينيه عدة مرات وهو يحيد ببصرهُ عنها وقد أحمر وجهه بخجل لطيف .. ثم أخفض بصره وهو يقول

غيد : تغيري هدومك ! ده انتي مظبطة أمورك على كده بقى ؟

شذى وهي تومئ برأسها إيجابًا : أيوة ، وياريت تقفل الباب وراك

نچم وقد راق له مبيت شذى معه ، فنطق متحمسًا للغاية : اللّه ، إحنا هنام سوا؟

شذى وهي تغمز له بنصف عين : في إعتراض يانچم ؟

نجم : لأ ، أنا مبسوط عشان بقالي كتير بنام لوحدي

غيد مستسلمًا لرغبة كلاهما : طيب ، هسيبك النهاردة وبكرة نتكلم في الموضوع ده شذى ، تصبحي على خير

شذى : وانت من أهل الخير

_ودعهما بنظراته قبيل أن يغلق باب الحجرة وينصرف ، وظل باله منشغلاً بتلك التي تصرف معها بقسوة مفرطة..

هو على حق ولكنها لم ترتكب ما يجعله يستبعدها عنه كُليًا..

ولكنه برر لنفسه بأن مثلها لا تصلح أم لطفله الذي ولد والذهب في فمهُ..

هو يشعر بالذنب حيالها ، ولكنه يتذكر نجم الدين وما وقع له فيزداد حنقه منها..

....

_جلست على حافة الإريكة .. سويعات كثيرة مرت عليها وهي جالسة بمحلها لم تتحرك ، دفنت رأسها بين كفيها وهي ترثي حالها وحال إبنتها التي ستعيش حاملة للعار طيلة حياتها..

بكت بُكاءً مفرطًا وهي تتخيل ذلك المشهد المثير للتقزز..

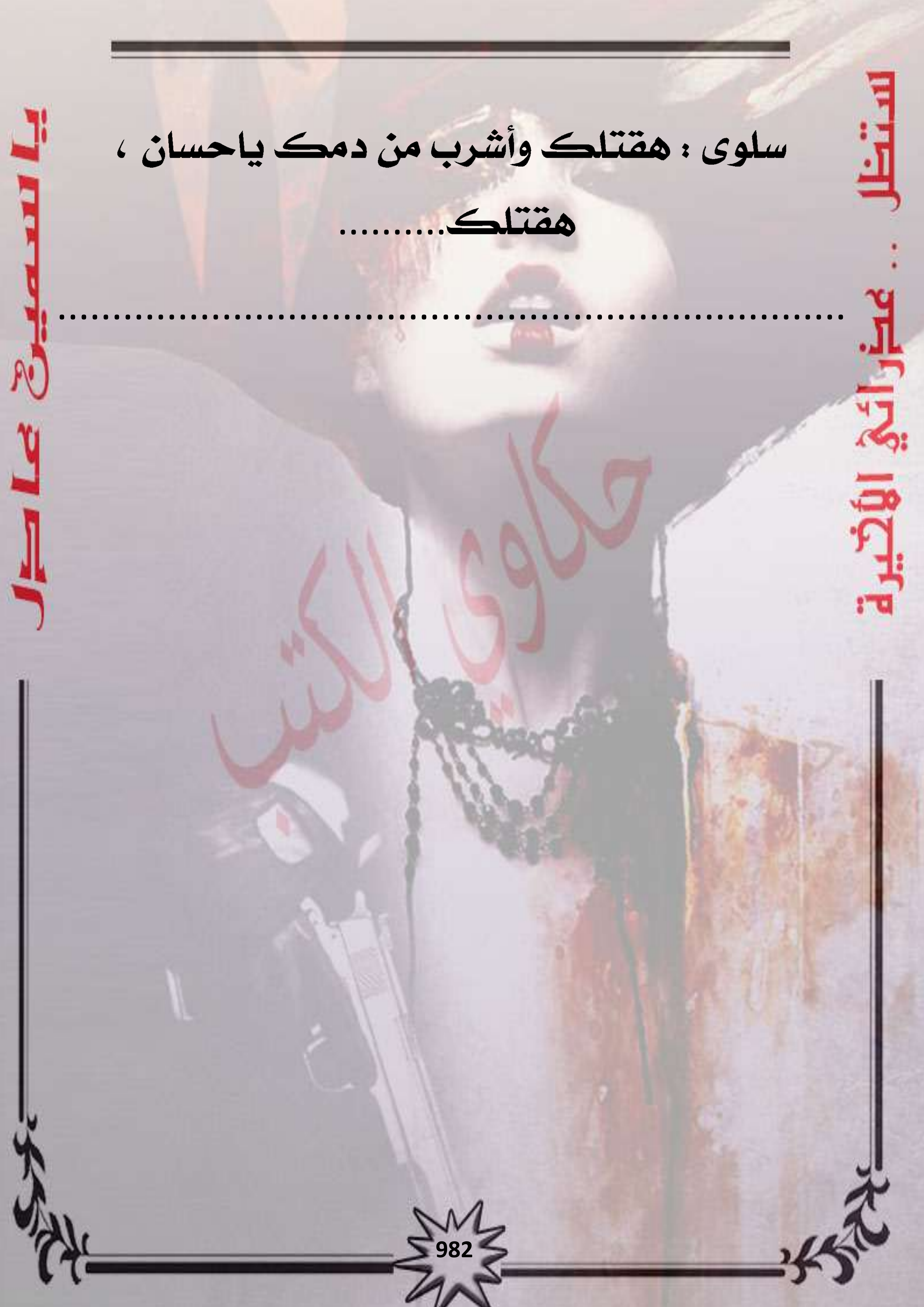
وظلت تضرب على فخذها تارة ، وعلى صدرها تارة أخرى..

سلوى : بقى كده ياعرة الرجالة ! ملقيتش غير بنتي وتعمل معاها كده يا* يابن ال ** ، ده هخليك عبرة .. هقتلك وأكل من لحمك زي ما نهشت في لحمي وفي بناتي يا ** ، يامين يلايمني على رقبتك عشان أخنقك بأيدي دول .. وحياة من خلق السما في سبع أيام ما هخليك تتهنى بحياتك يا***

_أستمعت لصوت حكات نعل حذاء بالسُلم ، فنهضت سريعًا من مكانها ووقفت خلف الباب

مباشرة لتسترق السمع للخارج .. أستكشفت هويته من صوت دندنته وهو يصعد الدرج ، فركضت مرة أخرى للداخل لتوصد باب الحجرة الخاص بأبنتيها ، ثم جذبت العصا الغليظة من الزاوية ووقفت خلف باب الشُقة منتظرة دخوله..

لحظات كَالدهر وهي تتأهب للأنقضاض عليه بلا رحمة عقب فعلته المُشينة مع أبنتها .. وكأن دمائها كَقدح من الماء المغلي الذي سينسكب عليه ، وعندما فتح الباب وتقدم بخطوة ليعبر العتبة الداخلية .. دفع الباب بقدمه ، ليتفاجئ بضربة قوية للغاية على ظهرهُ تلاها أخرى وهي تصرخ فيه بصوت خرج من أحشائها المتوهجة



سلوى : هقتلك وأشرب من دمك ياحسان ، هقتلك..........

....

الفصل الثامن والعشرين

_لم يكن أثر الضربتين العنيفتين اللاتي تلقاهم بقوي عليه ، حيث إنه مُخدر بفعل الأقراص المخدرة التي يتناولها بشراهة .. فأستطاع أن يتفادى الضربة الثالثة ، وأنحنى حتى لا تُصيبه..

وبسرعة خاطفة أطبق على ساعديها لتُفلت العصا ولكنها تشبثت بها .. فضرب برأسه غرة رأسها حتى يصيبها بالدوار فتنشغل ، وبالفعل نجح مخططة وسقطت العصا من يديها..

فأنقض عليها يضربها بالصفعات ويلكمها بقبضته المتكورة بمعدتها ، ولكنها لم تيأس ، فقد

بادلته هذه الضربات وقبضت على عنقه تخنقه وتغرز أظافرها به..

فجذبها من شعرها وهو يزأر بصوته قائلاً

حسان : بتضربيني يابنت الكلب يا ** ده انتي جيبتي أخرك معايا

سلوى وهي تحاول تخليص شعرها من بين أصابعه ، فغرزت أظافرها بيده لكي يتركها وهي تهدر به

سلوى : بتعتدي على بنتي ياراجل يا ** ، ده انا هولع فيك انت وأهلك وناسك يا * ، مش كفاية الغلب اللي شيفاه معاك وساكتة .. كمان بتقرب من بناتي يا**

_سحب حسان يده سريعاً عقب أن أصابته بخدوش غائرة في ظهر يده .. وقد أصابته كلماتها بالقلق والتوتر ، فقد عرفت بعلاقته مع أبنتها وممارسته الفحشاء معها..

لم يستحي من فعلته ، بل إنه خشى رد فعلها لأنه يعلم مدى شراستها أمام حق بناتها .. فعاد بجسده للوراء وهو يُبعد

بدنس هذه الجريمة عنه و....

حسان : إيه الجنان اللي بتقوليه ده ! محصلش عليا النعمة

سلوى وهي تصرخ فيه وقد خانتها عبراتها وأنسالت على وجنتيها : كداب ، البت قالتلي على كل حاجة ، والدكتور كشف عليها بنفسه!

ملقيتش غير بنتي يازبالة ، ياعرة الرجالة ، ده انا هقتلك بأيدي

_أنقضضت عليه وهي تطبق على رقبته بعنف ، ولكنه قام بتخليص حاله منها بأعجوبة ..

فكانت ثائرتها لا حل لها ، ولكنه قرر أن يتبجح في حديثه معها ويعلن عدم إكتراثه بما حدث..

بل إنه سيلجأ لأسلوب التهديد أيضًا من أجل أن تلتزم بالصمت هي الأخرى فيضمن سلامته..

جذب رسغها وثناه للخلف وضغط عليه ليؤلمها ، ثم نطق بصوت متبلد خالي من الشعور

حسان : لو عايزة تعيشي لبناتك ، ومتشوفيش واحدة فيهم ميتة قدامك ، أحسنلك تنسي اللي حصل وتكفي على الخبر ماجور (تكتم الخبر) أحسن ورب الوجود لأكون مخلص على بناتك قدامك قبل ما أخلص عليكي .. ولو على البت ليها حل عندي وهصلح اللي حصل

سلوى وهي تبكي بقوة من فرط الآلم النفسي والجسدي بجانب المعنوي : حل إيه يا * انت موت البت بالحيا ، ربنا ينتقم منك أشد أنتقام .. ربنا يوريني فيك يوم ياظالم ياعديم الرحمة

حسان وهو يشدد على رسغها ليزيد من آلمها :

الطب دلوقتي في كل مكان ، هي حتة عملية صغيرة والبت ترجع صاغ سليم

سلوى وهي تضرب بيدها المتحررة على صدرها :

يالهوي ! كمان ؟

حسان بلهجة مزدرية وكأنه لم يفعل شيئًا : مش أحسن ما تفضل كده و آ.... وتعنس جمبك

_دفعها بعنف لتبتعد عنه فسقطت أرضًا .. تركها وأنصرف للداخل وهو يتمتم بصوت مسموع

حسان : لو وافقتي الضاكتور اللي هيعملها العملية موجود ، بس انتي قبي (أظهري) بالفلوس .. أنا مش هدفع حاجة لبنتك ولمؤاخذة

_أستندت بمرفقها على الأرضية لتجلس بوضع القرفصاء.. وراحت تبكي وفد خالج صوتها النشيج ،

فقدت طفلتها التي لم تتعدى الثانية عشر من العمر حياتها مبكرًا .. والأعظم إنها فقدت هذه الحياة على يد ذلك الذي أختارته والدتها زوجًا لها ، أي أن والدتها مشتركة في هذا الجُرم بصورة غير مباشرة..

دفنت سلوى وجهها بين راحتيها وتركت الدموع تتساقط لتغمر وجهها وكفيها .. ولا يفارقها الشعور بالذنب والإثم حيال إبنتها ، ودت لو قتلت حالها إنتقامًا .. لولاً أن قتل النفس خطيئة لفعلت ذلك ، بدأت تشعر بآلام متفرقة بأنحاء جسدها على أثر ما كاله لها " حسان " من ضربات مبرحة وصفعات موجعة .. فتحاملت على حالها ونهضت متعرجة لتلج إلى حجرة إبنتيها..

صفقت الباب وتقدمت نحو أبنتيها ، ضمتهما إلى صدرها بقوة وراحت تُقبل رأس إبنتها الضحية " هنا " وهي تنطق بلهجة نادمة

سلوى : حقك عليا ياضنايا ، أنا السبب حقك عليا ، بس ورحمة الغاليين ما هسيب حقك يابنتي

....

_عانى من الأرق طوال الليل .. ولم يذق طعم النوم في هذه الليلة المُؤرقة ، حيث أن مرض طفله حاز على الشاغل الأكبر لديه ، رغم أن الطبيب طمأنه بأن هذا النوع من الڤيروسات عندما يصيب الكبد لا يسبب أضرارًا خطيرة .. ومع ذلك يجب الحذر حتى يتخطى مرحلة العلاج بسلام..

بضع ساعات قليلة حظى بها ثم سرعان ما أستيقظ لتأدية مهامه اليومية..

أرتدى ملابسه كاملة وخرج عن حجرته متوجهًا نحو حجرة " نجم الدين " .. قرع على الباب عدة قرعات خافتة ولكنه لم يستمع لصوت يأتيه من الداخل ، فظن إنها مازالت نائمة بجوار الصغير .. وربما تدعي النوم حتى ينصرف ، فحك طرف ذقنه النبتة وهو يقول

غيد : شذى ، يلا عشان مش همشي من هنا من غيرك!

_لم يتلقى أي رد منها ، فشدد من قوة طرقته ليصل إلى سمعها ولكن دون جدوى

غيد : شذى ، مش هينفع أسيبك مع نجم ، مينفعش تختلطي معاه والدكتور محذر من ده ، أفتحي من فضلك

_خشى أن يفتح باب الحجرة فيرى ما لا يجب أن يراه .. عض على شفتيه بحرج ثم ألتفت عقب أن يأس من محاولته .. فتفاجئ بها تقف خلفه على بُعد سنتيمترات عديدة وقد أصابها الضحك من تعابير وجهه المشدوهة حينما رآها .. فبادرت هي تقول

شذى : بتبصلي كده ليه ؟

غيد وهو يوزع أنظاره بينها وبين باب الحجرة المغلق : انتي خرجتي أمتى ؟

شذى وهي تبتسم بعذوبة : صحيت من بدري عشان أعمل الفطار لنهم

_نظر لهذه الصينية التي تحملها فوجد كوبًا من الحليب الدافئ ورقائق من الخبز المخبوز وصحن صغير يحوي كمية من العسل الأسود .. بجانب صحن من السلطة الخضراء الملئ بأشكال مختلفة من الخضراوات..

مط شفتيه بإعجاب وهو يمد يده لسحب قطعة من الخبز ، ولكنه ضربت بخفة على يده ليسحبها سريعًا ثم قالت

شذى : إيدك ، ده فطار نجم

غيد وقد تلوت شفتيه بإستنكار : طب ماانا مفطرتش برضو!

شذى وهي تبتعد لتتجاوزه وتدلف لحجرة نجم : بعدين ، ده مش وقته

_دلفت للحجرة ثم أقتربت من الطاولة الصغيرة لتسند عليها حامل الطعام .. ثم أنتقلت بخطواتها نحو الستائر لتزيحها فتظهر أشعة الشمس..

أقتربت من فراش نجم لتجده بدأ يفيق بالفعل ،

فأبتسمت وهي تزيح عنه الغطاء وهتفت

شذى : يلا يانجم أوم أفطر

_في هذه اللحظة .. ولجت دولت بصحبة " عدنان " للإطمئنان على الصبي الصغير .. وقد كان القلق باديًا عليهم بشدة..

دنت منه دولت وهي تهتف بصوت مهزوز

دولت : سلامتك ياحبيبي ألف سلامة

عدنان وهو يجلس على طرف الفراش : شد حيلك يابطل وأوم بالسلامة بسرعة ، أنت قدها

نجم وقد بدا عليه الإعياء بشدة : حاضر ياجدو

_ضمته دولت لصدرها ومسحت على بشرته الشاحبة وهي تقول

دولت : ده انت وشك أصفر خالص ، لازم تتغذى كويس عشان المرحلة دي تعدي من غير ما تطول

غيد وهو يشير لها لتبتعد وقد ظهر القلق في صوته : أمي ، ڤيروس A مُعدي ، أبعدي من فضلك

دولت : متقلقش ياغيد ، أنا خدت المرض ده وانا صغيرة وعندي مناعة منه ، وانا اللي هخلي بالي من حفيدي ، ملهاش لزوم الممرضة اللي عايز تجيبها

_ألتفتت دولت لتنظر حيال شذى ، ثم أبتسمت لها بإمتنان قبل أن تردف

دولت : كلك ذوء ياشذى ، شكرًا على تعبك مع نجم أمبارح

شذى وهي تردد على أستحياء : على إيه ياطنط ، نجم الدين غالي علينا كلنا

عدنان وهو يرفع من مكانة شذى أكثر : مش جديد على بنت عبدالرحمن اللّه يرحمه ، كلنا متعودين منها على كده

غيد وهو يبتسم بسخرية مازحًا إياها : طب يلا يابنت عبد الرحمن ورانا شغل

شذى وهي تقوس شفتيها بحنق : ماشي ، عن أذنكم ياجماعة

دولت : مع السلامة ياحببتي

_أنحنت شذى لتلتقط حقيبتها المسنودة على الأريكة ثم ألتقطت معطفها وتحركت نحو باب الغرفة..

عبرت أعتاب الحجرة وهي ترتدي معطفها ، ثم رددت وهي تحدثه

شذى : مستر غيد ، متتنساش تاخد أجازة لنچم من المدرسة ، وكمان تحاول تخلي الإمتحانات بتاعته في لجنة خاصة عشان ميضايقش من الأطفال اللي معاه

_رفع غيد حاجبيه بإندهاش ، فهو لم يفكر قط بهذه المسألة الهامة .. وتناسى تمامًا أمر أمتحانات نصف العام ، فهتف مستنكرًا

غيد : أنا ناسي الموضوع ده خالص ! إزاي أفتكرتي ؟

شذى وهي تبتسم له بثقة : الست غير الراجل في الأمور دي

غيد وقد تقلضت تعابير وجهه وهو يهتف : فعلاً ، وجود الأم مع الأطفال حاجة مفروغ منها ، بس مش بأيدي

شذى وقد شعرت بالضيق من حالها لضغطها على هذه النقرة الحساسة لديه : أقصد إن تفكير الراجل محدود ، غير الست

غيد وقد تنغض جبينه بعدم رضا : محدود ! ده بجد؟

شذى وهي ترفع رأسها بكبرياء وثقة : قولي يامستر غيد ، هو الراجل يبقى إيه من غير الست ؟

_حملقت عينيه وهر يفكر في إجابة سريعة لسؤالها المباغت ، والذي لم يكن سؤالًا بقدر ما كان إستخفاف بأمر الرجال .. فقبض على شفتيه بحرج وهو يتعلثم بحديثه

غيد : آآ... الراجل....

شذى وهي تدقق النظر لحدقتيه : أقولك انا ، ولا حاجة!

الراجل من غير الست ولا يسوى أي حاجة

_تحركت نحو الدرج ، بينما تسمر هو مكانه غير مصدقًا وصفها لهم باللا شئ بدونهم .. أبتلع ريقه وهو يرمش بعينيه عدة مرات وتحرك سريعًا ليلحق بها .. وقف قبالتها على أحد درجات السلم ثم تنغض جبينه وهو يتسائل

غيد : انتي قولتي إي؟ إحنا منسواش

شذى وهي تهز رأسها بالنفي : مش قصدي ، لكن انتو من غيرنا متعرفوش تعيشوا ولا تتصرفوا في حاجة

غيد وقد ضاقت عينيه وهو يتابع : مين قالك كده ؟ ماانا عايش من غير ست أهو وبعمل كل حاجة ، ومش محتاج حاجة من حد

شذى وهي تجيبه بدبلوماسية أفحمته : مش صح ، أنت مش عايش لوحدك .. في تحت خدامة اللي هي ست بتطبخلك كل يوم وبترتب أوضتك وحاجتك وهي اللي بتهتم بالمكوى والغسيل وتنضيف الأوضة ، وفي شغل متقدرش تعمله لوحدك لوحدك من غيري ، وفي طفل أنت محتاس بيه ولو ملقيتش مربية أحتمال تخصص وقت من شغلك عشان تهتم بيه .. انت مش هتقدر تعيش لوحدك

_أخفض بصره عقب أن فشل فشلاً ذريعًا في الرد عليها ، بينما تابعت هي بغرور وثقة

شذى : انا بقى عايشة لوحدي وبعمل كل ده لنفسي ، وأقدر أفتح بيت ويكون عندي أطفال كمان وأراعيهم وأراعي جوزي .. ولو مفيش في حياتي راجل مش هتأثر

غيد وهو يهز رأسه بالسلب : مش صح ، في حجات متقدريش تعمليها لنفسك .. زي الأمان والسند ، الحب .. إحنا بنكمل بعض ، ومفيش فينا حد مش محتاج للتاني

_لم تُحيد ببصرها عنه ، بينما أفسح لها المجال وأشار لها لتعبر وهو يردد

غيد : مش يلا بينا!

شذى : يلا

....

_جلس يتابع أحد أهم المباريات لأشهر فريقي كرة قدم .. كان يتناول حبات ذرة الفشار وهو محدقًا بالتلفاز غير شاعر بعدم وجودها..

ما أخرجه من جمّ تركيزه هو رنين هاتفه الصاخب .. نظر نحو هاتفه ليجد أسم " سيد " يضئ هاتفه ، فأنقبضت ملامحه وقست وهو يبحث عنها بعينيه .. ثم ترك صحن الفشار وأمسك هاتفه ونهض عن جلسته..

وعقب أن تأكد من عدم وجودها بالقرب منه قام بالرد عليه بصوت خفيض و....

يوسف : أيوة ياسيد ، طمني عملت إيه

سيد : جيبتلك المطلوب ياباشا ، قطرت (راقبت) الراجل اللي أسمه رضا لحد ما جيبتلك عنوانه .. وعرفت أمتى بيطلع بالمكروباص بتاعه وأمتى بيروح ، وكمان الست مراته عرفت بتكون موجودة لوحدها أمتى

يوسف وهو ينظر لخارج حجرة المعيشة بتدقيق : كويس أوي ، جهز نفسك للخطوة الجاية ، وبمجرد ما أديك الإشارة تنفذ على طول .. وانا هفضل معاك ومع أمين على التليفون

سيد : ماشي ياباشا ، أتفقنا

يوسف وهو يفرك جبهته بتفكير : انا بعتلك فلوس مع سواق الشركة ، وصلتلك؟

سيد وقد أنفرجت أساريره : خيرك سابق ياباشا

يوسف : مفيش الكلام ده في الشغل ، ومتنساش تدي أمين المبلغ اللي أتفقنا عليه ، بس آ.....

_صمت يوسف لثوان مترددًا في قول ما يجيش به صدرهُ .. فحمسه سيد للمتابعة وهو يقول

سيد : كمل ياباشا سامعك

يوسف وقد أصابه الفضول الممزوج بالحيرة : ليه بتعمل معايا كل ده ياسيد ! يعني ليه بتساعدني ؟ عشان الفلوس بس ولا ليك دافع تاني ؟

سيد : مش هكدب عليك ياباشا واقولك الفلوس متفرقش معايا ، بس الأساس إن ربنا ميرضاش بالظلم ولا بالعدالة البطيئة ، وفي الآخر هياخدو كام سنة ويخرجو من السجن أسوأ من الأول .. محدش بيتربى من السجن ياباشا ، انت مظلمتش حد ياباشا ، ويوم مكنت هتظلم (فجر) انا رفضت ووقفت الناحية التانية، وطالما هما الفعل وانت رد الفعل يبقى ميهمكش ، البادي أظلم ياباشا

يوسف وقد أقتنع بسداد رأيه : صح ياسيد ، البادي أظلم وهما اللي بدأو .. سلام

_أغلق هاتفه ثم تركه على المنضدة الصغيرة بالزاوية ، وأخيرًا أنتبه لغياب " رزان " فأنعقد ما بين حاجبيه وأنكمش جبينه وهو يقول

يوسف : طالما غابت كده يبقى بتعمل حاجة!

_أنتقل بخطوات سريعة ليبحث عنها بأركان الشُقة ، حتى أستمع لصوت صنبور المياة المفتوح بالمرحاض وصوت دندنتها ينبعث من الداخل ، ضاقت عينيه بمكر وهو يسترق السمع لصوتها .. ثم أدار المقبض بهدوء شديد حتى لا تشعر به ، فوجد المرحاض مُعبأً بالبخار ، ولم يستطيع رؤيتها .. بل لمح ظلها من خلف الستارة الشفافة

التي تحيط المسبح الصغير .. فأبتسم إبتسامة

عابثة وهو يضيق عينيه لرؤيتها بوضوح ، ولكنه

تفاجئ بها تغلق صنبور المياة وتشرع في الخروج

عن المسبح .. فأغلق الباب سريعًا ووقف بجواره

مباشرة منتظرًا إياها لفتح الباب ،

لحظات تلاها ثوان حتى أنفتح الباب وأنبعث من

الداخل رائحة عطرية ساحرة ، أسرتهُ أكثر ..

فتنهد بحرارة ، بينما خطت هي بقدميها

المتنديتين لتضرب بجمالها رأسه..

فأنفرجت شفتيه ببلاهة وهو يجذبها إليه ،

فأنتفضت وهي تقول بفزع

رزان : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، خضيتني!

يوسف وهو يتمعن النظر لهذه القطرات الساخنة التي تُزين وجهها البض : سلامتك من الخضة ياروحي ، بقى بتتسحبي من ورايا عشان تاخدي شاور من غير ماأعرف!

رزان وهي ترمش بعينيها ثم أسبلت بهما بخجل : هو الماتش لحق يخلص!

يوسف وقد ضاقت عينيه بخبث شديد : يعني عملتي الفشار وقعدتي معايا قدام الماتش ، وبعدين تمشي وتسيبيني ! ده انتي طلعتي مش سهلة ياروزي

رزان وهي تكبح ضحكة عالية ودت لو أنفجرت بها : أعملك إيه ماانت مش بتيجي غير بالأمر الواقع

_أستنشق هذا العبير المنبعث منها وأقترب من

أذنيها وهو يهمس بخفوت

يوسف : وبعدين إيه الريحة الجامدة دي ! انتي

مصممة يعني تجيبيلي هوس بيكي (مجنون

بيكي)

رزان وهي تتعمد عدم فهمه حتى تتهرب من

محاصرته لها : دي ريحة ال (shower gel سائل

إستحمام عطري) الجديد

يوسف وقد تلوت شفتيه بتهكم : تصدقي

مكنتش أعرف!

رزان وهي تدفع ذراعيه المطوقة لها بخفة : طب

حاسب عايزة أدخل ألبس هدومي!

يوسف وهو يغمز لها بنصف عين : تعالي نلبس سوا

رزان وهي تعض على شفتيها بحرج : وبعدين معاك، كده هبرد منك

يوسف : ميرضنيش طبعاً تبردي ، عشان كده قررت أدفيكي بنفسي

_أنحنى ليحملها بين ذراعيه برشاقة معهودة منه ، فأحاطت عنقهُ بذراعيها وتشبثت به كصغير يخشى فراق والدته .. ثم أنحنت برأسها تُقبل صدغه بُقبلات عميقة ، فأثارته نحو ما يفكر به أكثر ودفعت به الحماسة للمتابعة ، فردد بلهجة حماسية وهو يقودها نحو غرفتهم السعيدة

يوسف : وبالمرة أكملك باقي الأعترافات براحتنا

_قهقهت وهي تلوح بساقيها في الهواء ، وأستسلمت لمراوغته الظريفة لها والتي عشقتها حد النخاع..

....

_وما أن علمت السيدة " أماني " بإصابة زوجها بحادث طريق ، حتى أرتدت عبائتها السوداء بأقصى سرعة وهي تبكي بكاءًا شديدًا..

ظلت ترثي حالها وحال زوجها المصاب وهي تقول

أماني : عيني عليا وعلى بختي الأسود ، يعني يوم ماأعرف إني حامل وأفرح متكمليش فرحة ياربي وجوزي يعمل حادثة ، عيني عليك يارضا ، ياترى عامل أيه ياحبيبي!

_وضعت حجابها بصورة فوضوية على رأسها ، لم تهتم سوى بستر خصلات شعرها ، ثم تحركت لخارج الحجرة ووقفت أمام باب شُقتها وهي تُحدث أمين و....

أماني : قولي لو سمحت ! يعني هو بخير ولا إيه ، بل ريقي ربنا يكرمك

أمين وهو يذم على شفتيه بضيق لحالتها المزرية :

ياست صدقيني معرفش ، هو طلب مني أجيلك طيارة عشان أبلغك إنه عايز يشوفك ، خايف يجراله حاجة من غير ما يشوفك

أماني وهي تضرب على وجنتيها بصراخ : يالهوي ، ثواني ياخويا أجيب المفتاح وجاية

_تحركت للداخل لتحضر مفاتيح شُقتها ، ثم حضرت أمامه مرة أخرى وأوصدت الباب قبل أن تهبط الدرج بخطوات شبه راكضة..

كادت تتعثر في طريقها فأسندها " أمين " وهو يقول

أمين : حاسبي ياست ، على مهلك وان شاء اللّه نلحقه

_وضعت كفها على بطنها تتحسسها ، فهي الآن تحمل جنينًا في أحشائها وتخشى فقدانه أكثر من أي شئ..

فقد أنتظرت لثلاث سنوات حتى عوضها اللّه جزاء صبرها ورزقها بطفلاً ينمو بداخلها .. أبتلعت ريقها ومسحت على وجنتيها لتزيل أثار الدموع ، ثم تابعت الهبوط بخطوات متريثة .. حتى وصلت أمام البناية العتيقة التي تقطن بها..

حيث وجدت سيارة للأجرة تنتظرها ويجلس سيد بداخلها خلف المقود .. فتح لها أمين الباب الخلفي

لتجلس به ، ثم أستقل هو المقعد الأمامي ، وبدأ سيد بقيادة السيارة للخروج من هذا الحي الشعبي ..

_كانت تبكي بكاءًا حارًا ، فأشفق أمين على حالها وأردف ب.....

أمين : خير ان شاء اللّه ياست أماني

أماني وهي تنزح دموعها بأطراف أصابعها : أسترها ياستار

_أخرج أمين بعض المناديل الورقية من جيب معطفه ، ثم بسط يده بها نحوها وهو يقول

أمين : أهدي كده وخدي المناديل دي

أماني وهي تلتقط منه المناديل الورقية : تسلم يارب

_نزحت دموعها بالمنديل الورقي ، ثم وضعته على أنفها لتزيل بقايا المُخاط العالق بها .. ولكنها شعرت بالدوار يجتاح رأسها ، وأصيبت رؤيتها بالتشويش ، فبدت كمن أستنشقت محلولاً مُخدرًا .. ظل أمين مراقبًا للتغيرات التي تصيبها ، حتى تأكد من نجاح الخطة و.....

أمين وهو ينظر لها بتركيز : سمعاني ياست أماني

أماني : آ......



_تنهد أمين براحة وهو يلتفت نحو والده ثم نطق

أمين : خلاص .. سافرت

سيد وهو ينظر إلى المرآة : كويس إنها مشكتش فينا ، دلوقتي نطلع بيها مكان ما يوسف بيه قالنا............

....

الفصل التاسع والعشرين

_قام " أمين " على الفور بالتواصل مع " يوسف " حتى يُبلغه بما آلت إليه الأمور .. كما أبلغه بما أستمع له من حديث تلك السيدة " أماني " عندما كانت تُرثي حالها بالداخل .. أنفرج ثغرهُ وحملقت عينيه وهو يردد هذه الكلمة ذات الأربع أحرف والتي أصابته بالصدمة و....

يوسف : حامل!!

أنت متأكد ياأمين؟

أمين وهو يهز رأسه عدة مرات : طبعًا ياباشا ، أنا سامعها بوداني

يوسف وهو يحك طرف أنفه وقد أحتل التفكير عقله : طيب ياأمين.. كده الخطة أتغيرت ، دلوقتي تاخدوها على المكان التاني اللي قايل لأبوك عليه ، متتنساش توفرلها أكل وشرب في المكان عشان وقت ما تفوق تلاقي حاجة تاكلها وتشربها ، أنا مش عارف هخلص مع ابن ال *** ده أمتى

أمين وهو يومئ برأسه : تمام ياباشا ، تحت أمرك

يوسف : يلا أقفل انت ونفذ اللي قولنا عليه ، سلام

_أغلق هاتفه وهو مازال محدقًا بنقطة ما في الفراغ .. فشاغله الأكبر هو الوصول لتلك

الأفعى الكُبرى والذي سينال قسطًا وفيرًا من هذا الأنتقام..

أعد خطته للحصول على معلومات تخص الطرف الثالث والأهم ، قبل أن يُقيم إنتقامه على هذا المُغتصب الدنيئ..

وإذ به يخرج عن صمته عندما تفاجأ بها تجاوره في جلسته وتضع كفها الصغير على كتفه ضاغطة بأصابعها اللطيفة و...

رزان : يوسف!

_نفض رأسه من هذا التفكير الذي يراوده ثم ألتفت لينظر إليها بحُب و....

يوسف : أيوة ياحببتي!

رزان وهي تتمعن النظر لعينيه : مالك ؟

يوسف وهو يبتسم لها إبتسامة طفيفة لم تؤثر على قسمات وجهه : مفيش ، الشغل بس شاغل كل تفكيري

رزان وهي ترمقه بعدم إقتناع : لأ ، في حاجة تانية غير الشغل ، بقالك فترة مشغول وسرحان دايمًا وانا مش عارفة السبب!

يوسف وهو يتفرس النظر لعينيها اللوزتين : متشغليش بالك ياروزي ، كله يخص الشغل

رزان وهي تهز رأسها بالسلب : لأ ، نفسك السريع ونبرة صوتك بتقول غير كده!

_يكاد يفتضح أمره أمامها ، خاصة وإنه ضعيف أشد الضعف أمام بحور عينيها الواسعة .. فأطبق على جفنه وجذبها ليُخبئ وجهها داخل أحضانه وبالقرب من هذا الذي ينبض بداخله .. كاد يعتصرها بين يديه من قوة إحتضانه لها ، بينما تشبثت هي به وكأنه الملاذ..

أستشعرت بالخوف أكثر وباتت شكوكها أمر حتمي ، لابد وإنه شئ عظيم ليواريه عنها بكل هذا الصمود..

في حين راح هو يحدث حاله و.....

يوسف : ماانا مستحيل أعرفك حاجة دلوقتي!

الخوف الأكبر إن يجرالي حاجة ! ساعتها

هتعملي إيه من غيري ؟

_تحرك بتفكيره مرة أخرى نحو " أماني"

فوسوس له الشيطان بالكثير من الأفعال المشينة

التي يفعلها حيالها حتى يتذوق هذا ال *** من

مرارة ما ذاقه هو .. ولكنه نفض عقله سريعًا قبل

تستحوذ هذه الأفكار عن عقله وأبتلع ريقه وهو

يهمس لحاله بخفوت

يوسف : أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم ، اللهم إني

أعوذ بك من شر نفسي ومن شر الشيطان وشركهُ

....

_جلس عدنان مترأسًا طاولة الأجتماعات المستطيلة والكبيرة .. حيث أنعقد إجتماعًا بين أعضاء إدارة شركاتهُ وبين مندوبي الشركات السياحية الروسية لبحث إتفاقيات للتعامل بين الشركتين لتبادل العمل السياحي..

بينما جلس " غيد " على يمينه ، وشذى على اليسار..

كان غيد يسعى بكل طاقته للوصول إلى حلول وسطية مُرضية للطرفين حتى لا تفوته فرصة عمل كَهذه مع أحد أكبر الشركات الروسية..

كانت شذى حاضرة الجسد وليس العقل ، حيث أنشغلت بآلام رأسها التي تركزت في منتصف

الرأس .. حاولت كبح هذا السعال الذي راوغها ولكنها لم تستطع ذلك لفترة طويلة ، حيث أشتد عليها السعال حتى أغرورقت عيناها بالدموع .. فسلط غيد أنظاره عليها وهو يمد لها بكأس من المياة الباردة لتتجرع منه على رشفات متفاوتة..

ولكنها لم تتوقف عن السعال ، بل إن حدته قد زادت ، فأستأذنت الجميع بالإنصراف عن الإجتماع لدقائق حتى تستعيد توازنها..

جلست على مقعد مكتبها الخشبي وراحت تتعاطى بعض الأقراص العلاجية للتخفيف من حدة البرد الذي أصابها..

وماهي إلا دقائق حتى تفاجئت بإنتهاء الإجتماع وبدأت الوفود تغادر حجرة الإجتماعات..

فوقفت بمحلها وهي ترسم شبح لبسمة مزيفة

تواري بها هذا الأرق الذي أصابها..

وعندما أنتهى عدنان من مصافحة هذا الفريق

الروسي .. وصاحبهم للخارج بصحبة ولدهُ " غيد "

عاودت هي الجلوس وهي تدفن وجهها بين راحتيها

..

وذهبت بتفكيرها بعيداً لتنعزل عن هذا العالم ،

فوجدته يقتحم هذا الشرود وهي يجذب مرفقها

ليكشف عن وجهها و...

غيد : شذى ! أنتي كويسة ؟

شذى وهي تدقق النظر إليه : آه ، شوية صداع بس

؟

غيد وهو يتفرس النظر لبشرتها الشاحبة ووجهها المرهق ، ثم هز رأسه بعدم تصديق وهو يقول : لأ ده مش صداع أبدًا ، وشك مخطوف وعينك مش طبيعية

شذى وهي تُخفض نهديها بتعب : مش عارفة مالي ! شكلي داخلة على دور أنفلونزا تقيل

_ولج عدنان لحجرة " شذى " عقب أن طرق على الباب ثم تفحصها بأعين دارسة وهو يهتف بجدية

عدنان : قومي ياشذى ، روحي يابنتي خديلك النهاردة أجازة أنتي شكلك تعبانة أوي

شذى وهي تهز رأسها موافقة : حاضر

_أخرج غيد هاتفهُ من جيب سترته ثم تفخص قائمة الإتصالات وهو يقول

غيد : ثواني هخلي حسن يوصلك

_حاول عدة مرات الوصول إليه ولكنه وجد هاتفه مغلقًا ، فتلوت شفتيه بإستنكار وهو يقول

غيد : مقفول!

عدنان بلهجة جدية : روح انت وصلها ياغيد ، وانا هكون موجود النهاردة في الشركة طول اليوم

غيد وهو يتأمل حالتها المنهكة : حاضر يابابا

....

_ألقى " رضا " بجسده على المقعد ، ومازال الذعر مسيطرًا عليه..

منذ ليلة البارحة وهو لم يجلس محله ، بحث عن زوجته الغائبة في كل مكان .. ولكنه لم يجد لها أثرًا حتى في منزل أهلها ، كانت تلك هي المرة الأولى التي تتغيب فيها " أماني " عن منزلها دون علم زوجها وهذا ما جعله يفكر فيما وقع لها من سوء يمنعها من التواصل معه و...

رضا : هتكون راحت فين ؟ دي أول مرة تعملها!

يارب عطرني فيها يارب

_فقط بضع دقائق ووجد هاتفه يهتز بداخل جيب بنطاله .. فوقف ليخرجه ثم نظر لشاشته ليجد رقمًا مجهولاً يتصل به ، تجهمت ملامحه وترك الهاتف جانبًا ، حيث شعر بعدم الرغبة في محادثة أي مخلوق .. ولكن تكررت الإتصالات مرة تليها الأخرى..

وفي نهاية الأمر ، وجد رسالة نصية من هذا الرقم ، فأضطر لفتحها ليجد ما يُجحظ عينيه و.....

)مراتك معايا(

_أرتعش جسده وسرت به إرتجافة قوية ، وبأصابع مهزوزة قام بالإتصال على هذا الرقم سريعًا وأنتظر الرد عليه بفارغ الصبر..

كانت أنفاسه قد أضطربت وأخذت طريقها لعدم الإنتظام ، ورغم برودة الإجواء إلا إنه تصبب كمية غير قليلة من العرق .. حتى جاءه الرد ، فصرخ بصوت مرتفع وهو يسب بأقظع الألفاظ و....

رضا : انت مين ياابن ال ***** يا ***** ، لو انت راجل رد عليا

_ضغط أمين على شفتيه بضجر قبل أن يتابع بنبرة باردة مثيرة للإستفزاز

أمين : متنساش إن مراتك معايا ، يعني أذيتها بسيطة!

رضا وهو يبتلع ما تبقى من لعابهُ الذي جف : أنطق وقولي انت مين وعايز إيه من مراتي!

أمين بلهجة أكثر حدة : من الآخر مراتك متلزمنيش ! أنت اللي تلزمني ولو عايزها يبقى هتنفذ اللي هقولك عليه بالحرف

_أعتقد رضا إنها محاولة بائسة لجلب النقود أو الفدية ، فزاد الفزع بداخله وهو يهتف

رضا : ياعم اللّه يخليك انا مش معايا مليم أحمر عشان أدفع فدية والكلام ده ، واللّه انا راجل غلبان و......

أمين وقد تنغض جبينه بحنق : مين جاب سيرة فدية ، بقولك عايزك انت .. قريب هكلمك وأقولك تعمل إيه عشان توصلي ، وأطمن على المدام هي في الحفظ والصون لحد ما نتقابل ياحلو

رضا : طب آ....

_تفاجأ رضا بإغلاق الهاتف قبيل أن يتمم حديثه ، فأبعد الهاتف عن أذنه وقبض على عنقهُ ليكبح رغبته في البكاء .. أجل!

شعر برغبة شديدة في البُكاء ، ولكنه وضعها بقلبه وأغلق عليها لئلا تظهر .. حاول الإتصال بهذا الرقم مرة أخرى ، ولكنه وجده مغلقًا .. فجلس بمحله وهو يفكر في اللجوء للقانون والقيام بإبلاغ رسمي بخطف زوجته ، ولكنه تراجع عن ذلك حتى لا يُسببوا لها الأذى .. وليس أمامه سوى الصبر ، حتى يصل لما يبغونهُ.

....

_فتح " غيد " باب سيارته الأمامي لكي تترجل هي عنها .. بسط يده لها لكي تستند عليه فوجد كفها ساخنًا بصورة غير طبيعية .. أرتعد داخله

وهو يمد أطراف أصابعه ليتلمس جبهتها ، فوجد حرارتها مرتفعة للغاية ، تبدلت ملامحه وهو يهتف

غيد : انتي مولعة ! لازم دكتور يشوفك

شذى وهي تضم ذراعيها لصدرها : مش لازم!

_لاحظ غيد إنكماشها وكأنها تشعر بالبرد ، فرمشت عينيه عدة مرات وهو ينزع معطفه عنه ، ثم مد يده لها وهو يهتف

غيد : ألبسي ده ، شكلك بردانة

شذى : لالا يامستر غيد ، ألبسه أحسن تبرد

غيد وقد أكفهرت تقاسيم وجهه : بقولك ألبسيه ، وانا هروح أجيب حاجة وأجيلك تكوني طلعتي شقتك

_تركها تصعد تلك البناية الراقية حيث شُقتها ، ثم توجه بسيارته بعيدًا عنها..

جلست شذى على أحد المقاعد القريبة من باب الشُقة وهي تشعر بآلامًا تقتحم مفترق الأماكن في جسدها .. تأوهت بتألم وهي تقول

شذى : آآه ! مش عارفة إيه اللي جرالي ؟

_ورغمًا عنها غفت في محلها، قيلولة قصيرة تستعيد بها قدرتها على الحركة والتفكير .. ولكنها أستمعت لصوت رنين الجرس ، فتحركت ببطء نحو الباب لتفتحه .. لتتفاجأ به يصطحب شخصًا وقورًا معه ، يحمل حقيبة جلدية سوداء .. فتعرفت على هويته سريعًا وهي تهتف بإندهاش

شذى : إيه ده!

غيد وهو يشير نحو الطبيب : أتفضل يادكتور ، الدكتور جاي يكشف عليكي ياشذى

شذى وقد جحظت عينيها بذهول : يكشف عليا!

الطبيب وهو يبتسم لها بعذوبة : متقلقيش ياآنسة ، خير إن شاء اللّه

_أفسحت له المجال ليمرقا للداخل .. ثم أغلقت الباب قبل أن تتحرك صوب الحجرة الصغيرة التي كانت تابعة لها قبيل أن تنتقل للحجرة الأخرى التي تخص والديها..

ثم سمحت للطبيب بالكشف عليها للتعرف على علتها..

أنتظر غيد بالخارج وهو يجوب المكان بعينين دقيقتين ،

وجد الكثير من الصور التي تتضم والديها المتوفين .. كان يتفحص ملامح هذا الرجل الكهل الذي عمل لديهم لسنوات طويلة .. فأبتسم قبل أن يهتف

غيد : ربنا يرحمك ياعم عبد الرحمن ، كنت راجل محترم الكل بيحلف بحياته

_أنتبه غيد لصوت فتح الباب ، فألتفت ليتحرك نحو الطبيب سريعًا .. وقف قبالته وهو يتسائل بقلق خفي

غيد : خير يادكتور!

الطبيب بنبرة رسمية جادة : عندها نزلة شعبية حادة ، أنا كتبتلها على شوية أدوية ومكمل غذائي بجانب الڤيتامينات ، أتمنى تواظب على العلاج والإستشارة بعد أسبوع في العيادة عندي .. بس....

_أنتبهت حواسه بقوة عقب أن توقف الطبيب عن حديثه مُنهيًا عبارته ب (بس ...) مما جعل القلق يبرز على ملامحه وهو يتسائل

غيد : بس إيه!

الطبيب : أنا شاكك إنك حاملة لڤيروس A ، ياريت لو تعمل تحاليل في أقرب وقت عشان نتأكد هل ده مرض الصفرا ولا دي أعراض عادية

غيد : ڤيروس!A

الطبيب بلهجة تحمل الشك : ده مجرد شك هيأكده التحاليل

_بسط الطبيب يده بالورقة (روشتة علاجية)
وهو يتابع

الطبيب : دي الروشتة بالمواعيد بتاعتها ، عن أذنك

_قاده " غيد " حيث باب الشُقة عقب أن أعطى له مبلغًا كبيرًا من المال نظير حضوره للمنزل..
وعقب أن أنصرف تحرك غيد للداخل ليدلف إليها وقد تأججت النيران بداخله لعدم سماعها لنصائحه بالبعد عن ولدهُ و.....

غيد : قولتلك ١٠٠ مرة بلاش جو العند ده !
مبسوطة دلوقتي لما أتعديتي من نيم ؟

شذى وهي ترفع بصرها نحوه بوهن : آ .... يامستر غيد انا...

غيد وقد قست تعابير وجهه : بلا مستر بلا بتاع بقى!

انا هنزل أحاول أشوف أي زفت بتاع تحاليل ييجي يحللك هنا ! ويارب ألاقي

شذى وهي تجيبه سريعًا قبل أن يتحرك : مش هتلاقي هنا

_أستدار إليها مرة أخرى ، رمقها بغيظ شديد وهو يضغط على فكيه بقوة .. ثم أطبق على جفنيه ليسحب شهيقًا عميقًا لصدرهُ زفره على مهلٍ..

بينما تابعت هي بصوت غالبه الوهن

شذى : أنا هنزل بالليل لمعمل تحاليل أعرفه ، بس لما أنام وأرتاح شوية

غيد وهو ينظر لساعة يده : هعدي عليكي الساعة ٨ بالليل تكوني لابسة وجاهزة عشان هوديكي بنفسي

شذى وقد خالجها شعور بالحرج منه : بس آ...

غيد بأسلوب فج غليظ : خلاص مفيش بس ، كفاية تمشي اللي في راسك

_نظر لهذا الغطاء الذي تدثر أسفله ، فأستشعره خفيفًا غير مناسبًا لهذا الطقس البارد .. فخرج عن الحجرة وبحث بعينيه عن الحجرة الأخرى ، ثم أنتقل بخطواته نحوها وولج مسرعًا لإحضار غطاءٍ أكثر ثقلًا..

وجد (بطانية) سميكة من اللون الأرجواني على الفراش ، فضمها قبل أن يحملها بين ذراعيه .. ليتفاجأ بشئ تساقط منها ، وعندما أطل برأسه للأسفل وجد ما يشبه مُذكرة ملونة منقوش عليها إسمها وكأنها يوميات .. أصابه الفضول لإكتشاف ماهية هذه المذكرة ، فترك الغطاء جانبًا وأنحنى ليجذبها ثم بدأ بتفحص محتوياتها ، وأول ما وقع عليه بصره هو حديثها لنفسها وهي تقول

((هذا الأحمق الوسيم ، كيف لا يشعر بي جانبهُ .. فقد أوشكت أنفاسي أن تمتزج بأنفاسه من كثرة قُربي منه ، متى سيحن القدر عليّ ليشعر بمعاناتي في تجاهلهُ لهذه المشاعر التي أكنها لهُ))

_توقف غيد عن القراءة وشعر بنيران متوهجة تقتحم صدره المُثلج .. آكله الغيظ مما قرأهُ وهي تكتب في أحد الرجال ، وربما آكلته الغيرة أيضًا .. طوى صفحات المُذكرة ثم دسها بعنف داخل أحد جيوب سترته .. ثم حمل الغطاء وتوجه به نحو الحجرة المجاورة وهو يتمتم بخفوت

غيد : لازم أعرف مين ده اللي بتكتب عنه! ماشي ياشذى ده انتي ليكي موال معايا لما تفوقي من اللي انتي فيه

_دلف إليها ثم قام ببسط الغطاء أعلاها وهو يهتف على مضض

غيد : أنا ماشي وهعدي عليكي بالليل ، ياريت تنامي!

_صمت لحظات ثم تابع بغيظ شديد وهو يتحدث بكلمات مستترة

غيد : مش لازم تفكري وتسرحي في حد يعني ،

سلام

_سحب معطفهُ وبدأ في إرتداءهُ أثناء مغادرته ،

بينما كانت هي في أوج دهشتها من عبارته

الأخيرة..

تغيرت معالم وجهها لتصبح أكثر سخطًا ثم

همست لحالها

شذى : هتفضل على طول كده ! غبي

_أستقل غيد سيارته وجلس خلف المقود وما زال الضيق مسيطرًا عليه كُليّا .. عض على شفتيه بغيظ شديد حتى أدماها دون قصد ، فتأفف بتذمر وهو يسحب منديلًا ورقيًا لينزح به قطرة الدماء التي أنسالت من شفتيه..

ثم سحب المُذكرة من جيبه ليعاود تصفح صفحاتها من جديد .. كان يختطف بعض السطور بعينيه حتى يتعرف على هوية ذلك المجهول الذي تعشقه " شذى " سرًا ، فكان أغلبها يدل على إن حُبها كان من طرفًا واحدًا و....

((أتدرون ما الألم ، أن ترى من أحببته ووهبته تفكيرك يراك كَصديق مخلص له .. يعلم إنه

لن يرتاح بدونك ، ولكنه يجهل إنه لك الحياة بأكملها))

((متى يرتاح القلب ، فقد أنهكني هذا الحُب وأستنفذ طاقتي .. يقتلني ببطئ وأنا آراه قريب الجسد.. بعيد المنال))

))هذا الأبله الذي أعشقه ، لقد وبخني اليوم توبيخًا عنيفًا .. ما يؤلمني حقًا إنني لا أستطيع مجابهة هذا البريق الصادر من عينيه ، ولا أقوَ على حمل الضيق منه((

_ضرب غيد بقبضته المتكورة على مقود السيارة بإنفعال واضح .. ثم هتف بنبرة قوية

غيد : مين ال **** اللي كاتبة عنه كل ده ! مفيش أسم لحد دلوقتي يدل على الباشا اللي الهانم بتموت في دباديبه ، وانا نايم على وداني معرفش حاجة ، ولا كأني بحكيلها كل حاجة ومدخلها في حياتي الخاصة كأنها جزء منها

_تأفف بضجر ثم طوى عدة صفحات أخرى ليتابع القراءة و........

((لم أعد أتحمل هذا الأخرق ، هل يصل به الأمر أن يستعير مشورتي من أجل زواجه ! أود أن أبطح هذا الرأس المصفح لعله ينظر إليّ مرة واحدة ! .. كدت أشك إنني دميمة الخلقة فلا ينظر لوجهي بعُمق لمرة واحدة ، ملعونٌ هذا الحُب الذي أذاقني ويلات الشوق والألم))

((كان حبيبي اليوم لطيفًا رقيق المعاملة ، أحسست به فارسًا ، نظر نحوي بفرحة لم أرها على ملامحه منذ زمن .. ربما سيكون وجود نجم الدين عاملاً أساسيًا سيتيح لي فرصة التنعم بهذه الضحكة التي تؤسرني بعشقه أكثر))

_حجظت عينيه ، توقف لحظة عن التنفس ..

شيئًا ما ضرب رأسه ، هل .... ؟!

ليس من المعقول هذا الذي راوده ؟ هل كل تلك الكتابات من أجله!!

هو الأبله والأحمق الذي لا يشعر بحبها وقربها منه ! هو الأخرق والأعمى الذي لا يراها أمامه ! أنقبض قلبه وشعر بأطرافه قد تثلجت من هول المفاجأة!

أبتلع ريقهُ قبل أن يتحدث ب.....

غيد : مش ممكن ! يعني.....

_حدق بالفراغ غير مصدقًا ، ثم طوى صفحة أخرى ليجدها فارغة ، فطوى أخرى وتلاها أخرى حتى أنتهت الورقات .. ولكنه وجد في كلمة في غلاف المُذكرة و......

((ستسألني يومًا ، لما لم أكتب أسمك في مذكرتي هذه..

واللّه ياحبيبي إني أستحيت من نفسي أن أذكر أسمك وأكتب عنه الأشعار وأنت لا تنظر حتى نحو هذه النفس التي عشقتك دون مقدمات))

_أغلق المذكرة وشعر بإختناق أقتحم صدرهُ..

رمش بعينيه عدة مرات وهو يقول بخفوت



غيد : يعني أنا العبيط اللي بتكلمي عنه !؟

....

....

الفصل الثلاثون

_قام " رضا " بتنفيذ كل ما أمره به " أمين.. "

حيث جعله يستقل العديد من وسائل المواصلات للوصول إلى المكان المنشود .. لضمان عدم مراقبة أحدًا له ،

كان يستقل أحد الوسائل المتاحة ثم يتركها ليستقل غيرها حسب المتفق عليه .. حتى وصل أخيرًا لأحد الأمكنة المهجورة من الناس..

كان الخوف خليلًا له ، والذعر لا يختفي عن قسمات وجهه ، هو يتحرك نحو مصير مجهول لا يعلمهُ..

ولكن ليس بيدهُ حلًا آخر ، فزوجته بين يديهم ولا يريد أن يصيبها بالأذى ، راح يتجول في هذه الشوارع المهجورة بقلب مرتجف وأصابع مرتعشة تخشى ما هو قادم..

حتى تذكر شيئًا ما..

نظر حوله جيداً ، فوجد هذا المكان ليس بغريب عليه .. آتى إلى هنا من قبل ولكنه لا يتذكر أين ومتى!

فرك كفيه بتوتر وهو يعتصر عقله ليتذكر ، حتى تشكل أمامه هذا المشهد المُخزي..

مشهد إغتصابه لهذه الفتاة المسكينة منذ عدة شهور ، فأنتفض جسدهُ بفزع وتوقف عن السير

وهو ينظر حوله لهذا الخلاء المريع والمرعب وحدث نفسه ب.....

رضا : ياليلة سودا ! المكان ده اللي عملنا فيه الدنيئة مع البت إياها ! مش معقول تبقى صدفة ؟ ياسواد ليلتك يارضا

يوسف : هي فعلاً سودا!

_قالها " يوسف " وهو يقف على مسافة ليست ببعيدة عنه ، أشهر سلاحهُ نحوه حتى يُجبره على عدم الفرار .. ثم أبتسم بظفر وهو يرمقه بإستحقار ونطق ساخرًا

يوسف : عارف إنك متعرفنيش ، بس دلوقتي هنتعرف على بعض كويس أوي

رضا بلهجة مرتعشة : أنت مين ياعم انت!

_كان الرد عليه هو إطلاق رصاصة (خرطوش) صوب ساقهُ .. فسقط رضا أرضًا غير قادر على الحراك وهو يصرخ بصوت خالجه النشيج ، وكأن هذه الرصاصة تغلغلت في أعماق ساقه لتصيب الجسد كلهُ بالشلل..

أقترب يوسف منه وهو يلتهم الطريق بخطوات متعجلة متشوقًا للإنقضاض عليه .. ثم دس سلاحه خلف ظهرهُ وأنحنى ليسحبه بالجرّ من ملابسه ، لم يهتم بهذا الصراخ وهذه التوسلات

منه .. بل إنها كانت تزيد من هذا الغليان الذي بداخله ،

جذبه يوسف لداخل أحد المصانع المهجورة بهذه المنطقة البعيدة عن الناس .. ثم دفعه لينبسط بظهره على الأرضية ، نظر رضا حوله ليجد العديد من الآلات الحديدية التي أصابها الصدأ ، والمكان مُغلف بالغبار والأتربة..

أستند برسغيه على الأرضية محاولًا الإعتدال في جلسته..

أنحنى يوسف إليه وقبض على تلابيبه بعنف وهو يصيح فيه

يوسف : يوم ١٣ سبتمبر ، أغتصبت مراتي انت وأتنين غيرك قدام المصنع ده من بره .. فاكر ولا أفكرك ؟

_والآن .. تفهم رضا كل ما يحدث حوله ، هذا زوج الفتاة التي تم إغتصابها منذ أكثر من ثلاثة أشهر ونصف .. ومن الحتمي إنه آتى به هنا ليتخلص منه بعيدًا عن الأعين..

أبتلع رضا ريقه وهو يهز رأسه بالرفض محاولًا إبعاد هذه الجريمة عنه و....

رضا : محصلش ، آآ .. آ انا معرفش حاجة من اللي .. آآآآه

_قبل أن يتابع رضا هذه الإفك وهذه العبارة الكاذبة .. كان يوسف قد هوى على جسده بضربة عنيفة بأحد العصيان الحديدية الغليظة .. فصرخ رضا متألمًا بصوت صدح صداه في المكان ، بينما تابع يوسف بلهجة منفعلة وقد زأر بصوته و.....

يوسف : لو كدبت عليا يابن ال **** ياو*** ، انا ها****

أنا عارف كل حاجة ، حمودة أعترف عليك وعلى ال ****** التاني .. وديني ما هرحمك

رضا وقد أرتعدت فرائصه أكثر عقب أن تأكد من وقوعه بالأمر وحشرهُ في الزاوية : واللّه يابيه ما

كنت في وعي ، انا كنت شارب ومش داري ..

وحياة الغاليين تسامحني وتسيبني أمشي ، وعهد الله ماعملتها تاني ولا هعملها تاني يابيه

يوسف وهو يقبض على عنقه بغيظ شديد : يعني انت تشرب وتتمزج ومراتي تشيل الليلة يابن ال

******

_رفع عصاه منتويًا تحطيمها وتنظيف صدأها على جسده ، ولكنه تذكر إنتقامًا أكثر وحشية من مجرد إيلامه بآلام جسدية مبرحة .. فأخفض العصا وهو يحدجه بشراسة ثم تلوت شفتيه بمكر وهو يقول

يوسف : أنا هعيشك أسود يوم في حياتك

_تحرك يوسف نحو أحد الجوانب الخلفية للمصنع .. بينما زحف رضا خطوة واحدة ولم يستطع الزحف أكثر من ذلك ، لحظات وظهر يوسف مرة أخرى بصحبة رجُليه .. يقودان زوجته ، أنتبه رضا إليهم ولمح زوجته بينهم ، فأنخلع قلبه عندنا تذكر إنها بحوذتهم..

جاهد ليستقيم في جلسته ولكن آلام جسده لم تُمكنه من ذلك ، نظر صوبها بنظرات خائفة مذعورة .. فقد تيقن أنه سيعيش بالفعل يومًا من أسوأ أيام حياته ، كانت تدنو منه ونظراتها إليه تتضح أكتر وأكثر .. فرأى بحدقتيها وميضًا

لامعًا يعلن عن سيل من الدموع التي ترغب في الإنهمار من عينيها..

غصة مُرة أقتحمت صدره وهو يرى نظراتها إليه ، بينما قطع يوسف إتصالات العيون بينهما ووقف في نقطة بالوسط وهو ينظر لها ويردف بقسوة

يوسف : جوزك أغتصب مراتي ، أنا قولتلك كده وانتي مصدقتنيش ، متهيألي دلوقتي صدقتي لما سمعتي بودانك

أماني......... :

_ألتفت يوسف برأسه نحو " رضا " الكائن على الأرضية ، رمقه بإستحقار قبل أن يهتف بلهجة تشبعت بالغضب

يوسف : ما تحكي لمراتك يارضا عن مغامراتك مع الإغتصاب!

_تشوشت رؤية أماني على أثر الدموع التي تكونت بعينيها ، فأطبقت على جفنيها لتنسدل هذه القطرات على وجنتيها ، ثم نطقت بصوت متحشرج ضعيف

أماني : أنت عملت كده يارضا ؟ قول إنك برئ وهما بيفترو عليك ؟ أكدب عليا وانا هصدقك

_أطرق رضا رأسه بخزي منها .. وبدأت الدموع تعرف طريقها لعينيه ، بينما أقترب يوسف منه وأنحنى بجسده ليهمس له بصوت مسموع

يوسف : ياعيني عليها مش مصدقة من ساعة ما قولتلها ؟ عندها حق واللّه ؟ جوزها اللي هي عايشة معاه ومعشراه بقالها ٣ سنين طلع مغتصب!

_أعتدل في وقفته .. ونظر نحو تلك الهزيلة بنظرات متفحصة لتقاسيم وجهها ، ثم أشار نحوها وهو يهتف بلهجة غليظة

يوسف : إيه رأيك لو انا كمان أغتصبت مراتك ، قدام عينيك! مش العين بالعين والبادي أظلم ؟ ولا انا غلطان ؟.. بس الفرق إنه هيبقى على عينك ياتاجر

_أنتفض جسده وهو يرمقه بفزع صادق ، حيث تأهبت كل حواسهُ وزاد معدل التنفس لديه وكأنه يركض لمئات الأمتار .. نظر نحو زوجته ليجدها منكمشة على نفسها وكأنها تحمي

حالها من نظرات الجميع .. في حين تحرك يوسف خطوة واحدة ليجذب زوجته بعنف وأطبق على رسغها وهو يهتف بصوت أشبه للصراخ وهو يشير نحوها بعينيه

يوسف : مش ده العدل بتاع ربنا!

رضا وهو يهز رأسه بعنف رافضًا لقوله : أبوس أيدك تسيبها تمشي وانتقم مني انا ، أدفني في مكاني بس سيبها تروح يابيه أبوس أيدك

أماني وهي تهز رأسها بعنف ، ثم وضعت كفها على بطنها بخوف شديد ونطقت بصوت متشنج : لأ مش ده العدل ، أنا ماليش ذنب ، وربنا قال " ولا تزر وازرة وزر أخرى"

أنت كده هتموت روحين مش روح واحدة ، أنا حامل في ابني .. أرجوك تسيبني انا ما صدقت إن ربنا رزقني بالنعمة دي ، وحياة أغلى حاجة عندك تعتقني

رضا وقد أتسعت عينيه عن أخرهما : ح.. حا... حامل!

_رمقها يوسف بنظرات لا تحمل أي معنى ، شعر بدنائتهُ إذا راوده مجرد التفكير في الإنتقام عبرها..

لن تسمح له أخلاقه والتربية التي تلاقاها من والده على فعل ذلك حتى وإن كان بدافع الإنتقام..

حرك يوسف رأسه بالسلب وهو ينطق بتحسر شديد

يوسف : ياريتني كنت راجل **** عشان أعمل كده ، بس انا مقدرش أجي جمبك ! مش عشان جوزك ال **** ده ! لأ .. عشان مش عايزك تشوفي يوم من اللي شافتهم مراتي ، ولا تتأذي في ابنك اللي مشافش النور بسببي

_أحتقنت ملامحه وتنغض جبينه وهو يهتف من بين أسنانه متابعًا...

يوسف : بس تخلي جوزك يقولي مين التالت بتاعهم ، مين ال **** اللي لسه معرفوش

أماني وهي تهز رأسها بالسلب : ماليش دعوة ، من النهاردة ده مش جوزي ويحرم عليا عيشته ، مش هيشوفني ولا هيشوف ابنه طول حياته

_نظرت أماني نحو زوجها بنظرات مقهورة ، وبلسان ثقيل هتفت

أماني : طلقني يارضا ، من النهاردة أنا متحرمة عليك ومتلزمنيش عيشتك السودا

_نزحت بقايا العبرات العالقة بجفنيها وأهدابها ثم تابعت

أماني : طلقني ياأما هبلغ عنك وأوديك في داهية يارضا

_رمقها رضا بنظرات راجية ، وقد غمرت الدموع وجهه .. شعر بنتائج فعلته الخرقاء الآن ، فقد خسر الإنسانة التي لطالما آزرته وساندته .. وليس هي فقط!

بل فقد طفله الذي تمناه طويلاً ، أجفل بصره وقد عجز عن النطق أمام هذه الحقائق التي أنكشفت .. في حين مال عليه يوسف بجسده وقبض

بقبضته على قصبته الهوائية ليمنعه من التنفس وهدر فيه بصوته وهو يهتف متسائلاً

يوسف : أنت اللي أغتصبت البت الصغيرة ورمتها وسط الزبالة ؟

_حاول رضا أن يتخلص من قبضته ولكنه عجز ، كان يستنشق ذرات من غاز الأكسچين بصعوبة بالغة .. وعندما أستمع لهذا الإتهام الصريح أتسعت عينيه عن آخرها وأشار بأصابع يده ليُبرئ نفسه من إتهام جديد ألتحق بثوبه..

بينما أشاحت أماني بصرها عنه حتى لا ترى أو تسمع ما يحدث .. أثناء ذلك أبعد يوسف قبضته

عن عُنقه ثم جذب ياقته وهزه بعنف وهو يصيح فيه بصوت صدح صوته في الأرجاء

يوسف : مين اللي عمل كده في العيلة الصغيرة ! مين قتلها ياولاد ال ***** يا **** ، أنطق وإلا روحك هتطلع في أيدي

رضا وقد أصابه السعال : آ ... واللي خلق الخلق مش انا ، آ.... حسان ، هو اللي عملها .. وعهد اللّه ماعرف حاجة عنها

_شعرت أماني بإضطراب أصاب معدتها عقب سماع حقيقة أخرى .. شعرت برغبة شديدة في التقيؤ ، فوضعت كفها على فمها لتمنع هذه الحالة التي

أصابتها ، ولكنها لم تستطع فعل ذلك طويلاً ..

حيث تحركت من وسطهم بخطوات راكضة نحو أحدى الزوايا وتقيأت بالفعل ،

فتابعها يوسف قبل أن يلتفت لمواجهته مرة أخرى ، ثم نطق بسخرية

يوسف : حتى مراتك مش مستحملة تسمع الو**** دي ، فين حسان وأوصله إزاي!

رضا وهو يحك عنقهُ بقوة : آ.. هقولك يابيه ، آ.. بس آ...

يوسف بلهجة صارمة : مفيش بس ، هتقولي العنوان وإزاي ألاقيه والأماكن اللي بيقعد فيها ..

ولو كدبت عليا هدهسك من غير رحمة

رضا وهو يهز رأسه بموافقة : آ .. حاضر

_قبضت أماني على معدتها بكفيها ، ثم هتفت بلهجة راجية

أماني : سيبني أمشي لو سمحت ، وانا واللّه ما هفتح بؤي لجنس بني أدم

_أشار يوسف بعينيه لأمين الواقف على مسافة ليست ببعيدة عنه ثم هتف ب....

يوسف : وصلها يا أمين ، الست مهمتها خلصت على كده ! بس لو رديتي المعروف بالمنكر .. أنا معرفش ساعتها هعمل إيه!

أماني وهي تشير إليه بيدها تعبيرًا عن النفي : لأ متخافش ، أنا مشوفتكش ومعرفكش

أمين وهو يشير إليها لتسبق خطواته : أتفضلي قدامي

_تابع رضا إبتعادها عن المكان بشئ من الراحة ، بينما ألتفتت هي لتحدجه بنظرات محتقرة أخيرة .. ثم نكست رأسها لأسفل وتابعت سيرها ، تفاجئ رضا بتلك الضربة التي أصابت ساقهُ المصابة ..

فتأوه بتألم وهو ينظر حيال يوسف الذي كان يمد له يدهُ بورقة وقلم ، ثم نطق

يوسف : أكتب العنوان وكل التفاصيل هنا ، بسرعة

_ضغط رضا على موضع أصابته وهو يصدر آنينًا خافتًا ، ثم ألتقط منه الورقة وراح يدون كل ما يعرفه بشأن حسان ، راقبه يوسف بدقة حتى إنتهى من ذلك ، ثم سحب منه الورقة ونظر لما تحمله من تفاصيل .. عاود النظر إليه وهو يهتف بصرامة

يوسف : مفيش معاك صورة ليه !؟

رضا وهو يهز رأسه بالسلب : لأ وحيات ربنا

_طوى يوسف الورقة ثم مد يده بها لسيد الذي ألتقطها ليدسها في جيبهُ ، ثم أنحنى يوسف لينطق بلهجة متشفية وكأنها الشماتة...

يوسف : مش هموتك زي اللي سبقك ، بس هعيشك طول عمرك فاكرني .. هخليك عايش تتحسر على نفسك ، خسرتك مراتك وابنك ، وهخسرك رجولتك..

مش هترفع عينك من النهاردة عن الأرض

_أبتسم يوسف إبتسامة خبيثة برزت أسنانه ، ثم تابع بصوت متشفي

يوسف : هخليك تتمنى إني كنت أقتلك ، بدل اللي هعمله فيك

_أستقام في وقفته ، ثم قال بغيظ دفين ظهر في شعيرات عينيه التي أحمرت فجأة و....

يوسف : جايبلك دكتور من المشرحة ، هيعالج رجلك ، ويعالج اللي تاعبك وخلاك تبص لبنات الناس .. من النهاردة مش هتقدر تلمس جنس ست ، لأني قررت أعجزك

_صمت لحظة ثم قال بصوت أشبه للفحيح

يوسف : هعجزك عجز جنسي يا.. يارضا ، ولو راجل أتكلم وجيب سيرتي ، تسجيلاتك عندي وإعتراف بصوتك كمان

_جحظت عينيه عقب أن علم بهذا الحُكم الذي حكم عليه به .. حقًا صدق في حديثه ، فالموت سيكون أهون من تركه يعيش هكذا ، شبه رجل..

تلوى بجسده على الأرضية مجاهدًا لكي ينهض ولكنه فشل ، ترجاه بصوت مكتوم وهو يهتف راجيًا

رضا : أبوس أيدك ورجلك لأ ، أنت كده هتموتني بالبطئ ياباشا ، و.........

_لم يستكمل عبارته ، فوجد ظلاً لرجل كبير الحجم يقترب منه .. وعندما تبينت ملامحهُ شعر بالخوف يدب في أركان جسده ، كان رجلاً بملامح مُخيفة شيئًا ما .. حاجبين كثيفين وشارب فوضوي ، ذقن غير حليقة وبشرة سمراء .. عيون واسعة تحجبها نظارة طبية سميكة ، وشعر أكرد خشن .. أقترب منه هذا الرجل وعلى ثغره إبتسامة شيطانية ، في حين هتف يوسف بلهجة ساخرة

يوسف : شوف شغلك يادكتور ، وانا هستناك بره

_تحرك يوسف تاركًا ساحة المصنع المهجور ولحق به سيد ، بينما ظل هذا الرجل بصبحة مساعدهُ مع " رضا " على إنفراد..

وقف يوسف بالخارج ، نظر صوب سيد وهو يهتف بجدية حازمة

يوسف : العنوان والتفاصيل اللي معاك تتحرى عنها كويس ياسيد ، وهتجيبلي أرار (أخبار) النجس ده في أسرع وقت

سيد : أمرك يايوسف بيه

_أستمع لصوت صرخات " رضا " من الداخل وهو يرجوهم لتركه ، فأتسعت إبتسامتهُ بشماتة واضحة وهو يهتف

يوسف : دوق من اللي دوقته ، وأشرب من كاس العذاب اللي سقيته لمراتي يا****

الثاني

....

_جلس غيد خلف المقود منتظرًا نزول " شذى " من بنايتها ، كان التفكير في هذا الأمر هو خليلهُ طوال اليوم..

راح يفكر مليًا كيف سيفتح حديثًا معها بشأن هذا الأمر الحساس للغاية .. فليس من السهل أن يصارحها بما عرف ،

كانت هي حقًا بارعة في إخفاء كل تلك المشاعر التي تكنها له ، فلم يشعر بها يومًا .. أطبق جفنيه بقوة وفرك عينيه وهو يتحدث بهمس قائلاً

غيد : للدرجة دي كنت أعمى ! إزاي مفكرتش فيكي طول الفترة دي!

_تنهد بثقل ، ثم فتح " تابلو " سيارته وأخرج المُذكرة خاصتها لينظر بأحدى صفحاتها من جديد ، وقرأ سطورًا قرأها مئة مرة من قبل و........

((هذا الأرعن الذي أعشقهُ ، لقد صافح المنتدبة
عن شركة السياحة الفرنسية اليوم بحرارة
شديدة ، لم يصافحني هكذا ولو لمرة واحدة ! آه
لو أستطيع لمس كفه بأريحية فأتمكن من عد
الخطوط التي تملأ جلد كفهُ ، سأكون ممتنة
لهذا القدر إذا سمح لي بذلك))

_ورغم إنها نعتتهُ بالأرعن إلا إنه أبتسم لغيرتها
الشديدة عليه وإن كانت لا تبرز ذلك.. رفع
بصره عن المُذكرة ثم شرد في حياته التي أفناها
دون النظر لحاله أو التمتع بمظاهر الحياة .. كان

دائم التفكير في عمله وولده .. أسرته وشقيقه ،
وكانت نفسه هي الأخيرة بين أهتماماته..

تحرك برأسه نحو البناية ليلمحها وهي تهبط
الدرجتين الأماميتين للبناية فأسرع بدس
المذكرة في معطفهُ .. وجاهد ليبدو طبيعيًا رغم
عكس ذلك..

أخذت هي محلها بجواره على المقعد الأمامي ثم
نظرت نحوه بجدية معهودة منها وهتفت

شذى : مستر غيد ، ياريت متكونش زعلان مني

_ولكنها كانت تقول بين طيّات نفسها

((إن العيش بوجود ضيق بداخلك مني ، أشبه بوجود رصاصة حية بين ضلوعي تمزقني))

_نظر لها غيد بنظرات غريبة ، وكأنه يراها لأول مرة .. صدق من قال إن النظرة بعين من تحب تختلف عن نظراتك للبشر أجمعين ، فقد رأها اليوم بشكل مختلف عن كل مرة..

يوجد بها جمالاً لم يكتشفهُ أو يراه يومًا..

تفرس النظر لكل ذرة بوجهها حتى أصابها بالخجل ، فأجفلت بصرها عنه وقد أعتراها التوتر وهي تهتف

شذى : آآ .. مش هنمشي ؟!

غيد وقد أقتحم مبسمة إبتسامة عفوية : حاضر ، أنا عديت على المعمل وانا جاي لقيت الدكتور لسه فاضل على معادهُ ساعة ، هنروح نشرب حاجة عقبال ما ييجي

شذى وهي تومئ رأسها بموافقةOkey :

_أدار سيارته وتحرك بها نحو أحد المقاهي الراقية ، والتي تتسم بالطابع الغربي إلى حد ما.. أصطحبها للداخل ، ثم أنفردا بطاولة ظريفة بالقرب من النافذة التي تطل على حديقة خضراء تابعة للمقهى..

نظرت نحو الحديقة ، بينما كانت عينيه مسلطة عليها .. تفاصيل وجهها تبدو جديدة عليه..

لاحظت هي وجود شيئًا ما غير طبيعي ، فألتفتت برأسها لتصتدم بعينيه اللاتي تسلطت عليها .. أقتحم الحياء كيانها وهي تهتف بتعلثم

شذى : في حاجة يامستر غيد!

غيد وهو يهز رأسه بإيماءة خفيفة : أه في ، في حاجة مكنتش واخد بالي منها .. ومحسيتش بيها غير النهاردة بس

_أبتلعت ريقها بإرتباك ملحوظ ، وراحت تعبث بخصلات شعرها التي تدلت على جبينها .. ثم نطقت بفضول شديد

شذى : إيه!

غيد : شذى أنا.... آ....

....

_واصلت فجر التحرك في الصالة الخاصة بشُقتها بإنفعال واضح ، أكلت المكان جيئةً وذهابًا .. طقطقت أصابع يدها بقلق بيّن .. ثم هتفت بتذمر

فجر : كل ده يامحمود ! مش عارفة إيه اللي أخرك كده ؟

_حاولت الإتصال بشقيقها ، ولكن كان هاتفه خارج نطاق الخدمة .. فتأففت بضجر وألقت بالهاتف المحمول على الأريكة ، لحظات مرت عليها كالساعات حتى أستمعت لصوت فتح الباب..

فتحركت بسرعة نحوه لتجد شقيقها قد حضر ، فأبتلعت ريقها بتخوف قبل أن تسأله....

فجر : ها ! عرفت حاجة يامحمود ؟

محمود وهو يهز رأسه بالسلب ، ويتنفس بصورة غير منتظمة على أثر صعوده للدرج : لأ ، حتى الأسطى رضا مش لاقي ليه أثر هو ومراته ! عشان أسأله .. كده الحكاية بدأت توغوشني

فجر وهي تصفق كفًا بكف : كده ليه أكتر من أسبوع ملهوش أثر ! أسبوع إيه ده داخل على ١٠ أيام!

محمود وقد أقتحم صدره إنقباضة قوية : تفتكري جراله حاجة يافجر ؟

فجر : معرفش

_وأخيرًا وجدت إستنتاجًا وحيدًا ، ليس لإختفاء والدها عن المنزل مبرر سوى تدخل يوسف بالأمر ..

هو صرح لها سابقًا عن عداوته مع أبيها والتي قادته للرغبة في الزواج منها كوسيلة للإنتقام..

أرتفع حاجبيها بذهول ! وتحولت نظراتها لنظرات قطة شرسة ستنقض على عدوها..

قبضت على كفيها بغيظ ثم نطقت بنبرة متوعدة

فجر : أنا عرفت مين اللي هيعرف مكانهُ ، مفيش غيره!

بس لو ده صح ! أنا هقلب عليهم التربيزة ، وعليا وعلى أعدائي...............................!

....

الفصل الحادي والثلاثين

الجزء الأول

_أصبح كلامه غير واضح ، وعباراته مبهمة ليس لها معنى .. مما جعلها تقهقه عاليًا على مشهدهُ وكأنه طالب يقف في موقف أستجوابي مع أستاذهُ ..

فتنغض جبينه بضجر وهو يتابع....

غيد : بتضحكي على إيه؟

شذى وهي تتنحنح لتكبح ضحكاتها : ولا حاجة ! بس أول مرة في حياتي أشوفك متلجلج كده ومش عارف تجمع الكلام

_وأنفجرت ضاحكة مرة أخرى .. في حين هدأت ملامحه المشدودة وهو يحدجها بنظرات متمتعة ، ثم أبتسم بعذوبة لصوت ضحكتها الذي تردد صداه في أذنيه وكأنها مقطوعة سحرية..

حضر النادل ، ثم وضع أعلى الطاولة قائمة تحوي المشروبات المختلفة التي يقدمها المقهى وهو يهتف بنبرة مهذبة...

النادل : أتفضلو حضراتكم

غيد وهو يلتقط القائمة لينظر لفحواها بنظرات خاطفة : تشربي إيه ؟

شذى وهي تستند برأسها على مرفقها : أشرب أيس شوكلت

_طوى غيد القائمة ثم بسط يده للنادل وهو يقول بلهجة رسمية

غيد : هاتلي نسكافية بلاك ، وهاتلها هي ينسون وياريت مياه

النادل وهو يدون في المذكرة الصغيرة : تمام يافندم ، عن أذنكم

_تحرك النادل ليغادر المكان ، بينما حدقت هي فيه مشدوهه من تصرفه عندما أخذ عنها القرار وتجاهل رغبتها .. أنتظرت حتى أنصرف النادل من أمامها ثم هتفت بتهكم...

شذى : طب خدت رأيي ليه طالما هتطلب بالنيابة عني يامستر غيد!

غيد وقد تقوست شفتيه بإستهجان : في واحدة عندها نزلة شعبية وتشرب أيس !! وشوكلت كمان ؟

_ذمت على شفتيها بحرج ثم أخفضت بصرها عنه .. بينما تفرس هو النظر إليها وقرر أن يبوح بما يراه أمامه ، فنطق بصوت رخيم هادئ

غيد : على فكرة ، أنتي حلوة أوي النهاردة

_أنفرجت شفتيها بذهول وهي ترمقه بعدم تصديق .. هذه المرة الأولى التي يغازلها فيها ، أو حتى يقول فيها بكلمات معسولة..

حدثت نفسها وما زال بصرها عالقًا عليه وهي تقول:

-إي ده ! معقول بيقولي انا كده ! يعني.. يعني شايفني حلوة بجد !! مش مصدقة نفسي!

غيد وقد أنتبه لتسرب هذه الحُمرة الخجلة لوجنتيها ، فأردف ممازحًا : خدودك بقت عبارة عن فراولتين ، أمال لو قلتلك كلام أعمق من كده هتعملي إيه ؟

شذى وهي تتنحنح بإرتباك ملحوظ : أحم ! أعمق إزاي يعني ؟

غيد وقد أتسع مبسمهُ بإبتسامة عريضة : يعني مثلاً، لو فرضنا إني قولتلك آ.....

_توقف عن الحديث فجأة وهو يطالعها ، بينما كانت هي على أحر من الجمر .. تنتظر بتشوق ولهفة ما سيتحدث به ، فتفاجئت به وهو يقول

غيد : لو قلت بحبك مثلاً

_سعلت فجأة ، وأحمر وجهها بشدة من حدة السعال الذي خرج من أعماق صدرها .. أغرورقت عيناها بالدموع ، فأسرع يهتف مناديًا على أحدهم ليحضر له كوبًا من المياة و.....

غيد : ميا لو سمحت

_بدأت تهدأ رويدًا رويدًا .. بينما حضر النادل مسرعًا وهو يحمل كأسًا من المياة ، تجرعته على رشفات متعددة .. ثم أسندت الكأس فارغًا على الطاولة وعاودت التحديق فيه وهي تتسائل

شذى : أنت قولت إيه!

_تعمق غيد لبؤبؤي عينيها ، فلمح بهما وميضًا لامعًا .. أستشعر فرحها وكأنها ستطير من أمامه الآن وتحلق بجناحيها في عنان السماء .. نبض قلبه الساكن منذ سنوات لأول مرة في هذه اللحظة وكأنه عاد لسنوات الصبى من جديد .. أو يعايش مراحل المراهقة المضطربة..

أجفل بصره عنه بصعوبة ، وودّ بداخله لو إنه علق ببصره عليها .. ولكنه أستشعر الخجل الذي تسرب لوجنتيها وأرنبة أنفها .. فتوقف عن ذلك وهو يقول

غيد : مكنتش أعرف إن كلمة زي دي ممكن تعمل كل ده!

شذى وقد تبدلت ملامحها للتجهم : كلمة ! دي مش كلمة ، دي دنيا بحالها

غيد وقد أرتفع حاجبيه بإعجاب لرقي مشاعرها : طلعتي رومانسية!

شذى وقد تلوت شفتيها بتذمر : يعني

_وضعت كفها أسفل خديها ، ثم سلطت بصرها على الفراغ .. تمنت لو أن هذا الإعتراف كان حقيقيًا وليس مجرد إفتراض ، تنهدت بثقل ثم همست بين خلجات نفسها من جديد..

-يبدو إنني سأموت على هذا الحال ! سيظل أحمقًا على طول المدى .. ياللهي ماذا أفعل حيال هذا الجسد الذي يحمل رأس بعير!

....

_أنتهى يوسف من إرتداء ملابسه ثم وقف جانبًا يتابعها بصمت مراقبًا لكل خطوة وحركة وهمسة تصدر منها .. أصابها بالإرتباك عندما أطلق صفيرة مغازلة لها ، فتحركت من أمامهُ سريعًا لتتحاشى نظراته .. وعندما أنتهت من عقد حجابها الأنيق ، أمسكت أصبعًا من طلاء الشفاة الوردي ، ثم رسمت به على شفتيها بحرفية عالية ..

تأكدت من أكتمال هيئتها فأبتسمت برضا ثم ألتقطت حقيبتها وأقتربت منه ، ونطقت ب.....

رزان : أنا جاهزة

يوسف وهو يتأمل تفاصيل وجهها : قمر ياحببتي ، بس في حاجة مش حلوة

رزان وقد أختفت البسمة عن ثغرها : حاجة إيه ؟

_وبدون مقدمات ، وقبل أن تُصدر أية ردود فعل معترضة ، أطبق على شفتيها ليلعق هذا الطلاء المثير الذي أثاره .. لم تُبدي أية مقاومة ، بل إنها أستسلمت لهذا الخدر اللطيف ، أبتعد عدة

سنتيمترات عنها ثم نفخ في وجهها لترمش بعينيها عدة مرات..

أخرج منديلًا ورقيًا من جيب بنطاله ثم بدأ ينزح ما تبقى من هذا الطلاء .. أبتسم بحُب وهو يهمس بالقرب من أذنيها

يوسف : حلو الروچ عليكي ، عشان كده مينفعش حد يشوفهُ غيري

_طبع قبله على جانب شفتيها وهو يهتف

يوسف : يلا بينا

_قهقهت بصوت مسموع وهي تشير نحو شفتيه اللاتي تأثرت بطلاء الشفاة ثم نطقت بمزاج

رزان : أمسح الروچ اللي على شفايفك

يوسف وهو يبتسم إبتسامة عابثة : بقى كده يعني ! تمام الجايات كتير وانتي عارفة

_أستمع لصوت هاتفه الذي أصدر رنينًا عاليًا ، فأخرجه من جيبهُ لينظر نحو شاشة الهاتف ليجد أسم شقيقه .. فضغط عليه للرد و.....

غيد : ألو ، أنت فين يايوسف ؟

يوسف وهو ينظر لساعة يدهُ : أنا نازل أهو، في حاجة ولا إيه ؟

غيد وقد أحتد صوته : تعالى بسرعة عشان عايزك

يوسف وقد شعر بالقلق من هذه النبرة التي يعرفها جيدًا : طيب ، نص ساعة وأكون عندك

_ألقى غيد بهاتفهُ على سطح المكتب ثم نظر صوبها بحزم .. رأى وجهًا جديدًا لها ، الإصرار والمثابرة على معرفة ما حدث لوالدها .. قابلت نظرته الحادة بنظرة متحدية ، لم تجفل بصرها أو تحيده عنه ، بينما هتف هو بصرامة

غيد : أتفضلي أقعدي

فجر وهي تعقد ذراعيها أمام صدرها : مش جاية أقعد ، أنا جاية أعرف فين أبويا

غيد وهو يزفر أنفاسه بحنق شديد : أبوكي مش عيل صغير وتايه عشان جاية تدوري عليه هنا

فجر وهي تضرب بكفها على سطح المكتب : مش عيل صغير ، بس أخوك كان حاطه في دماغه ، وانا مش ماشية غير ومعايا أرار (أصل الحكاية كلها

غيد وقد أرتفعت نبرة صوته : صوتك ميعلاش هنا ياشاطرة

فجر وهي ترمقه بتحدٍ سافر : أنا هستنى برا لحد ما البيه يشرف

_غادرت حجرة المكتب ، وأنتظرت بالخارج أمام الباب الرئيسي لمنزل عائلة " عدنان السويفي " كانت تفرك كفيها بتوتر بيّن .. هي على وشك مواجهة حقيقة لن تقوَ على مجابهة حقائقها .. يراودها الشك بأن أبيها قد أرتكب جرمًا قويًا ، ولكنها تجتهد لإصراف هذا الشك عنها حتى تستطيع الأخذ بحقهُ .. وأثناء شرودها بعالمٍ غير الذي هي به وجدت صوته يقتحم خصوصيتها وهو يقول

حسن : آنسة فجر ، أزيك

فجر وهي تهز رأسها بإنتباه : هه ! الحمد للّه

حسن وهو يرسم بسمة متفائلة على محياه : يعني مبقتش أشوفك هنا ؟ هو انتي واخدة أجازة ؟

فجر وهي تتنهد بثقل شديد : لأ ، أنا سيبت ال.....

_أنتبهت لإقتحامه الغير مبرر لحياتها الشخصية ، فأكفهرت ملامحها وعبست فجأة وهي تحدجه بغرابة .. ثم نطقت بأسلوب فج غليظ

فجر : وانت مالك ! بتسأل عن حاجة متخصكش ليه ؟ سبحان الله أنت وأمثالك الحشريين بتخلو الواحد يطلع عن شعوره ويبقى عايز آ......

_تفاجئت به يضع كفه على شفتيها ليمنعها من هذا الإنفجار الذي نتج عن مجرد سؤال حسن النية منه ، أنعقد ما بين حاجبيه وهو يهتف بذهول

حسن : خلاص خلاص ، إيه ! ماسورة وأنفجرت في وشي!

_دفعت كفه عنها ، وقبيل أن تتابع توبيخها له.. أسرع قائلاً

حسن : متكمليش كلام ، أنا داخل لغيد باشا ومش هتكلم معاكي تاني ، سلامو عليكو

فجر وهو تغمغم بخفوت : أيه الأشكال اللي الواحد بيشوفها دي ، أستغفر اللّه العظيم يارب

_شعرت بالبرودة تضرب ذراعيها ، فأرتعشت على أثر ذلك وولجت للداخل لتقف بأحد الزوايا .. لمحت حسن وهو يدلف خارج حجرة المكتب ممسكًا بمفاتيح سيارة غيد وعبر جوارها وكأنه لا يراها..

أستمعت لصوت بالخارج بعد قليل ، فدققت حاسة السمع لتتعرف على نبرة صوته المعروفة لها و.....

يوسف : لما تركن العربية ياحسن سيب المفاتيح مع البواب

حسن : أمرك يابشمهندس

_تأهبت فجر لتنقض عليه بتساؤلاتها ، ولكنها تفاجئت به يعبر بوابة المنزل الموارية مطوقًا لزوجته .. ويتبادلان المرح فيما بينهما .. أستشاطت وأرتفع منسوب الحقد في دمائها ، هم يعيشون رغد الحياة وترفها ، وهي تعاني أشد المعاناة..

ضغطت على فكيها بقوة وهي تتابعهم .. حيث تحركا نحو حجرة المعيشة والتي يتواجد بها " دولت ، عدنان"

ترددت هل تقتحم جلستهم الودية الأسرية لتفسدها ، أم تعود لحجرة المكتب الخاصة بغيد حتى يتفاجئ بوجودها!

وأخيرًا قررت أن تتحرك لداخل حجرة المكتب..

وقفت أمامه كَالصخر الصلد وهتفت بجمود

فجر : أخوك جه بره

غيد وهو يستند بظهره على المقعد : تحبي أروح أجيبه من قفاه ؟

_لحظة واحدة ، وكان يوسف يقف على عتبة الحجرة .. تبدلت ملامحه وصارت أكثر قسوة ..

أختفت البشاشة والبسمة ليحل محلها العبوس والصرامة وكأنه شخصين في جسد واحد..

ولج لداخل الحجرة ثم صفق الباب بعنف ونطق بإستخفاف

يوسف : أنت بقى أستعجلتني عشان خاطر الآنسة دي!

فجر وهي تحدجه بشراسة قطة مفترسة : أبويا فين!

يوسف وهو يدس كفيه في جيب بنطاله ، ثم حدجها بإحتقار وهو يهتف : أنا مش وزير الداخلية عشان أعرف

فجر وهي تتقدم نحوه بخطوة واحدة : بس انت الوحيد اللي ليك عداوة معاه ، وكنت عايز تنتقم منه فيا

يوسف وهو يومئ برأسه مؤكدًا حديثها : صح ، بس برضو بتسأليني ليه ؟ أنا مش مسؤل عنه

_فركت وجهها بكلتا يديها ثم نظرت نحوه محاولة إستعطافه حتى يبوح لها بحقيقة الأمر و.......

فجر : أرجوك تعرفني هو فين ! أو قولي عملك إيه؟

غيد محاولاً السيطرة على الأمور : قالك ميعرفش عنه حاجة ، يبقى خلاص كده

يوسف وهو يحدق بعينيها ليثير إرباكها : متأكدة إنك عايزة تعرفي ؟

فجر وهي تبتلع ريقها بتوجس وقد سرت إرتعاشة بجسدها : آآ.. آه

_شعر غيد بأن الأمر يزداد سوءًا كلما ترك وثاقه .. منذ قليل كشفت له فجر عن وجه جديد لها ، فليس من الغريب إذا صدر عنها أية ردود فعل قاسية حيال يوسف إن أكتشفت تورطهُ بالأمر .. فتحرك ليكون متوسطًا بينهم وهو يقول

غيد : يوسف ، خلاص آ....

يوسف وهو مسلطًا بصره عليها :لأ ، خلينا نريحها ونعرفها أبوها عمل إيه!

فجر وقد أزداد فضولها : قول ، أرجوك تقول

يوسف وقد غلت الدماء بعروقه : أبوكي شارك في أغتصاب مراتي ، مش كده وبس ، هو اللي جاب صحابه عشان يسرقوها ويبهدلوها و....

_أقتحم صدره وغزة قوية لم يستطع التغلب عليها .. فصمت عن هذه الكلمة التي تقطع في جسدهُ تقطيعًا مؤلمًا كلما تذكرها .. قبض على جفنيه وهو يتابع بلهجة متشفية

يوسف : أبوكي يستاهل الحرق ألف مرة

_مسحت قطرات العرق الذي ظهر على جبينها ، ثم نطقت بأنفاس متهدجة وصوت متحشرج

فجر : أنت بتكدب ، أبويا كان فيه العبر بس عمره ما يعمل كده

يوسف وهو يصيح فيها بصوت مرتفع جعلها ترتعد في نفسها : بقولك عمل كده هو وال **** اللي كانو معاه ، أنا مش هكدب عشان واحدة زيك

غيد وهو يضغط على ذراع أخيه : يوسف

فجر وهي تتشوق لمعرفة ما هو قادم : وعملت إيه معاه!

غيد : ولا حاجة

يوسف متباهيًا بصنيعه : لأ عملت ، خدت حقي وحق مراتي .. أبوكي اللّه يرحمه أقريله الفاتحة

_لطمت بكفيها على وجهها وقد لمعت عيناها بعدم تصديق .. أضطربت أنفاسها وتسارعت ضربات قلبها وهي تقول

فجر : قتلته !؟

يوسف وهو يرفع كفيه في الهواء وكأنه لم يفعل شيئًا : قضاء وقدر ، أبوكي عمل حادثة زيه زي أي حد

فجر وهي تصرخ به غير مصدقة : يانصيبتي ، ده انا هوديك في ستين ألف داهية

يوسف وهو يلوح بذراعيه في الهواء بعدم إهتمام : ولا يهمني ، لو عندك دليل ضدي أثبتي .. ولو في شهود هاتيهم وانا وانتي والزمن طويل

غيد وهو يهدر بصوته في شقيقه لكي يصمت : أخرس بقى

فجر وهي تتوعده بصوت قوي : وحياة أبويا لأكون مطربقة الدنيا عليك أنت واللي يتشددلك ، وهسجنك يايوسف

غيد وهو يسعى مجاهدًا أن يسيطر على قرارها :

فجر ، أسمعيني كويس ، انا.....

_أزاحه يوسف برفق من أمامه ثم أفسح لها المجال وهو يشير نحو الخارج قائلاً

يوسف : مع السلامة والقلب داعيلك ، عارفة طريق القسم ولا أوصلك

غيد وقد أنفلت منه زمام الهدوء ليصيح به : يابني أخرس ، بقولك أخرس

فجر وهي تنظر للفراغ تاركة العنان لحالها للتحدث بما يجيش به صدرها : يعني العيال

أتيتموا ! خلاص ملهمش أب ، وكله عشان أنانيتك

يوسف وهو يكز على أسنانه بغيظ : لأ، كله عشان وساخته و ***** ، عشان عملته السودا في حقي ، وانا مبسكتش عن حقي

فجر وهي ترمقه بتحدي : ولا أنا بسكت عن حقي

_تحركت متجاوزة أثنتاهم بسرعة عجيبة تتناقض مع رخو أعصابها .. بينما حاول غيد اللحاق بها ولكن وقف شقيقهُ أمامه ليمنعهُ وهو يقول

غيد : فجر ، أستني.....

يوسف : أستنى انت ، المرة دي مش هتشيل ورايا

واللي عندها تعمله

غيد وهو يهز ساعده بإنفعال : ليه عملت كده

يايوسف ! ليه ، وليه أعترفت على نفسك ياغبي

يوسف بلهجة واثقة وقد أحتدت نظراته : مفيش

ورايا دليل ، المعمل الجنائي لو لقى جثته

هيلاقيها متفحمة ولو عرفو يحددو مات أمتى

هيعرفو إنه يوم فرحي، وساعتها في مليون دليل

ودليل إني برئ منها

غيد وقد أستشعر بالخوف الشديد عليه : وأخرتها

معاك ياابن السويفي!

يوسف : أخرتها زي أولها

غيد وهو يصر على أسنانه بضيق : قولتلك القانون موجود و.....

يوسف وقد أظلمت نظراته وأكفهر وجهه من جديد : مفيش قانون هنا ، هيعملي إيه القانون ، هيسجنهم سنة ولا أتنين عشان كانو شاربين ! وبعدين ؟ فين حقي!

لو في قانون صح مكنتش هاخد حقي بدراعي ، لو في عدالة واللي أجرم يتحاسب على قد جريمته كنت سلمتهم بأيدي للقانون ، أنا السلطة التنفيذية ، وانا بنفذ اللي القانون مقدرش ولا هيقدر ينفذه ، أنا برجع حقي مش بظلم حد

_ضرب غيد كفًا بكف وهو يبتعد بخطواته ،

ثم همس لنفسه

غيد : مش هتجيبها لبر ، مش هتجيبها لبر

يايوسف!

....

_لم تجد وسيلة مواصلات تقلها إلى حيث موقف

العربات (ميكروباصات) في هذه الساعة

المتأخرة .. فقررت أن تستقل حافلة كبيرة ستمر

على وسيلة المواصلات الأسهل (مترو) لتتوجه

نحو أقرب قسم شرطة .. جلست بجوار النافذة

ونظرت للخارج بنظرات خاوية من الحياة ، لم

تستطع تذكر موقف أبوي واحد منه حيالها

لتتذكره به ، ورغم ذلك تشعر بمرارة فراقه

عنها وعن أشقائها بهذه الطريقة المؤسفة ..

ترقرقت عبراتها رغمًا عنها وراحت تمتم مع حالها

بخفوت..

ولكنها شعرت بشئ غريب على حين غرة .. وكأن

أصابع بشرية تسير على جسدها ، أرتعد داخلها

وهي تلتفت لتنظر بجانبها ، فوجدت رجلاً يحاول

التحرش بها جنسيًا ويسعى لملامسة جسدها

بشكل واضح و.......................

....

الفصل الحادي والثلاثين

الجزء الثاني

_لملمت جسدها وأنكمشت على نفسها وهي ترمقه بعدم تصديق .. لم يستطع عقلها إستيعاب ما حدث منذ ثوانٍ معدودة ، بينما بدا هذا الدنيئ وكأنه لم يفعل شيئًا .. نظر للجهة الأخرى بعدم إكتراث في حين تسمرت هي بعينيها عليه .. توقف عقلها وتفكيرها وكأنه أُصيب بالشلل ، جف حلقها وشعرت ببرودة تملكت من أطرافها .. تهيأ لها أن حجابها أنفلت عن رأسها فوضعت يدها لا أراديًا عليه لتضبطهُ ثم عادت برأسها لتنظر نحو النافذة..

كانت تفكر فيما ستصنعهُ حيال هذا الشخص القذر الذي وصل به الأمر لأن يتحرش بها في وسيلة عامة للمواصلات ، دار بمخيلتها عدة ردود فعل تصدر عنها ضده .. ولكنها لا تعرف من أين تبدأ ، تهدجت أنفاسها وأضطربت .. فهي بموقف لا تُحسد عليه ، لم تتعرض له من قبل..

وأثناء نظرها أتجاه الخارج عبر النافذة ، لمحت أشارة مرورية يقف بها العديد من ضباط الشرطة وضباط المرور .. حدقت فيهم بعينيها وهي تفكر في فعلة جريئة تفتعلها ، ولكنها أرتعشت فجأة وأنتفضت جسدها عندما قام ذلك اللعين بالضغط على فخذها بأصبعيه الإبهام والسبابة وكأنه تمادى في فعله عندما تابعت هي الصمت..

فصرخت صرخة مدوية جعلت كل من في الحافلة ينظرون نحوها .. تحرك الجميع ليستكشف ما الذي يحدث بالخلف ، فوجدا فتاة تقبض على تلابيب هذا للرجل وتصرخ فيه وهي تنعته بأقطع الألفاظ وألذعها........

فجر : آه يابن الو ***** يا **** ده انا هطلع ***** ، بتحط أيدك النجسة عليا ياواطي يا*******

الرجل وهو يحاول تخليص نفسه من قبضتها

الشرسة : هو انا جيت جمبك يابت ! أنتي اللي قاعدة تتمسحي فيا من الصبح

فجر وقد جحظت عينيها بذهول : أنا ياراجل ياعرة ، ياللي متسواش في سوق الرجالة نكلة يا

****

_تدخل البعض لفض هذا الإشتباك ، ولكن كانت هي في ذروة غضبها وجاء بطريقها من تنفس فيه هذه الكتلة النارية الكامنة بداخلها و....

-خلاص يابنتي فوتيها

-بلاش فضايح لنفسك ياست

-لم نفسك ياراجل يا*** هو احنا كل يوم هنلمك من الأتوبيسات!

_حدقت بعينيها غير مصدقة ما قاله الأخير ، حيث أكتشفت إنه معتاد على ممارسة سلوكياتهُ المتحرشة مع الفتيات .. بينما وقفت الحافلة في الإشارة المرورية .. فصرخت فجر بأعلى صوتها لتثير إنتباه الضباط بالأسفل وهي مازالت قابضة على ملابسه لئلا يفّر منها..

فجر : يالهوووووي ، ألحقوني ياناس ، واحد بيتحرش بيا ، يالهوي

سائق الحافلة وقد أضطرب عقب رؤيته لطاقم الضباط : ياجماعة داخلين على أشارة اللّه يكرمكم تهدوا

الرجل وهو يدفعها بعنف حتى يتخلص منها : أوعى يابنت ال****

_أنتبه أمين الشرطة لصوت منازعات بداخل الحافلة التي تتوسط العربات المصفوفة بالإشارة .. فدقق عينيه ليتفقد ما يحدث ، لمح أطياف الناس بداخل الحافلة وشعر بحركة غير طبيعية ، فأشار لزميله وهو يهتف

الشرطي : تعالى نشوف في إيه في الأتوبيس العام ده

الشرطي ٢ : يلا

_تحركا سويًا نحو الحافلة ، أشار أحدهم للسائق حتى يفتح له باب الحافلة .. ثم صعدا بالتوالي..

لمحهم هذا المتحرش فأرتعدت فرائصهُ وهو يدفعها منفعلاً و.....

الرجل : أوعي أيدك يا***

فجر وهي تصيح لتثير إنتباههم نحو موقعها بالحافلة : مش سيباك النهاردة ياعرة الرجالة

الشرطي وهو يتجه نحوهم : إيه اللي بيحصل هنا!

فجر وهي تصرخ بصوت خرج من أعماق صدرها : ألحقني ياأمين ، ألحقني ، واحد بيتحرش بيا وعايز يعتدي عليا

_وبسرعة خاطفة توجها الأثنين نحوهم و....

الشرطي : ده انت ليلتك سودا النهاردة

الرجل وقد تسرب الخوف لداخله : واللّه يابيه ما جيت يمتها (ناحيتها) دي بترمي بلاها عليا

_نطقت إحدى السيدات اللاتي تجلسن بالحافلة وهي تهتف

-لا ياحضرت الظابط ، أنا شوفته بيحرك أيده ناحيتها ، وشكله مش مظبوط من ساعة ما قعد

_جذبه الشرطي بشكل فج من حزام بنطاله وهو يردف بغلظة...

الشرطي : تعالى ياروح أمك

_أصطحبوه بعنف شديد لأسفل الحافلة ثم قادوه لأخد الجوانب .. بدأ الأثنين يكيلون له بالضربات الموجعة تأديبًا له ، بينما تابعت فجر الموقف ولكنها أستشعرت بأنهم سيتركوه عقب هذه الضربات المبرحة .. فخرجت عن صمتها المريب وهي تقول

فجر : انا عايزة أعمل فيه محضر ، ودوني على القسم

الشرطي وقد تلوت شفتيه بإزدراء : خلينا نلم الدور ، إحنا هنربيه ياآنسة ونعلمه الأدب

فجر وهي تتشدد في رأيها : لأ ، هعمل محضر وأوديه في داهية

الشرطي ٢ : ولزومها إيه الفضيحة والشوشرة

_حدقت فيه فجر بعدم تصديق ، هو رجل قانون عليه تحقيق العدل والنظام .. عليه سنّ القوانين وتنفيذها ، ولكنه يحاول أن يتستر على الأمر ووصفه بالفضحية..

هتفت بصوت متحشرج و....

فجر : فضيحة ! ليه إن شاء اللّه ؟ أنت جايبنا مش شقة مفروشة ! بقولك أتحرش بيا وانا مصممة أروح القسم

الشرطي وقد سئم منها : بقى كده ! خلاص يابنت الناس اللي يريحك

الرجل وهو يرجوها للتغاضي عن الأمر : إن شاللّه يخليكي سيبيني أمشي ، هما عملو معايا الواجب

فجر وهي تتوعده برد فعل قوي : وحياة أبويا أبدًا

_قادهم الشرطي نحو أقرب مخفر لكي تقوم بالتبليغ عن هذا المتحرش .. وعندما علم الضابط المسؤل عن ماهية البلاغ الذي تريد هي تقديمه

تقوس فمهُ بإزدراء وهو يخدجها بإستخفاف ثم هتف

الضابط : بلاغ تحرش ! لا إله إلا اللّه!

خلاص البنات مبقاش عندها حياء وبتجهر بالمواضيع دي عادي كده

فجر وهي تحدجه بنظرات محتدة : هو انا جاية لحضرتك في قضية مُخلة !؟ بقولك أتحرش بيا المتحرش وقد أصبحت نبرته واهنة على أثر الضرب الذي تلقاه : يابيه أبوس أيدك خليها تتنازل وانا مستعد أراضيها وأحب على راسها

الضابط وهو يوزع نظراته المستخفة بينهم : إيه رأيك ياأستاذة؟ ما تتنازلي وخلصينا من الحوار ده انتي برضو بنت وليكي سمعتك

فجر وهي تهز رأسها بتشنج واضح : لأ ، أنا متمسكة بحقي ومصممة أعملها قضية ، أنا المجني عليها ومستحيل أقبل أحط راسي في الأرض زي النعام

الضابط وهو يضع أمامهُ ورقة بيضاء ليبدأ الخط عليها : بشوقك بقى!

_بدأت فجر تنظر حولها ، فأكتشفت العديد من الأفراد الواقفين بالمحيط يرمقونها جميعًا بنظرات أختلفت ما بين الإحتقار وما بين التشجيع

.. لم تقوَ على كبح غضبها فصرخت فيهم وهي تقول

فجر : بتبصولي كده ليه ! محدش يبصلي كده.. أنا المظلومة ، عايزيني أسكت وامشي جمب الحيط وأقول ياحيطة داريني واسيب أمثاله يعملو كل الو*** معانا ، ليه وعشان إيه ، ليه .. محدش يبصلي

الضابط وهو يصيح فيها لتصمت : خلاص يابت انتي هتعملي دوشة ليه ! ؟

_تحقق غرضها وحررت بلاغًا رسميًا ضد هذا المتحرش ، وتم حبسهُ حتى تتم إحالته للنيابة في الصباح الباكر..

تركت هي مغادرة محيط المخفر بساقين رخوتين .. ضمت ذراعيها لصدرها وكأنها تحمي حالها .. ورغمًا عنها أذرفت بعض الدموع الملتهبة على وجنتيها ، تذكرت والدها وما وصل إليه وتذكرت رغبتها في تحرير بلاغ تتهم فيه يوسف بقتل والدها .. ولكنها تناست ذلك في ظل ما حدث ،

بدأ الشك يراودها ، ربما خطط القدر لذلك حتى يمنعها من تقديم هذا البلاغ .. أو ليذيقها

مرارة هذا الشعور حتى تدرك ما مرّ به يوسف وزوجته والذي كان أضعافًا..

تم التحرش بها ، ولكن والدها شارك في إغتصاب فتاة أخرى ، تُرى ما شعورها ؟

هي عانت معاناة نفسية ومجتمعية شديدة اليوم لمجرد التحرش بها ، فما بالك بالتي تم إغتصابها إغتصابًا فعليًا..

أدركت الآن حجم المعاناة التي وقع بها هذا الشاب الوقح في نظرها ، ولكنها أيضًا ضلت طريقها بين غوائل الزمن..

ماذا تفعل الآن ! ماذا ؟..

....

_قطع يوسف حوارهُ مع شقيقه ليجيب على هذا الإتصال الذي جاءهُ من " سيد.. "

حاول أن يكون حديثهُ مُبهمًا غير واضح حتى لا يستشفه غيد أو يستطيع تخمينه و.......

يوسف : آه ، يعني خلاص وصلت ؟

حلو أوي ، خليك عندك وانا جايلك حالًا ، لالا .. النهاردة ، لازم النهاردة ، سلام

_لمعت عيناه بوميضًا غريبًا ، فضيق غيد عينيه وهو يقول



غيد : في إيه ؟

يوسف : بعدين ، خلاص هانت ، هقولك بعدين

....

حكاوي الكتب للنشر الالكتروني

www.hakawelkotob.com